غادة السمّان

الأعمال غير الكاملة

١٣

البحر يحاكم سمكة

منشورات غادة السمان

ورقة مسروقة من
محضر محاكمة السمكة

قال البحر للسمكة : لماذا أخطأت الطريق ؟
- إنها تياراتك يا سيدي .
قال البحر للسمكة : لماذا التهمت ما ليس لك ؟
- إنها مجاعتك يا سيدي .
قال البحر للسمكة : لماذا جبنت احياناً عن قول الصدق ؟
- إنها أسماك قرشك يا سيدي .
قال البحر للسمكة : ولماذا هاجرت من كهف الى آخر ؟
- كنت افتش عن الشمس يا سيدي .
قال البحر للسمكة : يا لك من مخلوق غريب غامض !
- انا ابنتك يا سيدي .

١٢/٢/١٩٨٦

الإهـــداء

سيدي البحر ،
منك ، وإليك !

غــادة

مصارحة

١ ـ مع كل كتاب أخطه ، أموت قليلاً .

وبين موت وآخر ، تأتي وجوههم الأليفة . تأتي أصواتهم لتستجوب القتيلة . يعرفونها ، ولا يعرفونها ، تعرفهم ولا تعرفهم ، ولكنها واثقة من أمرين : أنها تنتمي إليهم ، وأنها لم تعد موؤودة . صار لها صوتها واستعادت حنجرتها المسكونة بعشرات الإيقاعات بما في ذلك حقها في اتهام القبيلة بين موت وآخر من ميتاتها .

٢ ـ حصيلة ذلك التفاعل المحرض الخلاق والزخم الحي نجد بعضه في هذا الكتاب . وهو الجزء الثالث عشر في سلسلة « الأعمال غير الكاملة » . إنه الجزء الثاني من « القبيلة تستجوب القتيلة » .

٣ ـ يضم هذا الكتاب ـ كجزئه الأول ـ مختارات من الأحاديث الصحافية بين رفاق القلم وبيني . وقد صنفتها في أربعة أبواب وهي :

أ ـ الفصل الأول من الكتاب أسميته «سيرة ذاتية» وجمعت فيه الأحاديث التي تنصب مباشرة على حياتي الخاصة كإنسانة وعن علاقة ذلك بفني. هذا الفصل رتبته وفقاً للتسلسل الزمني ولكن بدءاً بالماضي وانتهاءً بالحاضر . . . فقد أحسست وأنا أعيد قراءة أحاديثه انني أقرأ حياتي موجزة في سلسلة محاورات . . وان قراءتها بدءاً بالماضي وانتهاء بالحاضر لها مذاق من يقرأ قصة مواطنة طموح ، والناس تحب قراءة القصة ، وأنا أحب خلق المذاق القصصي في كل ما أكتبه أو حتى أرتبه وأبوبه .

ب ـ هنالك صدفة بيولوجية ـ هي أنني ولدت أنثى ـ نجمت عنها اسئلة صحافية من نوع خاص تدور حول علاقة المرأة والرجل وتحرر المرأة . . لقد طرح عليَّ هذا النمط من الاسئلة أكثر مما طرح على أديب آخر ذكر . الفصل الثاني من الكتاب أسميته « استجواب حول الجنس ـ المرأة ـ الرجل ـ التحرر » وهو يضم

مختارات من المحاورات التي تغطي رقعة من هذه الأفكار . وأنا أجد الحوار حول هذه الأمور مجدياً وراهناً وأتمنى على رفاق القلم طرح الاسئلة ذاتها على الأدباء (الذكور) أيضاً ليكون البحث شاملاً في مشاكل تخص مجتمعنا العربي ككل واحد . وقد رتبتها أيضاً بدءاً بالماضي وانتهاء بالحاضر لأن لها أيضاً مذاق القصة : قصة امرأة مع قمع معين .

ج - الفصل الثالث من الكتاب اسميته «استجواب حول قضايا أدبية» وهو يضم مختارات من أحاديثي الصحافية التي تتعلق مباشرة بقضايا القصة والرواية خاصة والأدب بوجه عام . وقد رتبتها كبقية فصول الكتاب وفقاً للتسلسل الزمني بدءاً بالماضي وانتهاء بالحاضر . والقارىء الذي يرغب في إلقاء نظرة سريعة على موقفي الراهن من قضايا فكرية تشغله ، يستطيع أن يكتفي بمطالعة الصفحات الأخيرة من كل فصل . أما القارىء الأكثر فضولاً فيستطيع أن يقلب الصفحات ، ومع كل صفحة يخطو الى ماضيَّ الفكري ليرى تطور نمو الأشياء في وجداني ، وبأي اتجاه كان ذلك يتم .

د - الفصل الرابع من الكتاب أسميته « من كل بحر موجة » وهو يضم محاورات حول قضايا متفرقة تأخذ من كل فن وعلم بطرف ، أو كما يقول إخوان الصفا عن رسائلهم : فيها من كل فن بلا إشباع ولا كفاية . في هذا الفصل من الكتاب يتم استجوابي حول أمور شتى : شيء من السيرة الذاتية ، وشيء عن قضية المرأة ، وشيء عن الأدب والنقد ، وسواها من القضايا . والطابع الغالب عليها هو الشمول ، وهكذا لم يكن من الممكن إدراجها تحت باب دون الآخر من الأبواب السابقة .

٤ - هذه الأبواب في تقسيم الكتاب ليست قوالب جامدة . بمعنى أن القارىء قد يجد في حوار بالفصل الثاني (الخاص بقضايا المرأة بوجه عام) سؤالاً يتعلق بأمر آخر ، وهذا طبيعي وبدهي . لقد تم تقسيم أبواب الكتاب وفقاً للطابع الغالب على الاسئلة بوجه عام .

٥ - قد يجد القارىء اكثر من حوار صحافي مع (مُستجوب) واحد . وهذا يحدث مع أصدقاء واكبوا بداياتي ولديهم الاطلاع الوافي على مسيرتي ، وبالتالي فان استجوابهم لي ينطلق من أرضية المعرفة الشاملة بإنتاجي ، ولذا وجدته خطأ شكليًّا اعتباطيًّا أن أقوم باختيار حوار واحد لكل محاور . فالمهم في النهاية هو المضمون .

٦ ـ هنالك اسئلة تنبشنا من الداخل لأنها طرحت في اللحظة المناسبة ، فتنفجر كتابة . وهنالك أسئلة قد تكون أقدر منها على تفجيرنا ، لكنها قد تطرح علينا في لحظة نكون فيها مستغرقين بشيء آخر يشغلنا عن كل ما عداه . وهكذا فإن أفضل الأجوبة في هذا الكتاب ليس بالضرورة ملازماً لأفضل الأسئلة، والأنغام التي تصدرها أعماقي إثر ضربة السؤال لا ترتبط بمهارة العازف فحسب ، بل بحالة آلة العزف ، وأوتارها المشدودة أو المسترخية في لحظة معينة .

للسبب ذاته قد نجد اسئلة متشابهة لكنني لم أجب عليها بدرجة واحدة من العمق . فالكومبيوتر هو الوحيد الذي يقدم لك الاجابة نفسها على السؤال نفسه في كل لحظة . . أما النفس البشرية ، فلا .

٧ ـ هنالك أحاديث تبقى كوثيقة ثقافية وكشاهد على الكاتب وعصره . وقد شهدنا مؤخراً وعي العرب بأهمية الحوار الصحافي كوثيقة : جبران . الريحاني . . الخ .

٨ ـ لقد التزمت الدقة العلمية وضرورات البحث الأكاديمي ما وسعني إلى ذلك سبيل . وهكذا عدت الى النسخة المصورة الـ (فوتو كوبي) الأصلية للحوار ، وهو أمر يلجأ إليه الباحث عادة حينما يستخرج أعمال مؤلف ما ـ بعد موته ـ أذ يفتش عن النص الأصلي لدى أسرته بدلاً من النص كما نشر . فكل ما يدخل إلى (مطبخ الصحافة) يتعرض إلى حذف أو تعديل تتطلبه الضرورات الصحافية الآنية .

وقد اكتشفت ان معظم محاوراتي الصحافية تعرضت لذلك نظراً لضرورات الإخراج الفني (الميزانباج) أو لوجهة نظر المشرف على الصفحات الثقافية . واكتشفت أن يد التعديل طالما امتدت إلى الاسئلة ايضاً في عملية تشذيب هي في جوهرها قتل لحقيقة الحوار. فالأسئلة ثم الأجوبة تشكل في نظري وحدة عضوية لا تتجزأ، وأي تبديل في صيغة السؤال وتفريغ له من نبرته الأصلية ونكهته ـ بعد أن أكون قد أجبت عليه ـ أو الجواب يشوه روح النص ، وهذا ينسحب على تبديل التتابع الأصلي للأسئلة . ولكنني للأسف لا أحتفظ بنسخ مصورة (فوتوكوبيز) عن أحاديثي كلها ، كما أن الذاكرة لم تسعفني إلا في مرات محدودة تذكرت فيها وجود تعديل رئيسي في الاسئلة ومناخها . وفي حال كهذه ، لجأت إلى استبعاد الحوار بأكمله (لأنني ببساطة كنت قد أجبت عن أسئلة أخرى !) .

٩ ـ هذا العمل الأكاديمي كان محدود الأثر جداً لافتقاري الى نسخ مصورة (فوتوكوبيز) لأحاديث ما قبل عام ١٩٧٦ التي احترق معظمها في الحرب اللبنانية من جهة ، وسهوي

عن استخراج صور (فوتوكوبيز) لبعض أحاديثي لضيق الوقت حينما يمر عملي بمراحل محمومة ومكثفة .

١٠ ـ الحوار الذي فاتتني فرصة الحصول عليه منشوراً ولم يزودني صاحبه به ، نشرته عن النسخة المصورة الأصلية (الفوتوكوبي) بدون مقدمة ـ ما دمت لم أحصل عليها ـ مع التاريخ التقريبي لكتابته بقدر ما أسعفتني الذاكرة .

١١ ـ كنت أطمح إلى أن أفرد فصلاً للأسئلة التي لم أجب عليها ، مع تحليل لجوهرها ومدلولها وبالتالي أسباب رفضي الإجابة عليها . لكن المجال لم يتسع لذلك في الجزء الأول من الكتاب ، ولا في جزئه الثاني هذا ، وأطمح الى تنفيذ ذلك في الجزء الثالث .

١٢ ـ لم أتمكن من استعادة أحاديثي في مرحلة الستينات إلا فيما ندر . وهكذا فالكتاب بمعظمه يغطي رقعة السبعينات . وبالرغم من افتقار الكتاب إلى نماذج وافية من محاورات الستينات فانه قد يساهم في التأريخ لأسلوب الصحافة في طرح الاسئلة وتطوره خلال عقدين من الزمن . إنه تأريخ لتطور الصحافة يعكس صورة لهذا التطور اكثر مما يعكس صورة لاختلاف النظرة إليّ وتطورها .

١٣ ـ أحب أن أنوه بالمحاورات مع رفاق القلم باللغة الفرنسية ، مع كتّاب وكاتبات مبدعين اذكر بعضهم بالتسلسل الأبجدي : ايرين موصللي ـ ايفلين مسعود ـ جميل جبر ـ كلير جبيلي ـ نهاد سلامة .

وقد تعذر نشر نماذج من محاوراتنا في هذا الجزء أيضاً .

١٤ ـ لقد طرح عليّ كل ما يمكن أن يخطر ببال الأطفال والفلاسفة من اسئلة .

أحدهم سألني « الى أين تذهب روحي بعد موتي ؟ » وهو السؤال نفسه الذي طرحه الصحافي جراهام فيشر على الأديب البريطاني الكبير جويس كاري . . مع فارق بسيط ، وهو أن جويس كاري كان لحظتها يحتضر على فراش الموت وهو في سن الثامنة والستين وكانت مناسبة الحوار . . . موته !

وقلة نادرة من الصحافيين ، كتبت حوارات موهومة معي ، مخصصة للسخرية من شخصي والأذى والإيلام ، ولكن هذه القلة هي الشاذ الذي يؤكد القاعدة : الاهتمام المتدفق على عملي ككاتبة . والحنان المتدفق عليّ بصورة اسئلة .

١٥ ـ هذا الكتاب الأخير من الأعمال غير الكاملة (الذي يقع في جزأين ، وربما ثلاثة أجزاء ، وهذا جزؤه الثاني) هو أقربها إلى قلبي . فهو أيضاً سجل انساني للحظات من الصدق المتبادل المكثف ، المحرض والخلاق : لحظات الحوار .

كأن كل حوار صحافي ناجح حكاية حب بالمعنى الجوهري للكلمة : لغة مشتركة . لحظة متبادلة لتفرغ مطلق . محاولة التقاء . محاولة معرفة..

وكل حوار صحافي ناجح هو كالحب : كسر للوحشة وتدمير للغربة وعلى الأقل خلال الفترة التي يستغرقها الحوار .

وبعد . . .

فالحوار الصحافي الحقيقي حكاية حب لا تعقبها المرارة وإنما ترفد الفن وتساهم في بلورة الإبداع .

غادة السمان

تم تعديل المصارحة في ١٩٨٦/٢/٧
الساعة ٣,٥١ ليلاً

السمكة تحاكم نفسها في لحظة شك مستمرة . . .

الآن وقد أنجزت **«الأعمال غير الكاملة»** بأكملها تقريباً أكرر : لست واثقة من أنني اخترت الأفضل من أعمالي . . . ولعل التي استبعدتها من دائرة النشر كانت أكثر دلالة وخصباً . . . ولكن . . . .

\- ١ -

استجواب حول سيرة ذاتية

● حينما نسجل كل عمل جيد كان علينا أن نقوم به وننسى كل عمل رديء اقترفناه ، نكون قد سجلنا سيرتنا الذاتية .

\- ايفلين ووت -

● كل حياة هي بمعنى ما خراب ، علينا أن نفتش بين حطامه ، لنكتشف ما كان يمكن ان (يكونه) هذا الإنسان .

\- جوزيه اورتيجا يجازيت -

● السيرة الذاتية هي أداة لا تجارى لقول الحقيقة عن الآخرين .

\- فيليب غوديللا -

خريف ١٩٦١

م.ص مراسل الحوادث في دمشق يستجوب

● أحلم باصدار كتاب.

أن تخرج كاتبة شابة ثائرة من بيروت ، فهذا أمر طبيعي ، أما ان تندفع هذه الكاتبة الثائرة من اعماق المحيط المحافظ الدمشقي لتكتب في جرأة عن الأوضاع النفسية والاجتماعية التي تجعل الفتاة بعيدة عن حريتها ، بعيدة عن قيمها الفكرية ، فهذه هي المعجزة الأولى التي تجسدت في غادة السمان .

أما معجزة غادة الثانية ، فهي انها ابنة رجل محافظ هو الدكتور احمد السمان مدير جامعة دمشق ، ومع ذلك فقد استطاعت أن تحمل والدها على الوقوف بجانبها ضد كل الحملات التي تعرضت وتتعرض لها في محيطها ، والعلاقة التي بين الأب والابنة لا توجد الا بين صديقين حميمين ، حتى اننا نستطيع ان نقول بأن والدها هو احد الأبطال الاساسيين في قصتها الشخصية .

وقد تخرجت من جامعة دمشق منذ أشهر ، وتحمل ليسانس الأدب الانكليزي . وهي من ألمع أديبات الجيل الجديد ، واجرأهن !

* * *

وهذا حوار مع الكاتبة الثائرة على المجتمع المحافظ في سوريا .

● يمكنك ان تحدثينا عن الظروف التي كتبت فيها أول قصة ؟

ـ لعل ذلك حدث يوم كنت في السادسة عشرة من عمري . . وكان لي دفتر وردي أسطر فيه اشعاراً مراهقة دافئة . . وكان لي هيكل رائع امارس فيه طقوس ولاء خانعة لتماثيل خلقتها بنفسي . . . وذات مساء ، نبتت شمس الحقيقة بين أهدابي وكان لا مفر من ان انظر الى أحب آلهتي فأجده كما هو . . . هيكلاً اجوف من رماد . . وتذكرت الأعرابي

الذي أكل آلهته التمرية . . فضحكت وتمردت وبكيت . . وحطمت أول تمثال . وليلتها كتبت أول قصة وكان عنوانها « اكرهك » ! أول قصة نشرتها ، كانت في مجلة مدرستي الثانوية ، واسمها « من وحي الرياضيات » .

● **يحسب القراء ان لكل قصة حادثاً حقيقياً فيتساءلون عن الاشخاص وخاصة اذا كان لهم بعض العلاقات العاطفية في قصصك . . ما رأيك بذلك ؟**

ـ « أنا » في كل قصة كتبتها ، وان كنت لم اكتب بعد القصة التي هي « أنا » كلها . . .

والآخرون ، الأحياء الذين يتحركون حولي ، أعرفهم أو لا اعرفهم ، هم بلا شك ابطالي . . والذين يلتقون بي لا يلحظون البريق الشيطاني في عيني وانا اتأملهم كأبطـال ممكنين لقصة ! والشيء الذي قد لا يلحظه الناس حينما يتساءلون عن الشخصيات الحقيقية لأبطال قصصي هو انني اقسى جزار في الجو الأدبي . . . فأنا اسلخ من انسان ما ابتسامته وانتزع من آخر عينيه ومن شخص ثالث ملامحه ومن رابع أحد تصرفاته لأدمجها وأصهرها في كيان موحد ادمغه بمزاجي الآني واسكب من هذه الأشياء كلها انساناً جديداً في صيغة جديدة احدد لها معالم الشخصية التي أريد . .

● **هناك أيضاً سؤال يثير قارئك غالباً وهو : هل أحببت فعلاً ؟**

ـ أظن ان التعبير قد خانك ، لا ريب في انك تود أن تسألني : هل أحبت بطلاتك حقا ؟ .

وأنا لا أحب لنفسي ان أجيب عنهن ، فبطلاتي يجدن الكلام أكثر مني . . سلهن عن معنى الاجواء المحمومة حيث تولد في كل ثانية ذروتان عجيبتان من صمت وحركة ، من حسرة متكبرة وفرحة طفلة تنوس البطلة بينهما في نشوة عذاب لا تنتهي . . .

● **ما هي الصعوبات التي تواجه عادة كاتبة القصة العربية وخاصة هذا النوع العاطفي الثائر ؟**

ـ ان صعوباتي هي ملكي وحدي ، وهي تراثي الذي أعتز به والذي ارفض ان امنحه للآخرين لانهم لا يستطيعون المشاركة حقاً . . . ومن أشد الحقائق التي اكتشفتها ايلاماً ادراكي التام بأن على الإنسان أن يكون وحيداً حينما يحس انه بحاجة للآخرين ، وانه يجد نفسه محاطاً بالآخرين حينما لا يحس أنه بحاجة اليهم ! . . كما في لحظات نصرنا ، أنها ملك الآخرين اكثر مما هي ملكنا ، انهم يتحدثون عنها ويتهافتون عليها أكثر مما نشعر بها نحن ، أما مصاعبنا فهي جزء من عوالمنا البكر السحيقة . . نواجهها وحيدين .

● **منذ متى تكتبين . . . وهل تعالجين نوعاً آخر من الأدب ؟**

ـ أكتب القصة منذ مراهقتي، اي منذ ستة اعوام وان كنت لم أبدأ بالنشر الا منذ عام تقريباً . . باستثناء ما نشرته في مجلة المدرسة . وأنا أكتب أحياناً تأملات وخواطر في زوايا مختلفة من الصحف . لكن القصة الطويلة والقصيرة هي مجالي الأدبي المفضل . . وأحلم باصدار كتاب .

● **هل لديك موقف معين من المرأة والرجل خاصة ؟**

ـ موقفي من الرجل والمرأة اضحى معروفاً كما أظن ، وكان من نتائجه المنشور الكبير الذي وزعته احدى الجمعيات المتزمتة في دمشق ضدي منذ أسابيع . . .

فأنا أؤمن ان من الضروري منح المرأة حريتها كاملة كي تكون قادرة على ان تصنع بها فضيلتها . . . وكما ذكرت فأن المرأة التي تمنع من حرية الدخول والخروج ليست فاسقة بالطبع ولكنها ليست فاضلة بالمعنى الاخلاقي الحقيقي . انها (اللاشيء) لانها لم تختر شيئاً . . ان المسؤولية هي الشيء الوحيد الذي يعطي الاحكام الاخلاقية قيمتها الانسانية الحقيقية .

ويدهشني ان المرأة في مجتمعنا العجيب تخضع لأحكام اخلاقية تختلف تماماً عن تلك التي تطبق على الرجل . .

اني اعتقد بأن الرجل والمرأة متساويان في القيمة الانسانية وأن علينا ان نعيد النظر في (اخلاقيتنا) كلها ، وان نوجد قيماً جديدة تطبق على المرأة والرجل على السواء وان تنبع هذه القيم من صميم فرديتنا المثقفة الواعية لا من آليتنا البلهاء في ممارسة فضائلنا وطقوسنا التقليدية السخيفة . . .

انني اؤمن بأن خطيئة المرأة تعادل خطيئة الرجل ، وان ليس هنالك خطيئة (مؤنثة) لا تغتفر ، وخطيئة (مذكرة) تغتفر . . وان علينا أن نعيد النظر في مفاهيمنا الأخلاقية بأكملها وعلى رأسها مفهوم (الخطيئة) . .

● **يلاحظ في أسلوبك نكهة شاعرية متوهجة ، فهل ترين ان القصة تحتاج إلى الشعر احياناً لتؤثر في القارىء ؟**

ـ الواقع ان النكهة الشاعرية في قصصي ليست نوعاً من البهار او التزيينات الاضافية التي ارشقها بين سطوري كي تجذب القراء . . انها شيء أصيل في كتابتي ، جزء مني لا افتعله سواء كان يستحق الاطراء أو الذم .

اكتوبر ١٩٦٣

عدنان أبو فارس يستجوب

● الأديب ليس كاتب مذكرات أنانياً .

كتبت عنها الصحافة السورية كثيراً بمقالات لا تعد ولا تحصى . منها مقالات مدح ومنها ذم ، وهذا ما أعيبه على صحافتنا أن تنحرف عن الحقيقة وتقدمها في صور مشوهة . لقد عرفتها في الجامعة أكثر من أي صحفي أو أديب آخر احتك بها . وهي رمز للفتاة السورية الواعية الطموح .

كنت على موعد معها مساء لأتناقش وإياها في مسائل الأدب .

سألتها : متى بدأت نشاطك الأدبي ؟

- منذ عامين .

● هل كان لك نشاط اجتماعي أو أدبي في المرحلة الثانوية ؟

- الى جانب الكتابة التي كنت أمارسها بصمت ، كنت ماهرة في التشريح العلمي كتشريح العلق والسرطان والضفادع لأنني اكملت دراستي الثانوية في الفرع العلمي . ثم تركت ذلك كله لألتحق بكلية الآداب - قسم الأدب الانجليزي - .

● هل مر في حياتك حادث ما كان السبب في توجيهك نحو مجالات الأدب ؟

- الحياة ذاتها هي الحادث المستمر الذي يدفعني الى ان أكتب .

قلت لها متسائلاً :

● ما هي العوامل التي أدت إلى نجاحك الأدبي ؟

- النجاح أمر نسبي ، وأنا في الواقع ما زلت في وسط المعركة أحياها واتنفسها . ولم يأت الوقت الذي ارتمي فيه على تلة عالية بعيدة كجندي منهك ألملم جراحي وأحصي عوامل نجاحي أو خيبتي .

● **هل تعتقدين انك أدية ناجحة ؟**

ـ من قال انني انتهيت ؟

● **ماذا كانت باكورة انتاجك القصصي ، وماذا كان شعورك حين صدورها ؟**

ـ « عيناك قدري » كتابي الأول والوحيد ، لم اشعر بشيء لحظة صدوره منذ أشهر لأن عملي انتهى لحظة انتهيت من كتابته . .

● **في اية مرحلة اصبحت روايتك الجديدة « المطلقة » ؟**

ـ في الأدب لا توجد مراحل . هنالك قصة انتهت وقصة لم تنته ، لأن الأديب قد يغير كل ما كتبه من أجل كلمة واحدة اخيرة . . وما دام في روايتي كلمة لم تكتب بعد ، أظل أقول إنها لم تنته بعد ، وقد تنتهي غداً ، أو بعد شهر أو لا أكتبها ، لا أدري . .

وأحببت تغيير الحديث الى نواح غير رواية « المطلقة » فسألتها :

● **هل بدأت حياتك الأدبية قاصة أم كنت تعالجين لوناً آخر من الوان الأدب ؟**

ـ القصة هي النتاج الادبي الذي انشره . قبل أعوام كنت انظم الشعر وما زلت ، ولكنني لم انشر قصيدة واحدة حتى اليوم .

● **متى تكتبين ، وكيف تتصيدين بنات افكارك الجميلة وتعقدين حبكها ؟**

ـ في الليل حينما تنام المدينة ، تستيقظ مدني المسحورة !

● **هل من نصائح تقدمينها لهواة الأدب من الجيل الصاعد ؟**

ـ الناشئة الأصيلة ليست بحاجة الى نصحي ، ان لها من اصالتها ما يجعلها تتحسس الدرب بنفسها وتخلق شموسها بيديها !

● **هل يفرض الاسلوب نفسه على الحادثة ام أن هي التي تحدد نوعية الاسلوب ؟**

ـ هنالك تعايش في بين المبنى والمعنى ينبثق في اللاوعي عند الفنان المبدع ، وهذا اللاوعي ليس وليد أصالة فطرية فقط وانما هو مزيج من الأصالة والثقافة والعمق والاتساع تختمر في نفسه وترفده كالنسغ .

● **أيهما اكثر صدقاً في العطاء ، الأديب الذاتي ، أم الأديب الفوتوغرافي ؟**

ـ ليس الاديب عيناً فوتوغرافية حيادية آلية النقل . انه عين تعيد خلق الأشياء بين اهدابها لتسبغ عليها صفة المغزى . . كما ان الاديب ليس بكاتب مذكرات أنانياً . . إنه الغلالة التي تلف الوجود كله لتعيد تشكيله وتقديمه من خلالها مضمخاً بالف لون والف عطر وألف ظل موح وهامس . واذا قصدنا « بالاديب الذاتي » هذا المفهوم فانه بنظري الاديب الحق . .

● **ما هي حياة الفنان الخاصة في نظرك ؟**

ـ حياة الفنان الخاصة في نظري هي حياته وحياة الآخرين الذين عرفهم والذين سيعرفهم والذين لم يعرفهم . انها الاشياء التي رآها والتي خيل اليه انه رآها والتي يؤمن بأنه سيراها .. الاديب الحق يعيش مأساة أصغر نجمة في القطب ، وميتة أقصى غدير مداري ، ونشوة أجمل زهرة استوائية تتفجر حياة وشمساً . وهذا كله جزء من حياته الخاصة . . . وادبه انعكاس لهذه الحياة الخاصة التي صارت شيئاً غنياً وكبيراً بعد ان رفدتها الثقافة والحساسية والعمق والشعور بالمسؤولية امام اصغر دمعة على اشقى خد في الوجود . .

● **اذن ما الذي يعطي ادباً يخلد ؟**

ـ ان حياة الآخرين في ذات الاديب ، وحياته في ذات الآخرين هي ما يعطي ادباً يخلد ! .. إنها « النحن » في قالب « الأنا » ! . .

٢٤/١٠/١٩٦٤

ن.ب مراسل «هذا الاسبوع» في بيروت يستجوب

● من يهمه حقاً ان يعرف من أنا ؟

عقارب الساعة تشير الى تمام التاسعة مساء . بعض طلاب الجامعة الاميركية منهمك بتناول طعام عشائه في مطعم «فيصل» الكائن على الرصيف المقابل للجامعة .

وفجأة اشرأبت اعناق الشبان الموجودين ، وتطلعت انظارهم نحو الباب لدى دخول حسناء خمرية اللون في مطلع العقد الثاني من العمر .

وتوقف بعض الموجودين عن تناول الطعام مؤقتاً بانتظار التفاتة عفوية من الجميلة الداخلة ليدعوها لمشاركته العشاء . ولكن الخمرية اللون جلست في ركن قصي من المطعم دون ان تكلف نفسها مشقة الالتفات نحو اي من الجالسين .

وجاء «النادل» مسرعاً ، عارضاً خدماته على المليحة التي ما ان رأته حتى انفرجت شفتاها عن شبه ابتسامة غامضة ثم قالت له : «كالعادة» وعادت بعد ذلك الى صمتها المطبق ، ودفنت نظراتها في كتاب اخرجته من حقيبة يدها .

وغاب «النادل» ردحاً من الوقت ثم عاد وهو يحمل صينية طعام .

وكرر خادم المطعم عرض خدماته ، فاكتفت الحسناء بشكره بابتسامة واشارة نفي بسيطة من يدها .

ومرت دقائق كثيرة ، والحسناء لم تمد يدها للطعام .

وفجأة اخرجت ثمن الطعام من حقيبة يدها ووضعته على الطاولة ثم خرجت لا تلوي على شيء ونظرات الموجودين تلاحقها بشبه ذهول !

وهرولت وراءها . . وما ان اصبحت على بضع خطوات منها حتى ناديتها باسمها : «غادة . . غادة»

والتفتت غادة السمان نحوي . . وما أن رأتني حتى ارتسمت على شفتيها شبه ابتسامة ارتياح .

قلت : « رأيتك عندما دخلت المطعم ولدى خروجك منه بهذه السرعة . . لماذا لم تتناولي طعام عشائك ؟

قالت : « لا أشعر بشهية للأكل . . ولكن قل لي هل انت مشغول ؟ » وعندما أجبتها نفياً قالت : « اذن هيا بنا نتسكع بسيارتي في شوارع المدينة » .

وما ان احتوتنا سيارتها « السبور » الصغيرة حتى انطلقت بسرعة فائقة وعندما لفتُّ نظرها الى انني لا اريد الموت في هذا العمر المبكر ضحكت ثم قالت : « ألست سعيداً الآن ؟ » .

قلت : « سعيد لوجودي معك » . فقالت وهي تكمل ضحكتها : « اذن لا بأس . . فليس أروع من أن يموت الانسان وهو سعيد » .

ومرت فترة صمت قطعتها بقولي : « غادة . . هل تعتبرينني صديقاً » ؟

ـ بل أخ . . فأنت من القليلين الذين أرتاح لصحبتهم .

● شكراً . . فهل تعدينني اذن ان تكوني صريحة معي لو وجهت لك بضعة اسئلة ؟

ـ وهل كنت غير صريحة في أي يوم من الأيام ؟

● اعلم ذلك ، ولكنني عنيت القول ان حديثنا سيكون للنشر .

ـ وليكن . . فما تعودت الا ان أكون صريحة مع الناس بقدر صراحتي مع نفسي .

● قلت : « اختلفت الآراء حول حقيقة شخصيتك اختلافاً عجيباً ، حتى كاد البعض ان يجعلوا منك اسطورة غامضة . بعضهم يراك طفلة بريئة وبعضهم يؤمن بأنك داهية لعوب وآخرون يظنونك كاتبة جيدة هادئة كالجليد ، فمن أنت ؟ . . » .

ـ قالت : « ومن يهمه حقاً ان يعرف من أنا ؟ . . يلذ للناس ان يتساءلوا ولا يحبون معرفة الجواب . وإذا قيل لهم فإنهم يرفضون تصديقه ، ويصرون على البحث عن جواب اسطوري بعيد المنال . وكل انسان يسقط تحت الأضواء يصبح فريسة امزجة آلاف الناس في تفسيرهم له . انهم يجعلون مني أُحجية يتسلون بحلها . . وأنا . . انا الحقيقة التي لا يعرفها الا من يهمه حقاً ان يعرفها » .

● الا تعتقدين ان في العالم العربي عدداً كبيراً من القراء الذين يهتمون بك لانهم يحبون ما تكتبين ؟ فمن اجل اولئك قولي من انت ، وايهن ؟

ـ من أجل اولئك أقول أنا كلهن !! . . انا الطفلة حينما يسكب علي انسان ما شلال حنان من عينيه . وانا مدينة اسوارها محكمة الأبواب حينما يقترب مني « هولاكو » ما ،

قاسية كميدوزا يتحجر كل من ينظر اليها ، وحولها حقل من التماثيل الرخامية . وانا الكاتبة الهادئة التي تلتهب تحرقاً الى المعرفة حينما تلتقي بانسان في صدره كنز ثقافة وعلى كفه سلام ود واحترام .

● وغادة الضائعة لمن ؟

ـ اخبار غادة المشردة بين خصل الرياح لن تتناقلها الا الرياح . . . وحدها تكتم السر ولا تتصدق بابتسامة مشفقة فيها من خبث الشماتة أكثر مما فيها من حنان المشاركة .

● ورحيلك الدائم بين لندن وباريس وروما . . هل هو فصل من فصول تشرد الغجرية التي لا مرفأ لها ؟

ـ لا أدري تماماً . . خيمتي بلا اوتاد تبحر مع المجهول بحثاً عن أفق جديد الالوان . . ربما هي محاولة للهرب من الذات ، محاولة لفتح نافذتي لتفوح في غرفتي رائحة جديدة منعشة ، رائحة تراب كريم مبلل بمطر نقي . . لكنني في كل رحلة اكتشف انني افتحها على غرفة اخرى من غرف داري . . لا مفر للحبر من ذل المحبرة والقلم .

● وسألتها عما اذا كان للجو الاوروبي تأثير على نتاجها ؟ فقالت :

ـ من الطبيعي أن اتأثر بما حولي اينما كنت ما دمت غير مخزونة في انبوب اختبار مفرغ من الهواء ، وبالتالي فمن الطبيعي ان يتأثر نتاجي حينما اتبادل ردود الفعل مع العالم حولي .

وتحدثنا عن القلق والتمزق والضياع في قصصها ، فسألتها عما اذا كانت هذه الأمور الثلاثة هي التي تشدها الى الكتابة .

ـ قالت : « القلق والتمزق والضياع القاسم المشترك للانسان في كل مكان . الانسان المحكوم سلفاً بالموت ، المجرد من حق الاختيار ما دام لا يختار مولده ودينه ومجتمعه والعصر الذي يناسبه ويحب ان يعيش فيه . . الانسان المفجوع بالطين في رغباته ، اللاهث ابداً وراء اقصى نجمة حتى يطالها ، فيرمي بها ليسعى خلف حصاة لمجرد انه لم يدركها ! . . ان القدرة على التعبير عن ضياع الانسان في وجود هو مرغم على التلاؤم معه امر صعب اتمنى ان انجح في تصويره .

● ومن يقرأ قصصك يجد فيها أيضاً مزيجاً من المرح والحزن ، التفاؤل والخيبة . . فما هي الحادثة التي أثرت في حياتك وخلقت منك هذه الشخصية ؟

ـ بمرحي أجيب : لا شيء . . الريح التي مزقت ستائري البارحة لا تستطيع ان تعود اليوم . وبحزني أجيب : إنها حكاية تحنيط لم يدم طويلاً في تابوت من الخيبة والقرف .

وبتفاؤ لي اجيب: لما غاص الخنجر في أعماقي بحذق شيطاني وتلفتُّ حولي لأصرخ، رأيت في صدر كل من حولي خنجره الذي يحمله بصمت أو بتذمر ، فاخترت الصمت .
وبغموضي اقول : زرعوا في قلبي العاصفة فليحصدوا بروقها ورعودها .
واعجبت جداً بجوابها الأخير ، فحدقت في وجهها ثم قلت :

● لو لم تكوني كاتبة قصة ، فماذا كنت تتمنين ان تكوني ؟ فقالت على الفور :
ـ كنت اتمنى ان لا اكون . ثم اعقبت ذلك بضحكة صافية .
وراقني الجو الضاحك : فأردت الاستمرار فيه ، فقلت :

● نزار قباني ابن عمتك ، ولطالما تغنى بالجميلات فهل كان لك نصيب من غزله في يوم من الأيام ؟
ـ فنظرت الي وعلى وجهها عبوس ضاحك وقالت : « نزار قباني قريبي ، شاعر كبير قبل كل شيء ، لا كاتب « رسائل غرام » . . ولا يجوز طرح اسمه الا من هذه الزاوية ، ولا يجوز اعتبار شعره « تلطيش كلام » للحلوات . . . عيب . . اختشي !! . .
واختشيت . . وصمت ولكن غادة لم تشأ لي الصمت فقالت لي بلهجتها الدمشقية : « هات شو في عندك كمان ؟ » .

● من المعروف انك تعيشين في دوامة من الصخب والاحاديث الصحفية ، وضجيج فرامل سيارتك « السبور » . . فكيف استطعت رغم ذلك النجاح بتفوق في دراستك هذا العام ؟
ـ انها الازدواجية الوحيدة التي امارسها بإتقان وافخر بذلك . داخل الحرم الجامعي انا طالبة فقط لا غير . . . اما خارجه ، فانا . . يا أنا !!
وعدنا للحديث عن الأدب ، او بالأحرى الاديبات ، فأثنت غادة على كل محاولة نسائية لكتابة الادب . وعندما ورد ذكر ليلى البعلبكي على لساني « بطريق الخطأ » وتحدثت عن « الضجة المفتعلة » التي اثيرت حولها دافعت غادة عن ليلى البعلبكي بحرارة :

● « الملاحظ انك تمتدحين ليلى البعلبكي في كل مناسبة ، في حين انها تهاجمك في احاديثها الصحفية ، رغم الصداقة التي تربطكما ، فبماذا تعللين ذلك ؟ » .
ـ انا مسؤولة عن آرائي وابعدها عن المقايضة .

واستمرت السيارة في انطلاقها ، وتحدثنا في أمور كثيرة ذكرت غادة خلالها انها عملت مدة عامين في الصحافة . وعندما سألتها عما اذا كان بالامكان الجمع بين العمل الصحفي البحت والعمل الأدبي الخالص قالت : الجمع بين الصحافة والأدب كالجمع بين زوجتين . ممكن . . بشرط أن يعدل الكاتب بينهما !

ومضى الوقت سريعاً ، وبات على غادة ان تعود الى « بستاني هول » حيث تقيم مع زميلاتها الطالبات الداخليات في الجامعة الاميركية ، فافترقنا على امل ان نتسكع مرة اخرى !

١٩٦٤/١١/١٦

نهى سمارة تستجوب

● **كلمة « ثقافة » لا ترادف كلمة « شهادة » .**

« احياناً استيقظ في بعض الليالي فأتلفت حولي برعب ، اسأل عن الرياح التي طالما لفحت وجهي والليالي المعتمة التي طالما امتزجت كآبتي بأشباحها . . وادور حول النوافذ الزجاجية ، والأبواب المغلقة أتحسسها بيدي كسمكة جاءوا بها من المحيط » . . هذه زاوية من الحياة الجامعية للأديبة غادة السمان بكلماتها ، وفي هذا التحقيق صورة كاملة عنها .

اني الآن في منزل طالبات القسم الداخلي في الجامعة الاميركية ، انا استعيد في ذاكرتي رقمًا لغرفة اقصدها .

وتنوء يدي بحمل « كاميرا » تصويرية ثقيلة ، شاءت قوانين منزل طالبات القسم الداخلي في الجامعة ان تكون في يدي وليس في يد المصور .

«٢٠٣» «٢٠٤» «٢٠٥» واتوقف عند هذا الرقم انه رقم غرفة غادة السمان ، الأديبة التي اشتهرت في حياتها اليومية في شهرة الحرف ، لتعيش تحت ربقة الرقم ، فهي تعيش في الجامعة في غرفة لها رقم معين ولا يسمح لها بتناول الطعام مع زميلاتها الا بعد ان تظهر رقمها . في الجامعة ليست هي غادة السمان المعروفة لدينا ، انها رقم في سجل دفتر طالبات الجامعة . .

وانسى قضية الأرقام هذه لأقتحم عالم غادة السمان داخل غرفتها . اطرق على الباب . الا ان غادة لن تسمعني ، فضجيج صوت الطالبات اللواتي رأيتهن متجمعات في الردهة يكاد يصم الآذان، ضحكات مختلفة ، نقاش ، طنين متواصل .

وافتح الباب بهدوء دون ان اشير بحركة تنبه بوجودي لأرى اي عالم يشغل غادة

السمان في هذه الحجرة التي تشاركها فيها زميلة اميركية . وارى غادة منكبة وراء المكتبة التي تناثرت فوقها الاوراق والكتب ، وهي تنقب في كتاب ضخم وتتناول بعض الاوراق لتدون عليها بعض الملاحظات ، وافاجئها « بفلاش » كاميرتي التي سرقت لها لقطة جاءت « مهزوزة » ، وتتنبه غادة للنور يلمع في وجهها ، وتلتفت لتراني اهم بأخذ صورة ثانية ، وتضحك من الاعماق وتقول :

● **إذن لقد نكب الدهر بحرفة التصوير واصبحت مصورة ؟**

واضحك وأحاول أن أكيف نفسي مع تعليقاتها فأقول :

لقد نكب بي الدهر ، لكن اراك قد اطلت السهرة كالعادة أليس كذلك ؟

ـ اجل لقد سهرت لأنني اتصور النوم عقدة لم يتسن لي حلها بعد ، لا أنام يومياً اكثر من اربع ساعات . اقضي الليل في الدرس او في كتابة روايتي التي احضرها لأدفعها الى المطبعة قريباً .

● **اذن لقد انتهى عهد التسكع الليلي في سيارتك ؟**

ـ تقريباً اني في هذه الفترة منتجة كما لم اكن ابداً ، وهادئة وراضية بآلاف الصفحات التي التهمها بعيني كل ليلة بدلاً من اسفلت الشوارع . . .

● **بماذا انت منهمكة الآن ؟ أفي كتابة روايتك ام في تحضير دروسك ؟**

ـ لماذا تسألين ؟ انظري ما بين يدي ، وحاولي ان تجدي الجواب او حددي سؤالك على اجزاء المكتبة وعلى خطي الطول والعرض فيها .

● **ولكن يبدو انك تقومين بأكثر من عمل !**

ـ هذا صحيح فكل ليلة افرد امامي ما علي من اعمال ، لأحيط (بالأزمة) من كل جوانبها . وابدأ ليلتي بتذوق لقمة من كل طبق وكأنني امام مائدة « مازة » ! .

كلمة في الاطروحة . . جملة في مقال . . سطور في مذكراتي . . جواب لزميلة تدخل علي فجأة . . وترجوني ان اساعدها في كتابة رسالة غرامية ، وبعد ساعة اجدني تفرغت لعمل واحد ، وغرقت فيه فعلاً وقد فاجأتني الآن في مرحلة الاستعداد للكتابة .

وعاودتني شخصية غادة السمان الادبية التي يتصورها القارىء تعيش حياة تختلف تمام الاختلاف عن هذه الحياة التي تعيشها في عالم الدراسة والأرقام وفجأة قطعت غادة الصمت وكأنها توصلت الى فهم ما يدور في خلدي فقالت :

ـ لماذا انا هنا ؟ بصدق لم اطرح على نفسي هذا السؤال بالذات لانه يضعني امام ذاتي أمام ما أريد وما اصنع ، ربما كنت هاربة من الجواب ، أو من المسؤولية التي تحملها عادة

امام انفسنا لاستمزارنا في هرب طويل .

● **ماذا تعنين ؟!**

ـ لو انني ادري لما قلت هذا كله .

● **أفي جوابك تهرب ؟**

ـ تهرب من أن اواجه نفسي بالجواب .

● **وماذا كنت تكتبين حين دخلت عليك ؟**

ـ صفحتين لاحدى المجلات الاسبوعية .

● **وهذه الكتب المبعثرة ؟**

ـ انها مجموعة اشتريتها وهي تحكي عن « مسرح اللامعقول » الذي احضر اطروحتي حول موضوعه واستطردت بقولها :

وسأسافر لانكلترا لأقابل كتّاب هذا النوع من المسرح ولأشاهدها تمثل على الخشبة المسحورة .

● **هل بدأت بكتابة الاطروحة ؟**

ـ أجل لقد بدأت بكتابة مقدمتها .

● **نسيت ان اسألك لماذا اخترت هذا الموضوع بالذات .**

ـ اخترته اولاً لحبي له وثانياً هرباً من سواه فأنا لا ارغب بأن احنط نفسي في اطروحة أكاديمية أثرية بحتة كاحصاء عدد « عطسات » الأبطال في رواية ما . . . او عدد حروف الجر في قصيدة « لتشوسر » فأنا ككاتبة أرى انه من المفروض أن أكون على اتصال بالعالم الأدبي حولي بما فيه من تيارات واتجاهات جديدة وأدب اللامعقول هو تيار هام في نظري .

● **ولعل كلمة لا معقول تنسجم مع نفسك ؟**

ـ كلمة « لا معقول » غير ما تبدو من الخارج . واللامعقول بالمعنى الصحيح هو ما تطرحه هذه الكلمة الادبية . وترجمة لا معقول للكلمة الانكليزية absurd خاطئة إلا اذا أكسبنا هذه العبارة معنى جديداً . وهو محاولة التعبير عن العبث ، والعقم ، والمستحيل الكامن في صلب العلاقات الانسانية وفي جوهر انتصاراتنا وخيباتنا .

ثم انتقلت غادة من مقعد المكتبة الى كنبة واسعة تستريح فيها ، وأحسست أن الانسجام يبدو على أتمه بينها وبين الغرفة . . انه انسجام فوضوي نجده بين كل طالبة وغرفتها .

وتذكرت ان غادة كانت تعلم الانجليزي في الجامعة السورية وهي الآن طالبة تحضر للدكتوراه .

● **هل تعتقدين ان على الاديبة ان تنال شهادة عالية لتعطي ادباً « عالياً » .**

ـ اعتقد ان على اي كاتب في العالم ان يثقف نفسه ، لكن كلمة شهادة لا ترادف كلمة ثقافة ، الشهادة في نظري ليست اكثر من وثيقة اجتماعية لتسهيل العمل ، اي انها تشبه عقد الزواج الرسمي بالنسبة للعلاقة بين انسانين ، فأنا ادرس لأعمل ولا يضايقني ان اثقف نفسي في مؤسسة اجتماعية اسمها الجامعة .

● **ولكن شخصية غادة المتمردة كيف تتحمل الانضباط في مواعيد الدروس ؟**

ـ ربما كانت النمور المفترسة تلعق قضبانها احياناً بود وحنان اذا كان معها في القفص كتاب تحبه واستاذ تؤمن به . .

ولاحظت انها كانت ترشف باستمرارالقهوة الاميركية التي تدمن على شربها في كل مناسبة .

● **ولماذا هذا الولاء للأشياء التي تحبينها ؟**

ـ هذه عادة بدوية احاول عبثاً ان اتخلص منها . فلقد كان الأعراب يذبحون للضيف الواحد جملاً .

وبينما هي تتحدث عن البدو لاحظت في اعلى جبينها وشمة زرقاء ، ذكرتني بجو قصتها «غجرية بلا مرفأ» وبطلة هذه القصة غجرية مشردة . .

● **هل تؤمنين بتناسخ الارواح ؟**

ـ احب ان اؤمن بذلك كي لا اعتقد ان علاقتي مع هذا الوجود تبدأ باختيار والدتي لموعد ولادتي وتنتهي باختيار حفار القبور لمكان دفني .

● **في حال انك تؤمنين بتناسخ الارواح ، فأي جسد تحبين ان تتقمصي بعد موتك ؟**

ـ أريد ان اكون من ينظم هذه العملية . . أو مخرج هذه المسرحية . .

وغادة تحب التسكع . سواء على الاقدام او داخل سيارتها فهي تحس بالراحة الكبيرة تغمرها حين تعيش حياتها المنطلقة البعيدة عن شهرة الحرف وربقة الرقم . . وقالت غادة في ذلك :

ـ ليست الكتابة رتبة اجتماعية ينتحلها الكاتب ويبتكر لها طقوساً معينة ـ وبوزات ـ معينة . . انا واحدة من الآلاف الذين يسبرون في الشوارع وانا مثلهم اضحك احياناً وانا العق البوظة او ابحث مثلهم عن ركن مظلم امسح فيه دمعة . . كل ما في الأمر أنني

أعيد بث تجاربي بعد ان اعيشها في الآخرين قبل ذاتي .

● **ولأجل ذلك اذن تمارسنين « التسكع » .**

ـ أجل . . .

● **وما هو اجمل تسكع عشتِه ؟**

ـ كان ذلك في احدى ليالي منع التجول في دمشق ، وكصحفية كان لدي إذنٌ بذلك وسمحت لنفسي باستغلال مهنتي لأغراض شخصية . وانتقلت بسيارتي في شوارع المدينة الخالية لا يعكر صفوي سوى صراخ الحراس من وقت لآخر بكلمات « قف » اين الهوية . .

● **ألا تحنين للتسكع من جديد ؟ . . .**

ـ احياناً . . استيقظ في بعض الليالي ، فأتلفت حولي برعب ، اسأل عن الرياح التي طالما لفحت وجهي . والليالي المعتمة التي طالما امتزجت كآبتي بأشباحها ، ومئات الأميال التي كنت اقطعها بسيارتي حينها ارحل في الليل من مدينة الى اخرى ، واشعر انني غريبة كعجوز في روضة اطفال . وادور بين الغرف هنا . أرقب وجوه زميلاتي وصديقاتي . وجوه نائمة تحلم ، ووجوه راضية هانئة . وحينها ينمن جميعهن أجدني أدور حول النوافذ الزجاجية والأبواب المقفلة اتحسسها بيدي . . كسمكة جاءوا بها من المحيط ووجدت نفسها رهينة وعاء .

وتركتها وانصرفت ، انها سمكة في وعاء الجامعة الاميركية . .

١٩٧١/٢/٤

مفيد فوزي يستجوب

● تحدياً لكره الناس « ولادة البنت » : كنت اتمنى طفلي أنثى !

أصدرت الاديبة السورية غادة السمان كتاباً جديداً ، لم تره المكتبات ولن يقترب منه النقاد ولن تتصفحه عين انسان .

أصدرته ، بمعاونة زوجها الاستاذ الجامعي والناشر المعروف الدكتور بشير الداعوق . إنه ليس رواية طويلة خرافية أو مجموعة قصص قصيرة مثيرة وليس يوميات رحلة دير أو خواطر أدبية منمقة إنه تجربة حية من لحم ودم واقع حي ينبض ، يتنفس .

تجربة جاءت بعد معاناة ، طولها تسعة أشهر ، وعرضها عطش شديد للميلاد .

ان آلاف النساء تلد ـ كل لحظة ـ ولكن الاديبة والفنانة حينما تلد ، تستحق حواراً نطل من خلاله على أيام المعاناة منذ ان انتفخت بطنها بكائن حي . . يضاف الى تعداد العالم . . حتى صرخ اول صرخاته على الشاطىء واقترحت على : غادة السمان ـ الام ان تتكلم عن ـ « انتاجها » الجديد . . .

وبفرح طفولي ، وافقت !

والتقينا ذات نهار مشمس ـ خلال زيارتها لمعرض الكتاب الدولي في القاهرة .

● لك الآن ٤ مؤلفات . ثلاثة من حبر وورق هي : « عيناك قدري » و « لا بحر في بيروت » و « ليل الغرباء » ، ومؤلف واحد من لحم ودم . واسمه « حازم » . استقرت اخيراً « فتاة الاوتوستوب » ، « الغجرية بلا مرفأ » ، المشردة دائماً التي تقطن الطائرات وتنام في الاديرة ، وترحل من مدينة لمدينة . استقرت بجوار وليدها . . تذكرين عندما قابلتك في بيروت منذ شهور وكنت عائداً من تركيا وفاتحتك في رغبتي في حوار أدبي عن تجربة الحمل . . وانتظار الميلاد ؟

ـ اذكر انني هربت منك ، وسوفت الأمر ، لم يكن باستطاعتي ! كنت حاملاً على الطريقة

الصينية ، في بلادي يحسب الناس عمر الانسان من يوم خروجه إلى الدنيا من بطن امه . اما في الصين ، فيحسب الصينيون عمر وليدهم من أول يوم في الحمل . انهم بذلك يحاولون التأكيد على أهمية الأيام التي يقضيها الجنين في بطن امه وتأثيرها على جهازه العصبي وغير العصبي وربما على سلوكه وشكله .

ويبدو اني عشت تجربة الحمل ، بنفسية امرأة صينية ، لأني منذ الايام الأولى للحمل شعرت اني مستعمرة . هناك كائن غامض في احشائي يعطل لدي كل طاقاتي الفكرية ، وشعرت اني اتآمر على الفنانة في اعماقي لصالح هذا الكائن الغريب. لم تكن علاقتنا ودية ، فانا دوما اثور ضد ما يحول دوني ودون تحقيق ذاتي ككاتبة وقد ثرت على ذلك الكائن الطفيلي الذي يحتلني وينصب راياته في حواسي كلها . ثرت عليه ، ثورة من نوع غريب . ثورة سكونية . ثورة مستسلمة . فقدت القدرة على التفكير وفقدت القدرة على الكتابة ، وكنت أطيع جنيني !

● **في الحمل ، تكره المرأة او تحب نوعاً معيناً من الفاكهة او الطعام . . وأنت ؟**

ـ كنت في الواقع مصابة بالوحام الادبي ، إن صح التعبير . . وجدت نفسي اسيرة وحام فكري من نوع خاص ، اتجنب كل ما يهزني فكرياً ، واكره كل ما يحركني ! نامت اوتاري الفكرية والعاطفية . تحاشيت العزف عليها وعزفت في احشائي اوتار الامومة ، فقد كان ذلك الكائن الطفيلي ينمو بوحشية ، ويملأ المحاره .

● **وانقضت الاشهر الثلاثة الأولى ؟**

ـ وجاء الشهر الرابع والخامس ، احسست بدبيب . حركة صغيرة خافتة لكنها هناك . وشعرت ان يداً صغيرة تقرع جدران احشائي وتحاول ان تقول شيئاً ، كنت أقضي اكثر أوقاتي سجينة غرفتي وكنت ارقب ذلك القرع المتواصل على الجدران واحس بحوار اخرس مع ذلك الكائن السجين . انه يتصرف على طريقة السجناء الذين يستعيضون عن اللغة بالقرع فوق الجدران .

● **أنسيت أنك كنت سجينة ذلك الكائن وسجانه في آن واحد ؟**

ـ ونشأت بين السجين والسجان علاقة عجيبة حميمة . كانت حركاته داخلي وضرباته على جدران احشائي بمثابة اشارات لاسلكية عبثاً احاول حل شفرتها ، ويوماً بعد يوم صارت الضربات أشد عنفاً وكانت توقظني في بعض الليالي فاحسها كالاشارات التي ترسلها السفينة قبل ان تغرق ، وكنت افسرها مستعينة بغريزتي فاعتبرها احياناً احتجاجاً . ربما يعتقد اني لم أزوده بالغذاء الكافي او الراحة الكافية ، وربما يريد ان يبوح

لي باسرار الوجود ، اسرار الحياة والموت التي لا يزال يعرفها وهو الكائن الممدود كالجسر بين تخوم الحياة والموت ، القابع في وسط عالم المجهول الذي نبحث عبثاً عن كنهه .

● **وربما كان احتجاجه على عالمنا، ربما كان مذعوراً مما يسود دنيانا . الا تظنين ذلك ؟**

ـ ربما . . لكني وسط كل هذا ، وجدتني اؤ من كلية بنظرية الشاعر ووردثورث ـ عن كنه الشعر ورؤ ياه القائلة بان الطفل حين ولادته يكون لا يزال عارفاً باسرار الموت والحياة والوجود ، وانه بينما ينمو عاماً بعد عام ينساها بالتدريج ثم ينساها نهائياً حينما يكبر ، وان الشاعر هو الذي تأتيه لحظات طفولة واعية يمد خلالها جذوره الى عالم الاسرار وطفولته الانسانية ويعود الينا ببصيصة عن الحقائق الانسانية الغامضة . وكما انغمس في عمل ادبي او رواية طويلة ، انغمست وتفرغت لهذا الكائن . الصديق غالي شكري قال اني اتفرغ لنتاجي العضوي !

ووجدتني احول عالمي الى دير كبير وانكب على أول نتاج لي على حد تعبيرك من لحم ودم . . وقد سمحت لنفسي بايذاء عملي واصدقائي من اجل ذلك .

● **ايذاء ؟!**

ـ نعم ايذاء . تخليت عن ارتباطاتي كلها . كان طبيبي قد اصدر اوامره لي بالكف عن ممارسة اي نشاط . وجدتني لا اتحرك من عتبة بيتي دون استشارة ديكتاتور هو طبيب التوليد . الرجل الوحيد في حياتي الذي استطاع ان يحركني كما يشاء . طيلة تسعة اشهر وهو يعبث بمصيري وساعات نومي وطعامي ويقظتي وحتى عدد خطواتي !

● **كيف تصورت سجينك ؟**

ـ تصورته فراشة تارة . وغزالا تارة اخرى واحياناً نمراً ! وصرت احسه يهز جدران سجنه بعنف ، يريد الخروج .

● **والسجان نفسه يتعطش للافراج عن سجينه !**

ـ وجاءت اللحظة . قال لي الدكتور فايز سويدان بعد رحلة لا اعرف تفاصيلها جيداً ، لكنها رحلة الم عذب . . وعذاب حلو . . قال لي : لقد ولدت صبياً . لم أصدق . لم اجرؤ على التصديق . وأخيراً شاهدته . ليس في العالم مصنع يمكن ان يصنع شيئاً بهذه الدقة . ومع ذلك ففي كل ثانية تنتج المرأة على وجه الارض ملايين مثله . ليس مطلوباً منها ان تفكر لتنتجه او تكون ذكية او ان تكتب عن هذه التجربة .

● **انها الطبيعة تتكفل بكل شيء .**

ـ والمطلوب من المرأة ان تستسلم . ولقد كان الاستسلام بالنسبة لي تجربة قاسية ، ذلك

انه اصعب ما استطيع منحه !

● **صفي لي طفلك . .**

ـ انني اتلصص من آن لآخر على صورته ، ولكني تعلمت الا اتحدث عنه للآخرين لانهم لن يـرَوْهُ عبر عيني . سيرونه مجرد طفل آخر ليس اجمل ولا أقبح من ملايين الاطفال ، طفل تنجب مثله حيوانات الارض كلها ، لكنه طفلي أنا . هنالك انسان . انسان واحد في هذا العالم استطيع ان اشاركه سخافة التحدث عن طفلنا ساعات وساعات ، انه والد الطفل . وكلما كنا وحيدين نتهامس معاً عنه . عن حركاته وسكناته وشكله وهو نائم وهو يقظ وهو يبكي وهو يبتسم في احلامه . نتحدث عن ذلك بتفصيل يمتعنا ولكنه يضجر حتما اي انسان آخر !

حازم بالنسبة لنا انا وبشير ، سرنا المشترك . ضعفنا المشترك . انحرافنا المشترك الممتع الذي لا نستطيع ان نمارسه مع او امام اي انسان آخر . السر المشترك ، الضعف المشترك ، رابطة سرية ممتعة لا مثيل لها .

● **وعدت للكتابة بعد الولادة .**

ـ ايام كان طفلي في احشائي ، كنت انا مورد رزقه الوحيد . بعبارة اخرى كان يتغذى من دمي انا . لذا تحولت الى مجرد آلة مكرسة له ، ولم يكن بوسع اي انسان آخر في العالم ان يمنحه وجبة سواي . بعد الولادة ، عدت للكتابة عدت لذاتي .

● **اول مرة تجيئين القاهرة . . وانت أم ؟**

ـ وأعيش مناخ القاهرة بطعم جديد . . وغداً ، اعود الى بيروت لازرع في سطوري حصاد رحلتي في بيادر القاهرة .

● **والرحيل ، هل كففت عنه ؟**

ـ طفلي هو أول وتد يدقني الى شاشة الوجود التي طالما عشت أعواماً في فراغها على غير هدى ولكنني سأظل أرحل . في نهاية يناير اكون في عدن . بعدها اطير الى جنيف ثم الى مدينتي الضبابية الرمادية التي أحب ، لندن . احلم بنتاج روائي جديد . كان لا بد من « وقف التنفيذ » ريثما اتم اصدار نتاجي الأول من لحم ودم ! الرحيل وحده يمسح الصدأ عن ذاتي وريح المطارات وحدها تستطيع ان تنفض الغبار المتراكم على حواسي طيلة تسعة اشهر عاطلة عن الحياة . كنت اعيش خلالها ولم اكن احيا .

● **انت نادمة على التجربة ؟ في صوتك رنة ندم . .**

ـ نادمة ؟ ابداً ! اول مرة جاءت الممرضة بطفلي الى غرفتي وتأملته ، لا أدري ماذا حدث

لي . صرت ارتجف . وبدا عرق حار ينزف من مسامي كلها . كانت مشاعري مزيجاً من الدهشة والفرح والحب الذي لا حد له . لقد احسست برعشة حسية تجتاحني شحناتها اشد عنفاً وتوتراً من أية شحنات تحسها عذراء ، ظلت تنتظر فارسها الف عام حتى جاء . لكنني . . لا اظنني قادرة على تكرار التجربة . ان هذا يتطلب اعواماً . . لا تنسَ اني امرأة اعتادت رصد انفعالاتها ، واعتادت الانكفاء على ذاتها في معرض مراقبة ما يدور في الاعماق . والحمل عملية مؤلمة جداً بالمعنى الفكري . انها شلل اختياري ! الحمل الفكري أسهل من الحمل الجسدي . انثى القطط لا تتجاوز مدة حملها أربعين يوماً !

ولهذا احسدها . ان انثى الرجل هي الحيوان الوحيد الذي يصبح عاجزاً عن الصيد ، وعن ممارسة حياته الطبيعية مدة طويلة لا تقل عن تسعة اشهر ما عدا انثى الفيل التي يدوم حملها اكثر من عشرة أشهر على ما أظن .

● هل في ممارسة المرأة لأنوثتها ـ في صورة الحمل مثلاً ـ ما يتضارب وانسانيتها التي تمتلكها اليوم أكثر منذ دخلت دنيا العمل كالرجل ؟

ـ استقبل سؤالك هكذا ـ اذا سمحت لي ـ ! هل اشتراك المرأة في ميدان العمل والتفكير واقتراب جهازها الفكري والعصبي من تكوين جهاز الرجل يضعف قدرتها على ممارسة انوثتها الكاملة المتجسدة في عملية الحمل والولادة ؟! ربما ، فالمرأة العصرية كما يبدو لي اقل قوة على احتمال الألم الجسدي . .

● ان عصرنا « صنع » المرأة والرجل على السواء .

ـ لكنه ما زال عاجزاً ـ حتى اليوم ـ عن تصنيع عملية الحمل والولادة . . والعلم ما زال قاصراً عن اختراع أنابيب وآلات تكون بمثابة رحم اصطناعية تتولى عن المرأة العاملة المفكرة مهمة الحمل ! يخيل إليَّ ان المرأة المعاصرة تدفع ثمن تقدمنا المادي الاعرج . فالانسان استطاع الوصول الى القمر ولكن رواد الفضاء سيموتون كما كان يموت قبل ثلاثة آلاف عام اي انسان يسافر على جمل .

● ان التقدم العلمي ، ما زال قاصراً في مجال اسرار الحياة والموت والخلق .

ـ وحضارتنا المادية ما تزال عرجاء في مسيرتها . انها تطلب من المرأة ان تكون رجلاً معاصراً بطريقة ما ، ولكنها في الوقت ذاته تعجز عن تقديم اي عون أساسي جذري في مهمتها التي ماتزال تمارسها كما كانت تفعل منذ ملايين السنين .

● كون هذا الكائن طفلاً أم طفلة ؟ هل كان يهمك ؟

ـ ربما من قبيل التحدي ، كنت اتمنى ان يكون طفلي انثى . التحدي لقيم في شرقنا الذي يحزن لمولد الانثى .

● **لماذا اطلقت عليه اسم حازم ؟**

ـ طفلي كائن مستقل لا أريد أن يكون امتدادا في أسرة . انما اريد له ان يكون بداية لذاته هو وحده . انه ليس ديكوراً في شجرة أسرة زوجي ولن اسمح قط ان يكون كذلك ، لذا لم أُسمِّـه باسم جده كما تقضي التقاليد . اطلقت عليه اسم بطل ثائر في أحدى قصصي في « ليل الغرباء » . هذا التمرد يشاركني فيه زوجي ولم يكن اول تمرد نعلنه معاً . . ولا أول خروج على المألوف ننصب راياته سوياً .

● **تحلمين لطفلك ؟ .**

ـ ما قيمة احلامي ؟ . . سأتركه يعيش حياته ومصيره ويختار بحرية مشواره لا أدري ماذا يصنع طفلي لهذا العالم يوم يكبر .

● **ألم يكن نابليون وبيتهوفن وشكسبير ذات يوم اطفالاً في شهرهم الأول . . مثل « حازم » ؟**

ـ هذا القول يراود كل أم وفي كل عصر هنالك أم أو أكثر تصدق نبوءتها !

● **فيما تريدين أن يشبه أباه ؟**

ـ أتمنى لو تكون له نظرة والده للأشياء . انها نظرة متحررة من نظرة الرأي العام . عينه جديدة مثل عين الفنان والطفل !

● **قلت لي يوماً ان أيام العمر محيط مزروع بالالغام نمخرها بحواسنا البشرية . . ماذا بعد مجيء حازم الى دنياك ؟**

ـ العلاقة الانسانية بين انسانين تجعل الرحلة أقل قسوة وتزرع في عتمة ليلها لحظات مضيئة كالنجوم ، صافية كالدموع والفرح فنحن نحمل اجساداً هشة سريعة العطب ، واذرعنا مجاديف مثقلة بالاحزان . وحازم . . . مرفأ .

٣/ ٦/ ١٩٨٠

ندى ياسين تستجوب

● الشهيرات لسن أفضل النساء العربيات .

من يقرأ كتابها « القبيلة تستجوب القتيلة » الذي ضمنته بعض الحوارات الصحفية التي اجريت معها حتى نهاية ١٩٨٠ ، يكاد يسأل نفسه : وأي موضوع بعد لم تُسأل فيه غادة السمان أو تبدي رأياً ؟! هذا الحوار معها محاولة للدخول في التفاصيل التي يستشف منها ملامح غادة المرأة ـ الانسان . .

فهي ، كالصرخة المسروقة الا من ألمها . . اسمها تمدد كالصدى ، ولم يتبدد . . ربما لانه نبت من ألم ، من دمعة انهمرت وحيدة . ملوحتها أذابت ماء الوجوه . ووحيدة انهمرت في البحر . . بصدق دهشة الطفلة اتحدت به . دخلت في السر ، تجددت بالتجربة . تطهرت بالحزن . توالدت في الغياب . وبقي اللازورد شفقاً احمر يلهب ذاتها . يحرقها مع كل مغيب . .

ومع كل آهة يتجدد الالم بالتجربة عمقاً ، وبالكلمة بعداً ، وبالعقل إلماماً ، وبالذكاء شمولاً ، وبالانثى دهاء ، وبغادة السمان رمزاً لاسم عالق كإشارة استفهام . .

● تحرصين على ابقاء طفولتك في الظل ، وهذا ما نود تسليط بعض النور عليه ، كأن نسأل : من هي الشخصية الطاغية في طفولتك ؟

ـ والدي هو الشخصية الطاغية في طفولتي ومراهقتي الأولى . كان رجل علم قضى حياته في محراب الكتاب . والى جانب عشقه للكتب كان عاشقاً للموسيقى العربية القديمة وللطبيعة ، منفتحاً على الموسيقى الكلاسيكية .

هذا الرجل اللطيف انطبع في روحي منذ الطفولة ، وأظن انه علمني في اللاوعي ان العلاقة مع الرجل يمكن ان تكون غنية ومثمرة ، ولذا فأنا لست « شوفينية » في كتاباتي ، ولست ضد (الرجل) ، ولكنني ضد اللاعدالة سواء مارسها رجل أو امرأة .

اتخيل جوهر العلاقة بين المرأة والرجل هو التعاون لا التصادم ، ويخيل الي ان جذور ذلك تعود الى زمن الطفولة الأولى . والدي لم يكن يميز بين معاملته لي ولاخي الذكر . وهكذا كبرت دونما عقدة نفسية ضد « الذكر » ، ودونما السقوط تحت وهم تفوقه أو تخلفه . . ومن هنا فانه لا يسعدني كثيراً ان يمتدحني النقاد بقولهم انني اكتب كالرجال، ولكنه ايضاً لا يتعسني ! كل ما في الأمر هو انني احاول ان اكتب لا كما (الرجل) ولكن كما (الانسان) .

عشق والدي للموسيقى منحني فرصة اكتشاف هذا العالم المذهل لبيتهوفن وباخ وموزار وتشايكوفسكي وغريك وبرامز ، وبيلا بارتوك وجيرهارد وبروخنر وفورجاك وسبيليوس وسواهم فيما بعد .

عشق والدي للطبيعة حملنا كل صيف الى مزرعتنا الصغيرة (الشامية) على شاطىء نهر بردى بين « الهامة » و « جديدة الوادي » حيث علمتني الطبيعة دروس الحياة الأولى . . . لقد ولدت في مدينة من أقدم مدن العالم هي دمشق ، وخرجت احمل في دمي تنوع خبراتها والوانها ومناخاتها ، هناك تعلمت جيداً دروس « شعرة معاوية » وتلك العذوبة الدمشقية الحريرية الشرسة التي هي دوماً حصيلة الحضارات المتمازجة والعريقة . . لكن علاقتي مع الطبيعة جاءت لتتوج ذلك كله بنكهة الالتصاق بالتراب بعيداً عن الاقنعة ، والالتصاق بنبض الليل والحقيقة وكائنات الطبيعة بعيداً عن المشاعر التقليدية . . .

● ما هي (الزوادة الفكرية) التي حملتها منذ الطفولة ، وكيف تفتحت فيما بعد ؟ نريد امثلة حية وحكايا واقعية .

ـ لقد حرص والدي على تزويدي بدروس مباشرة . . . وتكفلت دمشق والطبيعة بتعليمي ما هو ضروري لطفلة ستصير كاتبة حين تكبر .

درس الارادة والصبر والاحتمال يعود الفضل فيه الى والدي . في العاشرة من عمري كنا نمشي مع الفجر من بلودان الى بقين ثم نعود الى بلودان مشياً في طريق (القادومية) ـ مسيرة اربع ساعات ـ ، وكنا نمر في طريق العودة بنبع ماء مثلج ، وكنت اركض الى الماء لاشرب وأنا أنزف تعباً وعرقاً لكنه كان يمنعني من الشرب (لأنه يجب تنمية الإرادة كأي عضو آخر في الجسد ولان الماء البارد على حد قوله يؤذي الحنجرة حين يتصبب الجسم عرقاً !!) وكان يسمح لي فقط بالمضمضة (!) وغسل وجهي ، وفي البداية كان ذلك تعذيباً وكنت اسرق بضع جرعات ابتلعها . وخلال سنوات من هذا

النمط من (التدريب) على اكثر من صعيد ، تعلمت جيداً ترويض جسدي ونفسي ، واستخدام تلك الحاسة شبه المنسية في جيلنا التي اسمها الارادة والتي تسترخي عادة امام اغراءات السهولة والرخاء . مثال آخر على تدريبه لي : كان علي ان اتعلم السباحة في نهر بردى الذي يخترق مزرعتنا بسرعة هائلة بعد ان يكون خارجاً من سد لتوليد الكهرباء يبعد عن المكان الذي اسبح فيه حوالي ٥٠٠ متراً . وهكذا كان علي ان اسبح في تيار هائل القوة ، وسط مياه درجة حرارتها صيفاً لا تفوق الخمس درجات فوق الصفر ، وكنت حين اغادر الماء اشعر انني التهب بتلك (السونا) الطبيعية ، وجسدي يكتسب قوة وعافية عبر هذا الوجع . . . واعتقد انني مدينة لصحتي الممتازة لابي ، ولتلك الأيام التي اخرجني فيها من الترهل التقليدي وكشف لعيني امكانات قلما تعنى المرأة الشرقية بسبر غورها . . . وحتى اليوم انا الجأ إلى الطبيعة حينما اواجه اية ازمة ، ولم اعرف في حياتي (المساج) و (السونا) وغيرها لانني اعرف اين اجدها حقاً . . . ان انامل شلال يتساقط فوق الكتفين خير من اصابع خبراء الدنيا في التدليك . . . وسباحة ليلية من الشاطىء الى باخرة مجهولة ثم العودة (مع ما تتضمنه من مخاطر) خير للروح وللنفس من كرنفال مائي نستعرض فيه ازياء البحر وننسى رعشات البحر . . .

تثقيف والدي لي كان شديد التنوع على الطريقة الدمشقية : علمني الفرنسية اولا كي (الثغ) كأبناء « نهر السين » ، ثم القرآن كي يستقيم لساني ، وأغرقني بقراءات التراث العربي والشعر الانكليزي فيما بعد .

وبالفعل ، اكتشفت في ندوتي الادبية الأولى حين صعدت الى المنبر انني « الثغ » بحرف الراء (رفاق الحرف القدامى ربما كانوا يذكرون ذلك عني) . . . فماذا فعلت ؟ بدلت الكلمات التي فيها ذلك الحرف (اللعين) بمرادفات لها تخلو منه ، وقرأت القصة امام الناس ، وبعدها التجأت إلى مخزوني من الارادة . وصرت كل ليلة قبل أن أنام، احاول ان الفظ حرف الراء بصورة صحيحة حوالي الف مرة ، واحياناً يغلبني النعاس فأغفو قبل الالف . وهكذا ليلة بعد اخرى وشهراً بعد اخر حتى جاءت (اللحظة المباركة) وسمعت نفسي الفظ الراء بشكل جميل كأي مقرىء قرآن محترف . وليلتها قفزت من سريري وصرت اركض في البيت وانا اصرخ بمل صوتي (ر . . ر . . . ر . . .). كنت سعيدة لان الارادة تستطيع حقاً ان تصنع أي شيء اذا ثابرنا . . . واستيقظ الاهل (والجيران) بقلق ، وشرحت لهم الحكاية . واحتفلنا بحرف الراء حيث زرعت بذوراً في الحديقة على شكل حرف الراء ، وحين نمت البذور وصارت

ازهاراً كنت قد نسيت الحكاية وكدت اتهم نفسي بانني فعلت ذلك اكراماً لشخص الحرف الأول في اسمه هوحرف الراء ثم ذبلت الازهار ورحل السيد (راء) وكل ما تبقى من الحكاية ، قصة من قصص كتابي « عيناك قدري » ربما لن تجدي فيها حرف « راء » واحداً . الازهار تذبل ، الحكايا تنسى ، والاحباء يرحلون ، ولا تبقى الا الكتابة .

● **علاقتك مع الطبيعة ؟**

ـ علاقتي مع الطبيعة حميمة بشكل خرافي . في احضانها تعلمت دروساً لامتناهية . على سبيل المثال ، اليك « درس حب التملك » .

كنت اعشق تلك الكائنات المضيئة التي تطير ليلاً . هذه اليعاسب كانت تسحرني ، ولا يمكن لشخص عايش الطبيعة عن قرب إلا وأن يكون قد شاهدها . كنت اتخيلها ضوءاً حيا يطير ، وسحرتني ، وقررت امتلاكها ، وقضيت ساعات حتى امسكت بواحدة منها . . . لكن جسدها لم يكن من الضوء واللؤلؤ الشفاف . . . حين وضعتها على الطاولة تحت كأس فوجئت بأنها حشرة أخرى بنية وكئيبة ، وقد كفت عن ارسال ضوئها . وحتى حين اطفأت (نور الظلمة) ظلت معتمة وحزينة كعاشقة مسجونة . . . ووعيت اننا لا نستطيع امتلاك كل ما نحب ، لان مجرد عملية الامتلاك تقتل احياناً في المحبوب احلى ما فيه . . . هنالك كائنات لا تزدهر الا ضمن شروطها هي لا شروطنا نحن ، والطيران المضيء شرطه الأول : الحرية . . .

● **ماذا تعني لك الصداقة ؟**

ـ الصداقة تعني لي الشيء الكثير . انها تأتي عندي في مرتبة الحب ، لان الصداقة كالحب ، كسر لعزلة القلب ، وتدمير لصقيع الغربة .

ثم اكتشفت : الصداقة فخ . . . انه الفخ الوحيد الذي نصنعه احياناً باتقان ، لذا فاننا حين نسقط فيه ، يكون السقوط موجعاً حقاً . من هنا صرت شديدة الحذر في صداقاتي . شديدة الدقة في الاختيار . افضل صداقة الرجال على صداقة النساء . وافضل صداقة المرأة العاملة على صداقة امرأة تحترف الاسترخاء .

فالحياة العامة عركت الرجال وانضجتهم بوجه عام ، وهم ايضاً اكثر وفاء لصداقة امرأة لانتفاء عامل الغيرة . هذا لم يمنع من وجود مخاطر ، اذ يستيقظ لديهم « حب التملك » احياناً فيخلطون بين « الصداقة » و « الحب » ويصير الامر مربكا .

بالنسبة للصديقات ، لقيت مفاجآت كثيرة حلوة من صديقات لم يتخلين عني

رغم اننا نعمل في حقل واحد . لكنني بوجه عام اميل الى ان تكون صداقاتي مع نساء عاملات خارج الحقل الذي اعمل فيه كي لا تتحالف المصالح والضعف البشري ضد صداقتنا في بعض المراحل !

● **ماذا يعني لك السفر ؟ والحرية ؟**

ـ السفر هو المعرفة والحرية . وحين أقول المعرفة ، فأنا لا اعني فقط المعرفة بشعوب اخرى وبلدان اخرى ، وانما أعني معرفة الذات .

الرحيل عن الروتين اليومي المألوف يسمح للنفس برحيل الى الداخل . . . بمزيد من الحرية في الابحار نحو الأعماق . . . أنا لا أرحل لأتخدر : أرحل لأصحو . أيام تشردي في لندن ، صحوت على طاقتي الهائلة للعمل ، ولحب الحياة في آن معاً .

أما الحرية ، فلا اعنيها بمعناها المبتذل : التفلت من كل قيد وضابط . اعني بالحرية كسر النافذة اليومية المألوفة التي أطل منها على الدنيا والقيم والمرئيات بشكل روتيني ، واستبدال النافذة بالافق ، والاطار بقوس قزح ، ورنين الهاتف بصوت الريح .

● **والحب ؟ كيف يحتلك ؟**

ـ الحب بمعنى حب امرأة لرجل يحتل حيزاً معقولاً في حياتي لا مبالغة فيه سلباً او ايجاباً . اما الحب كموقف ، الحب كأسلوب في الحياة نحو كل ما أفعله ، وكل ما امسه ، وكل ما تقع عيني عليه ، وكل ما يحيط به بصري أو بصيرتي فقضية أخرى .

اننا لا نستطيع ان نفهم الزهرة اذا لم نحبها . اننا لا نستطيع الدخول الى اللون اذا لم نحبه . اننا لا نستطيع سماع موسيقى الاشياء اذا ظل تعاملنا معها من الخارج .

مثال بسيط : حين نحب لونا ما ، نكاد نسمع له موسيقى خاصة . همهمات . صرخات . نشم له رائحة مميزة. فالحب يفجر طاقة الانسان على الالمام بهذا الكون بصورة اكثر كثافة . الحب يرفع درجة الوعي لدى الانسان بما يحيط به . الحب خروج من التثاؤب الى التوهج . من السرداب الى الشمس . من الذهول عن روعة الكون ، الى الاستغراق فيه . الحب حرارة في (التعاطي) مع الاشياء وضوء كشاف في دهاليز النفس البشرية ومعميات اسرار الوجود . الحب محبرة ، وبدونها تأتي الكلمات مكتوبة بقلم حبر فارغ وجاف . الحب هو الفرق بين انسان ينبض وآخر يمضي كجثة سرية الموت تؤدي دورها الاجتماعي .

● **تطالعين كثيراً . كيف ومتى ولمن ولماذا وكم ؟**

ـ قرأت من الكتب اكثر مما يتسع لـه عمر واحد . . وكل كتاب انجزه ، يذكرني بعشرات الكتب الأخرى التي لما اطلع عليها .

القراءة كالمقامرة . كلما اخذت منها ، كلما احسست بالحاجة الى المزيد . القراءة كمدن الاساطير ، دروب لا تنتهي . القراءة مثل حكايا الجدات عن الجان ، كل حكاية تقود الى اخرى، حكاية داخل اخرى . . . وهكذا الى ما لا نهاية . . .

لمن اقرأ ؟ القراءة كما الموسيقى . لكل مناخ كتابه .

انا مثلاً لا استطيع الاستماع الى بيتهوفن صباحاً فهو يدمرني ويسحقني ويزلزل روحي . الامر ذاته ينطبق على مسرحيات شكسبير . لا استطيع مثلاً قراءة « الملك لير » صباحاً . انها حفلة تعذيب . في الصباح افضل القراءات النظرية التي تهذب العقل دون ان تفجر اللاوعي . شيء نقدي مثل كتابات دكتور جونسون مثلاً من القدماء ومارتن ايسلر من المعاصرين . تستطيعين قراءة مارك توين وحتى برنارد شو صباحاً ولكن ليس فرجينيا وولف . قراءات فترة العصر الى ما بعد الغروب هي قراءاتي الجادة ، التهم فيها تلك الكتب التي تخترقك حتى العظم وتستخرج الى ضوء القمر مخاوفك السرية ، وتقددها ، وتجدينها عند الصباح جالسة تنتظرك الى جانب عقد ياسمينك الذي جف .

بين العصر وما بعد الغروب يأتي زمن دوستوفسكي ومارلو وفولكنر ودون وبليك وغوته وتشوسر وميلتون ودرايدن وجيمس جويس وكافكا وفلوبير واناتول فرانس وسارتر ولورانس وتوماس مان وميللر ومايلر وتنيسي وليامز وهنري جيمس . . واذا تابعت فالقائمة لا تنتهي . . . اما من حيث القراءات العربية ، فأنا احرص على قراءة كل ما يصدر بغض النظر عن قيمته الفكرية . . .

حقل آخر الاحقه : الأدب المعاصر . واجد صعوبة في الحصول على الكتب ، وكم جئت الى لندن من اجل (الشوبينغ) في مخزن (فويلز) فقط ، حيث احس امام هذا الخزان الهائل من الكتب بما تحسه النساء عادة أمام الفراء والمجوهرات في مخازن « هارودز » و « سيلفريدج » مثلاً ! وكم عدت من (فويلز) لندن بحقائب وتبدو الدهشة على وجوه رجال الجمارك ، وهم يتأملون بنطلوني (الجينز) وحقائبي الخالية من الثياب ، المحشوة بالكتب .

هنالك قراءات غير ادبية انا مولعة بها حقاً . قراءات في علم الحيوان ، والنبات . قراءات عن كائنات هذا الكوكب وحياتها وطباعها وعن النبات ككائن حي اثبتت الدراسات الحديثة ان له هو ايضاً حياته النفسية التي نجهل حتى الآن كل شيء عنها ما

عدا تأثرها بالكهارب العاطفية المحيطة بها وبصوت الموسيقى . . . من يدري قد ينجح العلم ذات يوم في مخاطبة النبات والتواصل معه . ونكسب حليفاً جديداً هائلاً .

احب ايضاً القراءات الفنية حول الفن التشكيلي ولا احب القراءات حول الموسيقى او شرح السيمفونيات لكنني احب الاطلاع على سيرة حياة الفنانين .

● النساء المتألقات في المهن العملية نادرات . فلماذا لم تبرز المرأة في ميادين العمل ؟

ـ لان المرأة مسحوقة تحت التقاليد والظلم واكداس التفاصيل البيتية الرتيبة المتكررة التي تقتل يوماً بعد آخر كل توهج في النفس . نادرات هن النساء اللواتي استطعن التحرر ـ كالرجل ـ من الاعباء البيتية ، كي يتفرغن لاداء اعمالهن في جو مريح كالرجل . . . وقد نجحن في ما نذرن انفسهن له .

لكننا نجد المرأة غالباً ـ طبيبة كانت أم محامية ام موظفة ـ هي المسؤولة عن (جبهة البيت) بالاضافة الى عملها ، فتعود من عملها كي تنجز اعباءها المنزلية والا تعرضت لهول غضب الزوج والمجتمع . هل سمعت مرة برجل استقال من وظيفته لانه تزوج ؟ اكثر النساء مرغمات على ذلك دون ان يدهش احد، بل ان الناس يجدون في هذا سلوكاً عادياً .

هنالك امر واقع : لا احد يستطيع العيش في بيت قذر كالرصيف. ولا احد يستطيع الأكل في المطاعم كل يوم . ولا احد يستطيع قذف طفله من النافذة كي تربيه قطط الشوارع وتتولى ارضاعه عنزة عابرة سبيل . اذن ، الواجبات المنزلية اعمال لا مفر من انجازها ، وقبل ان يتبدل نمط حياتنا ككل ، وتوجد دور حضانة حقيقية ومطاعم جماعية ، وقبل ان يحصل نسف كامل لاسلوب حياتنا الذي ألفناه منذ مئات السنين ، فان المرأة بصورة عامة ستظل اقل (بروزاً) من الرجل في الميادين الأخرى . . باستثناء نماذج نادرة نجحت لا لانها افضل بكثير من سواها ، ولكن لان الصدف ساعدتها أيضاً على تحرير نفسها من اعباء منزلية كانت ستلتهم طاقاتها كلها لو لم تهرب منها بطريقة ما ، او تتكيف معها بمساعدة اضافية .

انا اؤمن ان النساء الشهيرات لسن افضل النساء حقاً . واعتقد بوجود نساء عربيات مبدعات عشن في صمت وتعذبن في ظلام المطبخ ومتن دون ان يعرف احد عن مواهبهن شيئاً. « جان دارك » محظوظة لانها أحرقت علناً ،وما اكثر النساء العربيات اللواتي يحترقن سراً ويصمت . . ولا تقام لهن التماثيل ، بل ربما يشيعن باللعنات . . .

١٣/ ٣/ ١٩٨١

مصطفى ناصر يستجوب

● أنا مقاتلة شرسة والأزمات تجلو عني صدأ الأمان !

● ما هو جديد غادة السمان ، الشخصي ، العاطفي ، الادبي ، الفكري والاقتصادي ؟

ـ انا بحالة استنفار ، وكل ما في كياني اعلن حالة الطوارىء القصوى والتعبئة العامة ! . .

لدي جديد أدبي . . وهذا يلغي لدي كل جديد آخر . ها هي حياتي الشخصية تذوب كالصابون تحت أمطار الكلمات الجديدة المتدفقة .

حياتي الاجتماعية ؟ حينما اكتب شيئاً جديداً اصير برية ومتوحشة وعاجزة عن التواصل مع احبائي حولي . حينما اكتب جديداً اهرب من احب الناس الى قلبي خوفاً من الاساءة اليهم بذهولي وشرودي ، لانني اكون في تلك اللحظات نائية اتابع حياتي السرية مع ابطال القصة التي اكتبها . . المرعب ان الكاتب يخلق ابطال قصته ، واذا بهم يخرجون من الورق ويتمردون على ارادته ويختارون الصحو حين يكون بحاجة الى النوم ، ويقررون متابعة حياتهم حين يسترق لحظات يطل خلالها على حياته الشخصية والاجتماعية .

مأساة الفنان هي ان (أبطال قصصه) يسرقون منه (أبطال حياته) ، ويكسرون له علاقاته الاجتماعية كما يفعل سرب من الافراس البرية داخل مخزن الاواني الصينية والكريستال .

النتيجة المحتومة : حينما اكتب ادخل في العزلة . لا ألتقي بأصدقائي رغم شوقي اليهم . اصير مرهفة مثل جرح ، وأخشى أن تفسد عواطفي الشخصية عملي الفني .

في فترات الراحة ، أهيم على شاطىء البحر مثل قطرة ماء تائهة تفتش عن الموجة

الام التي قذفت بها الى الليل !

● **يقال ان الحب يلهب قلوبنا في مختلف مراحل حياتنا ، ولكـل فترة يلبس هذا الحب زياً مختلفاً . أي زي تلبسه جذوة حبك اليوم ؟**

ـ اعيش هذه الأيام (حباً ابجدياً) أسهر مع (كان واخواتها) ، وأرى (الافعال الناقصة) باهرة الاكتمال ، وأشاكس (حروف التسويف) وأركض على السطر وأنا اقفز من فاصلة الى اخرى ، وحينما اتعب اترك حروف الجر تجرني الى النوم عند (إن وأخواتها) . .

هناك حب آخر ألهب قلبي في مراحل حياتي كلها وما زال يرتدي الزي نفسه : انه حب الطبيعة . . . علاقتي ما تزال حميمـة مع همس الريح عبر الاشجار ، وشلال القمر فوق امواج البحر . . بوسعي ان أتأمل زهرة كما لو كانت مدينة . . إن مخلوقات الطبيعة البالغة الجمال هي الفرحة المجانية التي منحها الله لنا جميعاً بالتساوي ، شرط ان تكون لنا عيون تبصر (ما تراه) وتغرف من هذا السحر المتدفق .

● **لو قدر لك ان تبدئي عمراً مهنياً آخر ، هل تعودين الى الكتابة، ام ان هنالك مهنة اخرى تستهويك اكثر ؟ واليوم ، هل تعتبرين نفسك محترفة كتابة أم انك لازلت تحت تأثير رونق الأدب ؟**

ـ انا لم اختر الكتابة . بعبارة اخرى ، لم أجلس الى طاولة الحياد البارد واقرر بموضوعية : سأكون كاتبة . كأن الكتابة هي التي اختارتني ، وأنا معها لا أملك لأمري شيئاً . بعبارة أخرى : لا أملك إلا ان اكتب أياً كانت الحياة التي اعيش والمهنة التي أمارس . وهكذا ، لو اعيد خلقي كما أنا ، بكل ما في داخلي من نوازع وانفجارات ، سأجد نفسي من جديد راكضة الى نهر الابجدية الذي لا عودة منه . . تسألني هل انا محترفة كتابة ؟

إذا كان الاحتراف يعني الروتين وأداء الواجب فأنا لست محترفة كتابة . أنا عاشقة كتابة . ما زلت اشتعل وانا اكتب وتركض النار في حواسي كما في غابة صيفية .

● **كتبت الرواية والاقاصيص والنثر الشعري . فأي هذه الأنواع أقرب الى نفسك ، ولماذا ؟**

ـ اكتب الرواية وعيني على الشعر وعزائي ان الفرق بين هذه (الانواع) ليس نوعياً حقاً . . ليس هنالك سور حجري كسور الصين يفصل بين النثر الروائي والشعر . . الشعر كأنفاس الربيع ، تتسلل مع الرياح الليلية الى كل مكان وتترك بصماتها على

أوراق الكاتب الذي يستدعيها ، وينتظرها مرهفاً كعاشق يشتهي وصلاً .

● **بعد هذه الحقبة من عمرك الكتابي ، هل تعتقدين بأنك ما كتبت إلا ما يجب كتابته ، ام ان الصحافة والواقع المعيشي فرضا عليك كتابة ما لا ترغبين ؟**

ـ اكثر الذين يرغبون في التنصل من بعض ماضيهم الكتابي ، يلقون اللوم على الصحافة والواقع المعيشي . انا اعتبر الفنان مسؤولاً عن كل حرف يكتبه ، ومن هذا المنطلق اقول انني مسؤولة عن كل حرف سطرته . . هذا لا يعني انني معجبة بكل ما كتبت ، فالطبيعة البشرية مفطورة على النقص مهما اكتملت ، لكنه يعني انني بذلت في كل لحظة كل ما بوسعي للاقتراب من الحقيقة والابداع .

اعتراف آخر : هنالك كتابات كثيرة رفض اصحاب الصحف والمجلات التي عملت فيها نشرها ، وقد جمعتها وسأصدرها ذات يوم في كتاب اسمه « مقالات ممنوعة » !

● **تتسم اكثر مقالاتك الادبية بالأسلوب التقريري ، فهل انت مع هذا النوع من الأدب ، ام انها ملاحظة في غير محلها ؟**

ـ يخيل الي انني استخدم الاسلوب التقريري حين اتحدث عن حقيقة يومية نهائية ، كأن اذكر تاريخ مولد اديب ما او تاريخ موته ، أما في غير ذلك ، فأنا قد استخدم الاسلوب التقريري دون ان انسى التأكيد ان هذه هي وجهة نظري انا ، مع ابداء شهيتي للانصات الى (وجهات النظر) الأخرى .

● **انت حزينة في معظم كتاباتك ، حتى الحميمة منها . لماذا ؟ هل تفرحين بحزنك ؟**

ـ ان تكون كتاباتي حزينة لا يعني بالضرورة انني أنا حزينة (كما انه لا يعني العكس بالضرورة !) بعبارة اخرى ، احب التأكيد على عدم وجود علاقة مباشرة بين مزاجي الشخصي وبين مزاج ابطال قصصي او مناخ كتابتي .

حين اكتب ، لا اكتب حزني الذاتي ، وإنما اكتب الحزن العربي . والحزن العربي لا أراه سلبياً وانما اراه مشحوناً بالغضب على واقع لا يتلاءم وماضيه المجيد . حزنيَ ليس حائط مبكى جديداً ، إنما هو مهماز لتحريك الهمم ، وثورة على الذات .

● **ماذا تحرك فيك الأزمات ؟**

ـ أنا مقاتلة شرسة ، والازمات تجلو عني صدأ الأمان ، فأعود قاطعة وحادة وبراقة مثل سيف عربي مشدودة كأوتار عود عباسي . . حينما اواجه مشكلة صغيرة أرتبك . حينما أواجه كارثة أتماسك !

● **لماذا ما زلت مصرة على ممارسة العمل الصحافي ؟ هل لأن الصحافة جسر يوصل بسرعة الى الشهرة ؟**

ـ الصحافة في يومنا هذا وفي بعض اقطارنا جسر يوصل بسرعة الى الاعتقال او الخطف او الاضطهاد أو الذبحة القلبية في أفضل الأحوال . . ثم انني أموت شوقاً الى ممارسة العمل الصحافي ، وأنا شبه عاطلة عن العمل منذ اعوام اي منذ اسست « منشورات غادة السمان » وغرقت في سلسلة كتبي « الاعمال غير الكاملة » التي انجزتها منذ أيام وختمتها بكتابي « القبيلة تستجوب القتيلة » أما الآن فـ (القتيلة) بشوق الى عملها ، والعمل الوحيد الذي أحسنه هو الصحافة . . ولم يعرض علي احد مهنة اخرى . . فماذا افعل ؟

● **بدايات غادة السمان الادبية مختلفة نوعاً عن انتاجها الاخير ، فكيف تعنونين الفرق بين المرحلتين ؟**

ـ لا توجد مراحل . هنالك تطور طبيعي وحتمي . . تخيل اية كارثة هي ان يكرر الفنان في كل كتاب ما قاله في كتابه السابق !!

● **ما هي اللحظة التي تهرب منك ، وتسعين لاعتقالها ؟**

ـ كل تلك اللحظات السرابية ، العذبة او القاسية . . تلك اللحظات المشحونة صدقاً ، الحية عبر اتصالها بدورتنا الدموية ونبض القلب والعقل . . تلك اللحظات المتوترة المنسية واللامنسية مثل حلم متوهج لحظة اليقظة . . ندهش . . اين مضى ؟ أهذا الصدق كله كان حلمًا ، وهذه الجدران الرتيبة (وتكّات) الساعة والسقف والعنكبوت ، هذه كلها هي الصحو ؟

١٢/٩/١٩٨١

زينب حمود تستجوب

● اتكاثر واتناسل في قبيلة من النساء العربيات العاملات .

دائمًا متلبسة بالقراءة والكتابة هذه الدمشقية الآتية من غوطة دمشق ، وصبا بردى ، ومحارات صباحاته الندية .

كتاباتها ملتزمة بالحياة والصدق وهي المرأة ، الانثى ، الاديبة ، المميزة .

وها نحن قبائل متعددة نستجوب القتيلة غادة ، وتعلن علينا صراحتها ، تلك الجنية التي تربعت على عرش الكلمة ، أدباً وأسلوباً ولغة فأصبحت إمرأة البراري المكشوفة للضوء والصدق والريح ، في مملكة الزلازل وفي مهب الاعاصير ، تتطاير وتتفتت ثم تعود وتلملم أشلاءها الآدمية والسرابية لتتطاير من جديد ، لتصف من الخارج آلام الاعاصير والموت والضياع في هذا الكون الرمادي (السر) .

تلك هي غادة السمان التي تشعر مع تشيكوف في مسرحية النورس بأنها وحيدة في هذا العالم كما تشعر معه بصقيع الغربة . . ببرد الوحشة .

وتنادي مع مالرو « ان الأفكار يجب الا تبقى أفكاراً فحسب بل ان تتحول الى أفعال معاشة » .

مدهشة غادة . لا بريء عندها ولا محايد . بل هناك نوع من التواطؤ بين السكين والجرح بين القاتل والمقتول .

تكسر الأغلال التي تحاصر الرغبات . تشتعل . ترقص . وتحب ـ ولأنه كما تقول « كل شيء سيركب قطاره ويمضي : الحب ، الفرح ، الصداقة ، الذكريات » تخترق المفاهيم التي وجدتها مكرسة للرياء والزيف ، كونها ترفض التدجين .

فليقرأ كل من لم يعرف غادة ؟ وهذا مستحيل ان لا يعرفها أحد . لأنها مغروسة في بساتيننا أريجاً عبقاً . وورودا يانعة . ولأنها ذاتها المرأة في كتاباتها . انثى عاشقة

ثائرة ، صادقة ، فليقرأ اجوبتها رداً على اسئلتنا في حوار غير عادي مع أديبة غير عادية .

● **غادة .. الأيام تدور ، والأزمنة تعبر ، ونحن ننتظر أقدارنا ومصائرنا . . انت ماذا تنتظرين في هذه الأيام . . وماذا تفعلين ، وما آخر أخبارك ؟**

ـ لا أنتظر . أعمل .

لا أقف . أستخرج جناحي السريين وافردهما على طول النسيان والأفق . . لأطير . . . .

أنتظر ؟

لا أحد ينتظر قدره حقاً . كلنا بطريقة ما نضع أقدارنا ومصائرنا ، كل لحظة هي لحظة إختيار .

كل همسة على الهاتف يمكن ان تتحول الى منعطف حياتي حاد الزاوية . وانت تتخذين القرار . تهمسين أو لا تهمسين . تكونين أو ، تكونين بطريقة أخرى . . . (كي لا أقول كهاملت : تكونين أو لا تكونين !) . . .

حسناً لا أستطيع إنكار دور الصدفة ؟ لكنك بالمقابل يا عزيزتي لا تستطيعين إنكار دور القرار .

ماذا أفعل ؟ اقف مع الموت العذب ، ضد الفضيلة الرثة . . . واعمل . . . واحب . . . . واكتب . أقرر وانفذ . قررت إنجاز « الأعمال غير الكاملة » وقد فعلت وصدرت . والآن يعاودني ذلك الحس المرير بأن في قلبي خفقة لما ترتعش ، وفي قلمي كلمة لما تقل . . . فأعود لأكتب عملاً جديداً . . وانحاز من جديد الى الموت العذب ، ضد الفضائل الموهومة الرثة . . .

● **تسافرين . تغامرين كالسندباد الطائر . نراك في كل الأمكنة . ماذا جنيت من هذا السفر الدائم ؟**

ـ جنيت الحس بالحرية ، اي بالوحدة الموجعة ! . . .

وجنيت القدرة على « الحب » دونما « حب التملك » ـ كما سكان مملكة الليل والترانزيت كلهم ـ ، أي جنيت بالتالي رحيق الفراق المر اليومي .

وحينما يقطع جناح الطائرة الفضي عنقي ، كما السنبلة على حد المنجل ، ادرك بأن الرحيل عن الألم أكذوبة ، وكل منا يرحل حاملاً في اعماقه سكاكينه التي تمزقه ، والعيون التي تؤرقه والوطن الذي يحتويه . . . كأن كل إنسان بمعنى ما قارة متكاملة ، وإذا رحلت فهي تمضي بكل زلازلها وبراكينها وغاباتها وبحارها . . . ولا تغادر كوكبها

قط حقاً . . . وان كانت تتوهم ذلك !

● انهيت اعمالك « غير الكاملة » مؤخراً . . . ماذا تريدين من هذه العطاءات الكثيرة وماذا قطفت من ثمار ؟

ـ طموحي بسيط ، وهو لبساطته يصدم الآخرين .

اريد ببساطة ان اكون ذاتي . . . لا أجلس كل ليلة كالمرابي ، أسطر حساباتي من ربح وخسارة . . .

إنني مواطنة لا يسكنها الحس بالذنب وتطالب في كل لحظة بحصتها من الشمس والقمر ، والعمل والفرح ، والتدفق والحيوية والنمو دونما قيود . . . وضمن إطار احترام تدفق الآخرين وكيانهم . . .

● ماذا قطفت من ثمار ؟ . . . .

ـ إذا استثنيت تلك الرعشة الخارقة التي تمتلكني كلما وطئت مدينة جديدة ، فانني أقول ان الثمرة النضرة التي أقطفها كل يوم هي إستمراريتي في الجيل الجديد من بعض الكاتبات والصحافيات . . . كل نجاح لرفيقة درب سواي اقطفه باعتزاز ، وافرح حينما اسمع صوتي قادماً من حنجرة سواي . . . كأنني اتكاثر واتناسل في قبيلة من النساء اللواتي لا يخشين الأفعى . . . أو آدم ! كأنني (أتقمص) كل امرأة عاشقة ، أو مقاتلة ، تنزف صدقاً وحيدة ! . . . .

● لك لغتك الخاصة ، وعالمك الخاص ، وميزتك الخاصة ، بين اديباتنا العربيات ، هل لك (بوشوشتنا) عن غادة المرأة . . الأنثى الشرقية . . . كيف تعيش . . . ؟

ـ لا أذيع سراً إذا (وشوشت) : لست انثى شرقية ! ولا أعرف بالضبط ماذا تعنيه عبارة « الأنثى الشرقية » ، لكنني بالتأكيد لست « انثى غربية » . أنا مخلوقة طالعة من براءة الاثم الصادق . ومواطنة تعي حقها المشروع في الشمس والدوار والأشجار والرياح والقمر والغثيان والرقص والنسيان والعمل والازدهار والانكسار والصواب والخطأ . . . وأصر على امتلاك نصيبي من الألم والفرح وذلك كله . .

● اخترقت الحواجز ، وكتبت عن الحب ، والجسد ، والرجل ، والحياة . كيف حصل ذلك ، وهل اعترضتك صعوبات ، وخدشتك أشواك ؟

ـ ولا أذيع سراً أيضاً اذا قلت انني بنت اللحظة . بمعنى ما . وذلك يصفحني ضد الماضي . والضعف الذي يسببه (الخضوع) الى الماضي بالمعاني كلها من فردية وجماعية .

أنا امرأة اللحظة الآتية . لست من ذلك النمط الذي يتزوج أحزانه زواجاً كاثوليكياً . ولا من ذلك النمط الذي يقترن بماضيه وعينه على مستقبله. إني أخلع الماضي عني في كل لحظة كثوب مهترىء ، وادخل في المستقبل بشراسة كما حد السكين داخل قالب الزبدة نصف المنصهرة وأمضي الى باخرة المستقبل عارية من ذاكرتي ، لا أرتدي غير ثوب الدهشة والترقب . وفي أعماقي تكمن تلك الآلام العتيقة التي تحولت الى خبرات لا إلى دموع . . الى معرفة لا الى جرح متعفن . . . . الى وعي لا إلى وشم .

● غادة انت عدة نساء في واحدة . . إمرأة تسبح في اللامألوف ، وثانية واقعية تريد المألوف ، واخرى ضبابية تبحث عن المطلق . غادة ايهن انت ؟

ـ انا إمرأة تألمت طويلاً ، وبصمت . . . لكن ذلك لم يتحول الى ستارة تحجب عنها حقيقة الأشياء . كل ما في الأمر ان الطبيعة البشرية لم تعد تسحرني أو ترعبني . وصرت اتعامل معها بوضوح قطاع الطرق وحنان الندى . . .

وجوهي المتعددة يجمع بينها قاسم مشترك هو الوعي بالعلاقة الجدلية بين الشقاء والبهجة . كما بين الشهد وإبر النحل وانا ببساطة أتقبلهما معاً ! . . .

● الآن في هذه اللحظة . بماذا تحلمين ؟

ـ احلم باستمرار الحلم ذاته فالطاقة على الحلم لم تهجرني يوماً ولأن الحلم مجاني ، فانني طبعاً احلم بالمستحيل ! . . . احلم بالنقاء ، بزمن نقي ، بوطن نقي ، بمطر نقي . .

امشي في عواصم المدن النائية ومطاراتها ، والمطر يغسلني كقطة بلا مأوى ، وامام بائع الكستناء اهمس للجمر بصمت : إن الغبار يغطي وجه العالم . . . والرماد يغطي شفاه العشاق المتورمة لكثرة القبلات والأكاذيب ! . .

● ماذا تنتظرين من الحياة ؟

ـ لا انتظر . أهرول ، واترك الحياة تلحق بي ! . . .

اهرول الى موتي الجميل المثقل بحياة صادقة ، واترك الأشياء تطاردني ، وترتبك بصدقي ووضوحي !!

● اين وجدت الحقيقة في هذا الكون ؟

ـ اظننا التقينا مرة ، لكنني لم اعد اذكر !!

بلى أذكر . . . وجدتها في الصدق . صدق الكلمة . صدق الجسد ، صدق العلاقات العابرة دونما أقنعة إجتماعية .

صدق الخيانة ، صدق الروح ، صدق الغدر ، صدق الشوق .
أي صدق الإنسان لطبيعته البشرية المراوغة .

هذه هي غادة ذاتها المرأة في كتبها . وفي احاديثها مشرئبة كالنور انثوية عاشقة ثائرة . صادقة متألمة مملوءة بالحالات التي تسكنها بلذة جنونية تبالغ في واقعيتها كما تفرط في احلامها . وبين الواقعية والأحلام يكمن السر ، الذي هو المطلق حيث ما زلنا جميعاً نبحث عنه .

٢٨/٧/١٩٨٣

ياسين رفاعية يستجوب

● كتابة قصة تشبه سرقة خزانة حديدية .

تسأل أي كاتب عربي عن بيروت التي اختارها موطناً ، يقول لك : لأنها الحرية والكرامة والابداع والفن ونظرة كبيرة الى الافق والمستقبل . وبيروت ، برغم عذاباتها . وبرغم الف الف خنجر في الظهر تبقى ، وستبقى ، واحة الحرية وكرامة الإنسان وتوقه الدائم الى مستقبل مشرق . ولحديث غادة المتزوجة من لبناني نكهة خاصة ومميزة . بل لعلها ، تمثل بحق رأي كل الكتّاب العرب الذين جعلوا من لبنان وطنهم الأعظم . والذين يحلمون ان يجعلوا من لبنان وطنهم الأعظم .

● كتبك « لا بحر في بيروت » ، « بيروت ٧٥ » ، « كوابيس بيروت » ، مقالاتك المتنوعة ، قصصك هنا وهناك : بيروت ماذا تعني لك بيروت المدينة ، وبيروت الرمز ؟

ـ منذ طفولتي وانا اطارد حماقة لا شفاء منها اسمها : الحلم بالحرية . وبيروت اججت في نفسي ذلك العشق المجنون الأرعن منذ لقائي الأول بها ، ولا تزال تجلدني به .

كأنها البارحة ،

اركب سيارتي ، واغادر بها وكري الهادىء ، المسيج اجتماعياً ومادياً في دمشق ، الى بيروت ، لأطارد حلمي بالحرية .

مع القرارات الكبيرة دوماً يحدث لي الأمر على هذا النحو : انفذ ولا اقرر . استيقظ ذات صباح ، واجد القرار اتخذ نفسه في معزل عن الكلمات الكبيرة ، وانا امضي اليه بألفة من يأكل زيتونة .

وهكذا ، عبرت عما تعنيه بيروت لي عملياً . دونما دراما ، ولا مسرحيات وداع وعتاب ، وحيرة وتساءل ولوعة ، وطقوس عائلية ، وبوليصات تأمين عشائرية ،

وخطوط رجعة معبدة وجمع وطرح ولوغاريتمات ، وجدتني امضي الى بيروت كما يمضي المرء الى قدره مخلفاً كل شيء وراءه ، ودون ان يلحظ انه اتخذ للتو قراراً حاسمًا في حياته .

كأنها البارحة ،

ذات ظهيرة ، ذات هدوء (مفلوج) ، ذات صدق ، حملت حلمي الابدي بالحرية تفاحة حجرية اشتهي قضمها ، ونشرت اجنحتي السرية التي تتوق الى التحليق على طول الأفق البحري .

تلك النبضات الطالعة من عزف ارغن رخامي في قاعات الدهور الغاربة ، وتلك الرعشات الأخرى المملحة المسائية ، تلك المحطات التي فقدت رشدها وصارت تركض فوق خطوطها الحديدية وتدهس قطاراتها العتيقة ، تلك الافتراسات المنشبة حنانها في قلبك المترع بالغموض ، وكل ما هو انا ، من دهاليز وبراري كان يرتسم في بوصلة لا يشير سهمها الا صوب بيروت الحرية . . . بيروت الحلم . . . بيروت التي طحنتها الأيام فيما بعد ، فما سحقت الحلم الا بقدر ما أعادت تشكيله .

كأنها البارحة ،

بهدوء مجنون لا شفاء له ، أقود سيارتي وعمري ـ كأنني سرقتهما معاً ـ صوب بيروت . اقطع ظهر البيدر . امضي في تلك الدرب التي لا تزال تخطف انفاسي بجمالها بين صوفر والكحالة ، وارتجف حبا نحو ما اجهله .

كأنها البارحة ،

الغابات والقرى تتنهد الريح الخريفية ، وقد صادف حضوري للاقامة في بيروت يوم عيد الصليب (ولم اكن اعرف ذلك لحظتها) ، ولن انسى ذعري حين دوت الانفجارات الاحتفالية وانا اعبر القرى ، وشاهدت النيران مشتعلة في قمم الجبال ، وخفت كثيراً انا طفلة الانقلابات العسكرية المتعاقبة في سوريا ، وقد فتحت عيني على انقلاب يعقبه انقلاب . اذكر انني تساءلت بذعر : هل تلاحقني لعنة العنف اينما حللت ؟ وهل انتهى حلم الحرية قبل ان يبدأ ، مسحوقاً كسنبلة تحت جزمة عسكري ؟

ولم اكن ادري لحظتها ان ما هو امر وأدهى ينتظرني ، وأهل هذه المدينة جميعاً . . . وانني لن اعلن التوبة يوما على اقترافي حب بيروت ولا الندم .

كأنها البارحة ،

انفجر اطار السيارة الخلفي وانا أتأمل ذلك الوادي السحيق الباهر السحر الى يمين

الدرب قرب صوفر (وادي حمانا ؟) ، والغروب الدامي يغتصب المرئيات شجرة شجرة وغلة نملة ، وقد تحولت شقوق التربة الى شفاه . توقفت الى اقصى اليمين ، وجاذبية القاع تناديني . اخرجت دولاب الاحتياط ومفتاح (الجنط) . فككت (عزقات) الاطار الغادر ، وبعدها (عفرتُ) السيارة ، سحبته من مكانه ، ثم قذفت به الى الوادي دونما تردد وتأملته يتدحرج فوق ذرى الأشجار والصخور والأشواك . . .

يومها لم اطلب المساعدة من احد ، ولم احتفظ بالإطار الغادر لاصلاحه . ووعيت في تلك اللحظة ان قدري هو ان اعامل حياتي الحرة في بيروت على هذا النحو . . . لا مساعدة مطلوبة من احد . لا اتاوات على رفاق الدرب لمجرد انني انثى . . . وبالمقابل ، الدواليب التي تخذلني اقذف بها الى وادي النسيان . . . ولا احاول اصلاح ما فسد من حياتي وانما اقتطعه ، والكي أول الدواء لا آخره .

حلم الحرية كان شجرة يانعة ومشنقة في آن . وحياتي البيروتية نظمتها داخل موجات من الفوضى الجميلة المترامية ، قذفت بي الى فوضى (قطارية وجوية) بين لندن وباريس وزوريخ وهامبورغ واستوكهولم وانتهت بي الى جزيرة (مايا مايا) في الشرق الاقصى (الفليبين) ، مروراً بجهنم والقارات .

ولكن ، اينما كنت وكيفما كنت ، ظلت بوصلتي تشير الى بيروت ، وقلبي طائر ليلي يحلق دوماً صوبها . . . ولن اتلو يوماً فعل الندامة لانني تعاطيت حب بيروت وشعب لبنان . وقبل ان تصير بيروت على كل شفة ولسان ، موضوعاً للاغاني والكتب ونشرات الأخبار العالمية ، كانت عنواناً لأوائل ما صدر من اعمالي ولمعظمها في ما بعد . . كأن شريانا يصلني بايقاع تلك المدينة بخيرها وشرها . وحساسية خاصة من نوع ما تربطني بها ، يعرفها كل عاشق نحو (موضوع) حبه حتى في ذروة لحظات الرفض والكراهية .

● **انت ثائرة من طراز آخر . لكنك ضد العنف . هل هناك ثورة ناجحة دون عنف ؟**

ـ ليس سراً ان للحرية (الحمراء) باباً ، بكل يد مضرجة يدق . . . الى آخره . انا احلم بـ (الحرية البيضاء) ، تنفتح لهمس الحق . دونما قرع ابواب في معزوفة النزف . واحلم ، بان ينفتح باب الحرية البيضاء على الأفق والبحر ، لا على قاعات محاكم التفتيش التي تتوسطها مقصلة . ولكن كيف ؟ وهل نستطيع حقاً ان نأكل العنب دون ان نقتل (الناطور) ، ما دام الناطور يهدد كل من يلمس عناقيد الحرية ؟

حين اتأمل الطبيعة البشرية وثنائيتها ، اكاد اوقن باستحالة ذلك . . ولكن مع العنف انا متناقضة وحائرة كمعظم الفنانين الذين يكرهون العنف والظلم في آن . اكره

المستبد ، وبالتالي اكره عدم الاطاحة به ، واكره العنف ، ولكن ما الوسيلة الأخرى للتخلص منه ؟ وكيف نضمن عدم تحول الثائر الى مستبد لحظة تلامس اصابعه صولجان السلطة ؟ . . وعدم وجود ضمانات ليس مبرراً لقبول الظالم خوفاً من ان نبتلي (بأظلم) منه . .

وكما قلت لك ، انا متناقضة وحائرة امام هذه القضية . . . وقد تقنعني عقلانياً بان لا تبديل ممكناً دونما عنف ، لكنني في المقابل لن أمجد العنف ولن ابرره لأحد . واذا فعلت سأكون تعيسة تعاسة قاتل أطلق الرصاصة دفاعاً عن نفسه . . . انني بكل تعقيد وبساطة اريد التغيير واكره الانقاض والدمار . اكره القذيفة ، واحب ما تفعله حين توقف المجرم (عند حده) . اريد ورقة اكتب عليها ، واكره قطع شجرة ! اريد الحرية وردة طالعة في براري الوطن لا من عيون الجماجم . اتوق الى العدالة دون ان استبد حتى بالديكتاتور وصحبه ، واتوق الى الديموقراطية في مهرجان بعيد عن حد المقصلة ، ولكن ، كيف ؟

هل يمكن اختراع حرية جديدة تولد بهدوء كاطفال الأنابيب ، ام أن الحرية ستظل الطفل الوحيد الذي لا يأتي إلا في مخاض الدم والالم ؟

لا أدري . . كل ما ادريه انني امقت العنف حتى حين امارسه دفاعاً عن النفس ، واتمنى لو كان اكل البرتقالة ممكناً دون استعمال السكين او خدش القشرة . . . ولكن ، كيف نطالب جائعاً بأكل برتقالة دون مس قشرتها بأذى ، ألا يبدو منطق الشعر امام صرخة طفل جائع مثل جورب عتيق مثقوب ؟

● **الحرية في اكثر كتاباتك . اين هي الحرية التي تنشدين ؟**

ـ انشد الحرية كوحدة متكاملة (شاملة) في صحاري القمع المترامية والا فكل واحة حرية (صغيرة) سيتم اغتيالها ، وستأتي عليها الرمال وتبدو لي المطالبة بـ (حرية المرأة) أو (حرية الاديب) قضية وهمية لانها جزء من كل ، وهذا (الكل) الذي لا مفر من تبنيه لكل من يشتهي قضمة حرية هو (حرية الانسان العربي) . هكذا افكر احياناً ، ويغمرني الغم المطبق لانني سأموت قبل طلوع الفجر ، ولان الاشياء ـ ربما ـ كانت اقل رداءة يوم ولدت .

واحياناً اتمسك بالممكن وعيني على الحلم . . . وارى في بيروت إمكانية تحقيق حرية نموذجية . . اختبارية . .

الحرية التي احلم بها ، هي حرية (التعددية) تعدد الآراء ووجهات النظر

والصراع الفكري المفتوح بعيداً عن الارهاب والقمع والتخوين المسبق . حرية الخطأ ، والنقاش ، والانتقال من اطروحة الى اخرى ضمن مناخ انساني يحترم الفكر الآخر ، بشرط عدم الخروج عن شطرنج الابجدية الى دهاليز الارهاب .

كانت الحرية هاجسي الدائم في سلوكي وكتابتي . . وذات يوم كان عليّ ان اختار بين البقاء دودة ولكن داخل شرنقة حريرية آمنة ، أو التحول الى فراشة بشرط مغادرة حماية الشرنقة . وقد اخترت الطيران بين الدبابير والعقبان والغربان والطائرات الحربية ورادارات القمع ، طمعاً في نسمة حرية بأي ثمن . . واخترت فضاء بيروت لان كمية (الاوكسجين) فيه كانت متوافرة اكثر من توافرها في الفضاءات العربية الأخرى . واليوم ارى في بيروت شاشة تعكس مدى صدق العرب ، وقدرتهم على تجاوز مأزق الديموقراطية والحرية . . . واكرر : ازدهار براعم الحرية في بيروت مؤشر ايجابي على امكانية نمو (الحرية والديموقراطية) كنقيض لموجة القمع المنشبة اظافرها في غير قطر عربي .

● **الشعر ميزة في كتاباتك النثرية (مقالات ـ خواطر) ، في حين نرى لغتك القصصية اشد ارتباطاً بالواقع ، هل تتعمدين ذلك ؟**

ـ لا اتعمد ذلك ، ولا اتقن التنظير لاعمالي . ولكنني ـ بوجه عام ـ ارى ان الشعر في القصة ينبع من روح الاحداث ، ومن مواقف الشخصيات وسلوكها ونظرتها الى الاشياء . في القصة انت لا تكتب (نصا شعرياً) لكنك قد تكتب (سلوكاً شعرياً) وموقفاً (مشرقطا) من الاشياء . الشعر كالحب ، لا تدري متى يدهمك على حين غرة . . يطلع عليك من منعطف قصة ، ينسكب مطراً ربيعياً من رفة عين لم تخطط لها في سلوك البطل . ويخيل الي كلما كان كاتب القصة (عفوياً) ، ازدادت امكانات لقائه المفاجىء بالشعر في اثناء الكتابة . فبعض الكتّاب يذهبون الى فعل الكتابة كما يذهب الملك الى مهرجان ، وهو يعرف سلفاً كل كلمة سيقولها ، او ستقال له ، وكل خطوة سيمشيها ، ولعله حفظ سلفاً عدد درجات السلم ولون السجاد وارتفاع قوائم الكرسي التي سيجلس عليها . انهم يخططون للقصة سلفاً ، ولخاتمتها ، ومثل مهندس حاذق يرسمون خارطة ويعرفون موضع كل حجر حتى قبل موعد حفر الاساس . هذا اسلوب في العمل الروائي ، ليس رديئاً وليس جيداً في المطلق . انه طريقة ولكل كاتب وسيلته للابداع ، لكنه ليس وسيلتي .

اسلوبي في الكتابة الروائية والقصصية ـ حتى الآن ـ هو النقيض . اذهب الى فعل

الكتابة كما يذهب القلب الى المغامرة . ثمة بعض الخطط المسبقة طبعاً ، لكن كل شيء يتبدل خلال فعل الكتابة . تولد عوالم لم اكن احلم بها ، اسمع صرخات كنت اجهل ابجديتها ، وتطلع شموس وصواعق ما كنت مررت بها . الكتابة لي هي في استمرار فعل مفاجأة طالعة من مناخات سديمية متأججة .

وكتابة قصة تشبه سرقة خزانة حديدية لا تدري بالضبط ما تضمه وتنفتح غالباً على افق فسيح . انك تجرب الصيغ كلها لفتح الخزانة ، ولا تدري تماماً كيف ستعالجها انامك . ولعل هذا الاسلوب في الكتابة يجعل الباب مشرعاً دوما لدخول الشعر ، او لاستقباله اذا حضر . انك لا تتعمد دعوته ، وترحب به كجزء من الواقع الانساني . الشعر قد يصمت في (مجلس القصة) ، لكنك قد تعي حضوره في السلوك العام وفي مجرى الاحداث وتسمع صوته الصامت يدوي في اذنيك .

● **انت تقرأين في أكثر من لغة . هل تعتقدين ان شعرنا وادبنا ما زالا قاصرين عن العالمية ؟ ولماذا ؟**

ـ نعم ولا .

ثمة نصوص عربية ليست قاصرة عن العالمية ، وفي وسعها ان تهز وجدان اي قارىء رفيع المستوى في اي مكان وزمان . .

وثمة نصوص عربية معاصرة مدهشة التخلف ، تنتمي بجدارة الى العصور الوسطى وربما إلى ما قبلها بكثير . ثمة ميزة فريدة في الكتابة العربية لم أجدها في لغة أخرى ـ من التي أتقنها ـ وهي ذلك التفاوت المذهل بين اقصى الرداءة وأقصى تعايش العصور . كأن الأدب عندنا يعكس حقيقة اجتماعية فريدة ، وهي اننا أقوام يتعايش لديهم الديناصور والصاروخ .

● **عندما تكتبين ، هل تشعرين ان ثمة رقابة على اصابعك .**

ـ رقابتان تحاولان افساد عملي ، وتعوقان تدفقي مثل اعشاب بحرية شريرة تتكاثر داخل مروحة مركب . . . الرقابة الأولى هي روح تتلبس بكل كاتب ويمكن ان تكون مؤذية جداً . انها (روح النقد) . احياناً يصير صوت الناقد في اعماق الاديب اعلى من صوت الكاتب او الشاعر ؛ فاذا خط الشاعر حرفاً جاءه صوت من اعماقه يفنده ، واذا خط سطراً (تنطّح) له ناقده الداخلي وافسد التدفق بمحاضرة تقييمة نقدية تقطع عليه سيل افكاره والانسكاب العفوي للحظات خلقه . .

الناقد في اعماقي لا اعاني منه كثيراً . فأنا بطبعي كاتبة مغامرة ، اذهب الى

الكتابة كما يذهب المقامر الى سباق الخيل ، بكل رعونته وجنونه واحلامه واستعداده الداخلي للخسارة . السيد الناقد الذي يسكنني استمع اليه طوال الوقت ، وانصت جيداً لما يقوله ، أما لحظة الكتابة فانني اتركه خلف الباب واسد ثقب المفتاح وانسى كل شيء عنه الا ما رسخ من تعليماته في عقلي الباطن . . . وكل لحظة كتابة ، تبدأ عندي باطلاق رصاصة على حنجرة ناقدي الداخلي ، لانني اعرف كم هو متسلط اذا تركنا له العنان . . . لا كلمة ترضيه ولا شيء يعجبه ولا يقنع بغير الكمال . والكمال ليس صناعة بشرية والابجدية لا تطمح في اكثر من ابصار احد تجلياتها .

اعرف صديقة عربية مثقفة ومبدعة توقفت عن الكتابة منذ حين ، والبعض يظنون السبب انشغالها بتحرير مجلة تشرف عليها . التقينا في قطر شقيق واسرت الي بالحقيقة : انها لكثرة ما تمارس النقد ، صارت تمارسه لحظة الكتابة . ثمة ناقد يجلس على اصابعها حين تذهب الى الابجدية ، ويعلو صوته على صوت اعماقها . وينتهي الأمر قبل ان يبدأ .

الذهاب الى الكتابة عملية حميمة جداً اكثر من الذهاب الى الحب ، فمع الكتابة لا يمكن ان يشاركك فراشك احد . انك تمضي الى ابجديتك كما تمضي الى التابوت او السر : وحيداً وحيداً .

اما الرقابة الثانية التي تحاول ان تجثم على اصابعي فانني (اخاف) من الحديث عنها . واظن انك عرفتها . فكل أديب عربي لا يجهلها . وانا لا أذيع سراً حين الفت الى (ضيق صدر) بعض الانظمة العربية بالكلمة غير الداجنة . . وعاماً بعد عام ، وحفلة غسيل دماغ بعد اخرى ، وشهيد كلمة بعد آخر ، بدأ ينمو في اعماق كل فنان رقيب صغير في يده مقص كبير ، يحاول باستمرار تهديده بقطع رأسه وقطع رزقه وقطع نسله اذا . . . ويرمي بظل مقصه فوق ورقة الكتابة .

واعترف بان الرقيب الداخلي يطفو من آن الى آخر فوق صفحة وعيي ، واشعر انني مثل فرس بري يحاولون ادخال اللجام في فمه ، وحجب عينيه بتلك الصفائح التي تغطي بقية الأفق ، بحيث لا يرى (الملجوم) غير رقعة صغيرة من (الحقيقة) امامه ، ومن واجبه ان يصدق بعد حين ان هذه هي (الحقيقة كلها) الوحيدة والازلية ، وعليه تكريس حروفه لخدمة ذلك بكل (قناعة) !

هذا الرقيب الثاني ارفض اقامته داخلي ، لانه الشر الوحيد القادر على قتل الابداع . الشرور الاخرى كلها قد تغذي الفن ، الا القمع الذي يتبناه المقموع .

واعترف ،

لقد نجح هذا (الرقيب المقيم) في حرماني من كتابة بعض ما اشتهي ، وفي دفعي الى تمزيق بعض النصوص . . . وهذا اثم احاول الا اقترفه كثيراً ،

ولكنه لم ينجح حتى اليوم في ان يكون حاضراً في كتاباتي ، لانني ببساطة اعجز عن الكتابة حين يحاول إملاء إرادته .

وهكذا من الممكن ان اتوقف يوماً عن الكتابة ، ولكن من المستحيل ان اكتب حرفاً واحداً لارضائه . . . ولم . . . ولن . . .

٢٦/ ٥/ ١٩٨٥

سارة العبيدي تستجوب

● المطلوب الاهتمام بابداع الجيل الصاعد .

● ضمن وعيك الحالي . . . كيف ترين الكاتبة غادة السمان ؟ فهل أصبحت شخصاً آخر ؟

ـ أصبحت ؟

لقد كنت دوماً شخصاً آخر ، وأصبحت ، وسأصير غداً شخصاً آخر . . . بل بعد دقائق ، بعد انجاز هذا الحوار مثلاً ، والذي قد يقطعه دخول صديق يطعنني بحبه أو صديقة تحاصرني بزمن آخر عبر الهاتف ، او انفجار على الرصيف المقابل أو غيمة تحجب وجه الشمس المتأجج في هذه اللحظة . . . قطرة مطر تعرف اين تهطل تبدلني في ومضة برق . . سؤال صحافي قد يكشف لي مجاهل نفسي ، أو يؤذيني فيبدلني .

انتقالي الى بيت جديد ـ كما فعلت هذا الاسبوع ـ قد يكون له الأثر ذاته . أنا حالة حية متحركة ، في صيرورة دائمة ، ولست سجينة صورة متحجرة أو اسطورة اخترعها الآخرون لي أو حنطتها بنفسي داخل إطار ثابتٍ جامِد .

انا بنت التفاعل مع الحياة والآخرين عبر الصوت واللمسة والحرف والحلم والطعنة . لست صورة نسيها الزمن في مرآة . . . انا لحظة حياة مهرولة متأججة وكاللهب تتعدد وجوهي ويبقى الجمر جوهري .

نعم كنت واصبحت وسأكون شخصاً آخر ما دمت مزروعة في المسافة بين الأفق والقبر . . . اني شبكة عصبية متنكرة داخل جسد امرأة هادئة . . . لكنني لا أعود يوماً كما كنت حين تمر بي همسة وطن ، أو خسارة صديقة ، أو غدر صديق كان حلمًا فصار جرحاً ، أو انفجار قذيفة على شرفتي يطيح باشلاء ابن الجيران بين أصابعي . لقد مررت بمدن كثيرة ، وخرجت الى اللغة من باب الموت والعنف والدم والحرب ومن باب

الرقة الانسانية والعذوبة وشفافية المشاعر العابرة للقارات ولأسوار الروح . . . لقد ذقت فجائع الحرب ومباهج العافية وأنس السلم ، وقلبي مدينة بلا أسوار ، وقلمي ابن الأمواج والرياح والرمال المهرولة في الاعاصير . . . لكن الموجة هي الموجة مهما تبدلت صورها الزبدية والرذاذية أو الهادئة مثل كف داخل يد الحبيب . . . بهذا المعنى أنا دوماً انا ، ولست أنا . . .

ثمة لحظات اشعر فيها انني اختار قيودي كما اختار حريتي . . . وثمة لحظات لا ادري فيها عن كوكبي اكثر مما تعرفه البوصلة عن اسرار البحار . . .

● **غادة السمان كاتبة تحمل فوق اكتافها شهرة عريضة وجيلاً من الكاتبات حاولن تقليدها حرفياً . فهل تخبريننا كيف عشت زمنك ؟ ومن هم الذين حرصت على التطلع اليهم بشغف البداية ؟**

ـ عشت موتي باتقان ، حين وعيت لحظات الموت الكثيرة التي تكتنف جوانب الروح غير المحنطة داخل قوالب التدجين . . . لقد خذلتني الاسلحة كلها في مواجهة الشعور العميق بالوحشة الممزوج بالرغبة في الالتصاق بآخرين قد أرفضهم لكنني انتمي اليهم . . . لم أجد غير القلم سلاحاً لخلق حد ادنى من الانسجام بين جوعي اليهم ورفضي لبعض ممارساتهم ، مثل طفل يحب امه ويكره كل ما فيها . . . لم أجد جسراً أمده الى عوالم اصدقائي الحقيقيين الذين أجهلهم غير الكلمة . . . اشتعال الحرف في صدري شبيه بتلك النار التي تزكيها القبائل البدائية لتنقل بدخانها رسالة عبر الجبال والانهار وليالي العزلة . . .

منذ البداية ، خطف انتباهي كل مبدع (أو مبدعة) استطاع ان يلامس أوجاع الآخرين المشابهة لأوجاعه ، واستطاع ان يمنحها بارقة ضوء او لمسة حنان او صرخة صدق ، فالحقيقة في نظري تداوي حتى حين تكوي . . .

بهذا المعنى ، تطلعت الى عظمة اديسون بالعين نفسها التي رمقت بها رحابة ديستويفسكي وعذوبة شيللي وكيتس وبايرون بهذا المعنى ايضاً أكن للعلماء والمفكرين والفلاسفة في حقول الحياة الأخرى ـ غير الأدب ـ اعجاباً لا يقل عن اعجابي بعباقرة حقلي . . . منذ البداية وانا اتطلع بشغف الى اي ابداع في البيادر كلها . . . المهم في نظري هو ان يغادر المرء هذا الكوكب وقد خفف عنه بؤسه ، او لم يضف اليه المزيد من البشاعة على الأقل ! هذا أولاً ، ثم انني لم أحمل مرة شهرتي على اكتافي ، وإنما أحمل هموم كتبي الآتية ، وهمي هذه الأيام يدعى « أشهد انني أحب » كتابي الجديد ، واعمل عليه

بعدما انجزت روايتي الأخيرة « ليلة المليار » .

● **بعد رحلة عشرين كتاباً ، ما هو الهاجس الذي لم يزل يفلت من حبكة اللغة المكتوبة ؟ . . .**

ـ موجعة تلك الهوة بين صرخة الاعماق الهاجسية التي تزلزل آبار النفس ودهاليزها ، وبين تلك الصرخة بعد ان تتحول الى لغة مكتوبة على الورق . . . كأن الانسان يخط هواجسه على ورق مسحور كما المرايا التي تضخم بعض المرئيات او تقعرها أو تحدبها . . الكتابة محاولة لامتناهية لصقل مرآة العطاء حتى يصير لها صفاء قلب العاشق ، ووميض نجوم صحراوية وصدق بكاء الطفل . . . .

هواجس كثيرة ما تزال تفلت من حبكة اللغة المكتوبة ، ابرزها هاجس الهوة بين روح الكلمة ، والجسد الذي تتقصمه بعد الكتابة ، اي الحرف .

● **ألا ترين معي ان الحرية هي اختيار عبودية جديدة ؟!**

ـ نعم ، ولا .

نعم ، لأن كل اختيار هو قيد بمعنى ما . . . ولا ، لأن مجرد فعل الاختيار يلغي حالة العبودية . . .

● **ما هي مرادفاتك الخاصة لمصطلحات مثل الجمال ، الخير ، الابداع ، المحبة ؟**

ـ تبدو لي كلها مترادفة بمعنى ما .

● **ما هي علاقتك « الخفية » بالمجالات الابداعية الأخرى ؟**

ـ علاقة مشبوبة ومشبوهة وغير خفية ، اضبط نفسي فيها باستمرار بالجرم المشهود . . ملطخة الاصابع بالألوان الزيتية والمائية احلم بانني ارسم شخصياً تلك اللوحة المجنونة التي اعجبتني لادوار مانش أو فان كوخ وسواهما . . مغسولة الحنجرة بأنغام (الكورال) البيتهوفني الذي يصدح بقصيدة شيللر عن الصداقة والفرح ، والمحبة الكونية . . .

اضبط يدي تحلم بمداعبة عود وخلق نغم جديد . . اضبط عيني متلصصة على مشهد سينمائي من خلف كاميرا . . . اضبط جسدي وقد تحول الى غمامة تعيد تشكيل ايقاعات اعماقها في رقصة جماعية فولكلورية . . . اضبط ملامح وجهي وقد تقصمت ملامح حبيبي وارتدت عذاباته تبوح بما يوجع الآخر على خشبة مسرح . . . انني ريشة في مهب القلب . . وقلبي يعشق الفنون كلها : الرسم . الموسيقى . المسرح . الإخراج السينمائي . . الى آخره ، في مجالات بلا آخر وبلا نهاية . .

لكنني أعي ان العمر قصير والفن شاسع ، وعمر واحد لا يتسع للممارسات

الفنية الأخرى التي كنت اشتهي اقترافها . . . واحترم مبدعيها ، كُلًّا في مجاله ، وألاحق عطاءهم بشهية ، كتعويض عن رغبتي المستحيلة في أن أكونهم .

● ألم يقف شكل اللغة حائلاً ضد التعبير ؟ ألم تفكـري يوماً بتفجير لغة الاتقان اللغوي الذي تكتبين وفقه ؟

ـ هاجسي ليس تفجير الصورة بل الجوهر ، اي تفجير مقالع اعماق النفس البشرية ورخام القلوب المصقولة من الخارج بفعل قوى متوارثة مكرسة . والتفجير اللغوي في هذه الحالة يكون مجرد انعكاس تلقائي ، (خصوصاً) وإن اللغة العربية مائية طيعة (سلسبيلية) أحمل لها اعجاباً بلا حدود . ولعل هذه هي نقطة الالتقاء الأولى بيني وبين الكلاسيكيين ، فأنا لا أبحث عن تجديد سطحي لصورة اللغة ، بقدر ما افتش عن جوهر التجديد أياً كان زيه .

لقد كان هاجسي دوماً هو تفجير القلب الانساني من الداخل ، لا اللغة من الخارج . . . فانهيارات الداخل لا بد وان ترسم صيغاً جديداً للقالب القشرة . . . واللغة العربية مذهلة الحيوية والعصرية والقدرة على احتواء كل تجديد في الرؤ يا .

● ما هو نسق العيش الذي يتيح لك التلاؤم ؟

ـ العمل الحر في اوقات حرة في أوطان حرة ، أفضلها عربية لأنني اكره الغربة وأجد حب الوطن قضية حميمة خاصة وذاتية لا قضية وطنية طنانة فحسب .

● كيف توفقين بين متطلبات مسؤولية الاسرة التي تقتضي ألفة ، وبين متطلبات الكتابة التي تقتضي عزلة وتأليب الجانب الوحشي عند الكاتب ؟

ـ لا أدري بالضبط . ربما كنت أفعل ذلك على حساب اصدقائي واحبائي من الفنانين المتوحشين المتوحدين امثالي ، وعلى حساب الذين واللواتي كان يمكن ان اصادقهم لو وجدت وقتاً اسرقه لأعرفهم . . ولا ادري الى اي مدى انجح في التوفيق بين كوني مخلوقة عائلية داجنة من جهة ، وبين احتراقي الليلي المتوحد في غابة افتراس الاعصاب بحثاً عن عطاء جديد . . . لا أدري . . .

● ما هي المقولات التي تتجنبينها و « الخرافات » التي تحرصين عليها ؟

ـ احرص على خرافة « الخل الوفي » ، واتجنب ما تبقى من مقولات عن الغول والعنقاء . . . أريد ان أصدق ان « الخل الوفي » ليس خرافة . . (يخيل الّي احياناً ان الغول حقيقة قائمة في القوى التي تحاول اغتيال كل صدق جديد ، وان العنقاء موجودة في كل امرأة عربية صامدة في وجه حريقها الذاتي والاجتماعي ، لا تحترق الا لتتجدد

وتخرج من رمادها اكثر صلابة ونقاء) . . .

أما « الخل الوفي » ، فأين ؟ اين ؟ . . .

● **أأنت متفائلة بابداع المرأة العربية ؟ من هن الكاتبات اللواتي يشكلن علامات للتوقف في الوقت الحاضر ؟**

ـ أنا فخورة بابداع المرأة العربية في كل ما تلمسه . . وفي المجالات كلها ، بما في ذلك مجال تلك المبدعة الكادحة السرية المنسية ربة المنزل التي قلما أولاها الفن حقها من التقدير ، والوعي لدورها الصامت الصعب والاساسي في مجتمعنا .

وانا متفائلة بابداع الكاتبات والكتاب العرب في الوقت الحاضر . . ولن اتحدث عن الكاتبات وحدهن كي‌لا اتهم (بالشوفينية المضادة). ثمة أقلام جديدة كثيرة تستحق المزيد من الاهتمام والحنان في غير هذه العجالة . . . وأشعر برغبة في كتابة دراسة عن الاقلام العربية الشابة الطالعة والمبدعة (دونما انحياز لتاء التأنيث التي تصادف وجودها في اسمي) ، وسأنقل الرغبة الى حيز التنفيذ اذا لم يلتفت النقاد اليهم ، فالمألوف هو الكتابة عن اسماء معروفة ، والمطلوب هو لفت الانتباه الى ابداع برعمي صاعد . .

- ٢ -

استجواب حول
المرأة - الرجل - التحرر

● لقد خدمت النساء طوال هذه القرون كمرايا سحرية تعكس بداخلها الرّجل ضعفي حجمه الطبيعي !

- فرجينيا وولف -

● حدس المرأة أكثر دقة من يـقين الرجل .

- كيبلنغ -

● المرأة الكاتبة هي أولاً كاتبة ، تنذر حياتها لأدبها ، وليست لها مهنة أو حياة أخرى .

- سيمون دي بوفوار -

ربيع ١٩٧٣

مريم ابو جودة تستجوب

● لا أسمح لنفسي بالتدخل في حرية زوجي .

● عندما قرأت كتابها الاخير « رحيل المرافىء القديمة » الفائز « بجائزة اصدقاء الكتاب » ، تملكتني مشاعر لم تكن بغريبة جداً علي . . فانا أشعر بها كل يوم آلاف المرات . . . ولكن لم أصل يوماً - كما وصلت - الى حدود ملامسة الانفجار الوجداني . . .

فغادة السمان ، بأسلوبها المتوتر توتر تفكيرنا . . . المثقل بالصور المتلاحقة تلاحق ساعاتنا المليئة بما يندى له الجبين الحر من التناقضات المخزية والسخافات المهترئة . . المتوج بسخرية لاذعة من واقعنا المرير ومن ردات فعلنا المهزوزة تجاه هذا الواقع . . . توصلت الى ان تؤدي معاناتها (معاناتنا) بصدق لا يفوقه سوى صدق هذه المعاناة . . . فقررت أن ألف اوراقي وقلمي ببقايا شراعي الممزق . . واسارع اليها قبل ان ترحل في « اعتق مركب راحل من مرافئها القديمة » علني اشاركها مسيرة الرحيل . . . أو على الأقل اقابلها فاتحدث اليها - اليكم دون وجود اي حاجز زجاجي بيننا ! . . .

● أين الرجل في حياة غادة ؟ من سن المراهقة وحتى اليوم ؟

- أفكر بالرجل في حياتي فيلفحني الدفء حيناً، وتهب رياح باردة عفنة حيناً آخر ، فأنا لم أعرف رجالاً أنبياء أو قديسين وانما عرفت رجالاً بشراً جعلتني الظروف اصطدم مع نقاط ضعف بعضهم ، أو تسببت ظروف اخرى في احتكاكي بالزوايا الجميلة في البعض الآخر . . . فكل رجل كهف ، فيه كنوز مخبأة ، وفي بعض زواياه تغلي الأفاعي . . .

الرجل في حياتي لم يكن قط الرجل - الوثن او الرجل - الاسطورة . منذ طفولتي سمحت للرجل بالا يكون إلهاً ، ولم أثقل عليه بمطلب الكمال . جميع الرجال الذين

عرفت ، أبي واخي وأصدقائي واحبائي تقبلت نقاط ضعفهم بالحنان نفسه الذي قطفت به ثمار عطائهم . .

ولذا فالرجل في حياتي ليس قديساً ولا وغداً ، وليس من « فصيلة » مختلفة . . ومن هنا فان علاقتي بالرجل هي دوماً علاقة الند ، وليست علاقة التعبد له ، ولا علاقة الاستعباد له .

● ولكن هل تعتبر غادة نفسها خبيرة بالرجل ؟ من حيث نفسيته وعواطفه وتصرفاته ؟

ـ اعتقد ان الرجال مثل بصمة الاصبع ، كل رجل يختلف عن الآخر تماماً . وأعتقد ان « خبيرة بالرجال » تعبير وهمي تطلقه صاحبة العلاقات الكثيرة على نفسها في لحظة نرجسية .

اعترف انني عرفت عدداً كبيراً من الرجال على أكثر من صعيد عملي وسياسي وعاطفي ، ولكنني اعرف أيضاً انني لا اعرف شيئاً عن الرجل . . .

ثم ان معرفة عدد كبير من الرجال امر لا يجدي كثيراً . المهم ايجاد علاقة واحدة عميقة وحميمة تنسل المرأة عبرها الى مغاور الرجل ودهاليزه النفسية . . ولكن العمر لا يتسع لاكثر من تجربة من هذا النوع . . . وما أدرانا ببقية رجال العالم الذين يفوق عددهم المليار شاب ! .

● ما رأيك في الامانة الزوجية ؟ وهل ان للرجل افضلية الخيانة الزوجية ؟ ولماذا ؟

ـ « الأمانة الزوجية » تعبير لا يجوز استخدامه في كثير من الزيجات حولنا . كثير من الناس زواجهم (خيانة) لذاتهم . كثير من الناس يبنون زواجهم على اعتبارات اجتماعية او مادية او حتى مصالح سياسية ويخونون صوت الانسان في داخلهم . ما أكثر الرجال في بلادي الذين يتخلون عن امرأة يحبونها كي يقوموا (بزواج صفقة) على الصعيد المادي أو (الانتخابي) . أولئك زواجهم خيانة ، ففي زواج كهذا (تكسرت فيه نصال الخيانة على النصال) ، كيف نبحث امر « الامانة الزوجية » وهي غير موجودة اصلا ؟

اما بالنسبة لافضلية الخيانة فانا لا أعطيها للرجل لانني احبه واحترمه ، ولا استطيع ان اكرم انساناً بمنحه الحق في الحقارة !

● ولكن هل يندم الرجل او المرأة على ذنب الخيانة « اذا كان هناك ندم » ؟

ـ اذا كان لا بد من الخيانة فليكن ذلك بلا ندم . فانا أكره الذين يتنصلون من مسؤولية افعالهم ، ويحاولون انعاش الحب القتيل بدموع الندم ، واحتقر الذين يقتلون القتيل

ويتفجعون في جنازته بصوت أعلى من أصوات الجميع .

اذا كان لا بد من خيانة الطرف الآخر ، فليكن الانسان غير خائن لذاته ولرغباته على الأقل . فالندم في نظري هو الستارة التي يسدلها الخائن على فراش الخطيئة .

● هل هناك فرق بين الزوجة و « الحبيبة الصديقة » «الصاحبة » بالتعبير اللبناني ؟

ـ نعم هناك فرق شاسع لان الرجل في بلادي مصاب بازدواج الشخصية . مطلوب من الزوجة مواهب الخادمة والطباخة ومربية الاولاد ، ومن الأفضل ان تكون غبية كي تنفذ ولا تناقش ولا مانع في ان تكون غنية . اما (الصاحبة) فمطلوب منها كل واجبات (الانثى) في المخدع شرط ان تكون عاقراً أو تتذكر ابتلاع أقراصها لمنع الحمل . والرجل اللبناني بحاجة الى المرأتين . لكل منهما دور اساسي في حياته ، لكنه يعجز عن دمجهما في امرأة واحدة لانه عاجز عن دمج نفسه في رجل واحد .

● ما هو برأيك السبب الأول للطلاق في لبنان ؟

ـ السبب الأول للطلاق هو الزواج ! والزواج في لبنان بصورته القائمة يشجع كثيراً على الطلاق فهو غالباً صفقة ، وبورصة أي صفقة في تذبذب ، وأسهم العلاقة في صعود وهبوط .

العلاقة الانسانية والتفاهم الكلي بين انسانين متساويين ومتكاملين هو شرط الزواج الحقيقي الناجح في نظري . وهو أمر قلما يتم هنا بسبب المناخ الاجتماعي المشوه والنظرة الخاطئة الى المرأة ، والنتيجة هي طبعاً الطلاق . اذن الطلاق ليس هو الخطأ انما الخطأ كامن في الزواج .

● هل تعتبرين ان المرأة اللبنانية حصلت على ثقافتها الجنسية ، وبمعنى أدق ، هل هي متجاوبة جنسياً ؟

ـ طبعاً لا . وهي ليست وحدها المسؤولة . وأي امرأة (متجاوبة جنسياً) معرضة لدينا للاتهام بالابتذال . ممنوع على المرأة الشريفة ان تعرف كيف تمنح جسدها . ذلك حق من حقوق (الغواني) ! . . .

هل هنالك رجل شرقي لا يغضبه ان تبرع عروسه في منحه اللذة ليلة الزفاف ؟

ألن يفتح معها (محضر تحقيق) لانها أسعدته ويحاسبها حساباً عسيراً على ذلك ؟ . . .

● الا ترين معي ان هناك رجالاً متزوجين زوجات لديهن كل ما هو مطلوب في المرأة ويخونون زوجاتهم ، والعكس ؟

ـ « كل ما هو مطلوب في المرأة » أمر نسبي . هنالك نساء قد يظهرن من الخارج كما لو ان الله حباهن كل شيء ، الا ان الزوج الأكثر التصاقا بها ، هو اكثر قدرة على اكتشاف نقائص زوجته . اذ لا توجد في العالم كله امرأة لديها « كل ما هو مطلوب في المرأة » .

وذلك قد يكفي (لتفسير) الخيانة لا لتبريرها .

فالمفروض ان الرجل مسؤول عن اختياره لامرأة دون اخرى ، والرجل لا يتزوج فضائل المرأة فحسب بل ويتزوج نقائصها أيضاً .

ان ما يروعني هو فعل (الخيانة للخيانة) في المطلق ، ولا أجد في جمال الزوجة سبباً (لاستهوال) الأمر ولا في بشاعتها تبريرا له .

● هل تقرين مبدأ الزواج المدني . ولماذا ؟

ـ أقر مبدأ اقامة علاقة بين رجل وامرأة ما دام اللقاء الانساني والتفاهم موجوداً بينهما ، ولا تهمني (التسمية الرسمية) لهذا الواقع العاطفي والانساني . . . فعقد الزواج هو (الامبالاج) الذي يغلف العلاقة ، وانا عادة لا يهمني لون العلبة وورق اللف والشريطة . . .

● هل تقرين مبدأ الصداقة بين زوجك مع النساء بحيث تسمحين له بمرافقتهن على مزاجه ؟

ـ انا الحظ انك استعملت عبارة (تسمحين) . يدهشني مجرد استعمال هذه العبارة ، فزوجي كائن حر له ارادته وبالتالي حريته ، ومن أنا حتى أتدخل في هذه الارادة ؟ ان مجرد (الارغام) يلغي الحب المتبادل بيننا لان أول شروط الحب هو (حرية الاختيار) ! . . .

(تسمحين ؟) . . . اقول لك : لا . لا اسمح لنفسي بالتدخل في حرية زوجي ، ولي فيما بعد حق القبول به أو رفضه .

● من برأيك من الاشخاص المعاصرين من المشاهير نموذجيين في سلوكهم الزوجي أولاً ؟ ثم العائلي ؟ وكيف ؟

ـ لا أحد في نظري بين المشاهير . فما نعرفه عن حياتهم هو ما نراه من خلال اقنعتهم ، وما نسمعه عن ادوارهم التي يلعبونها على خشبة حفلات الكوكتيل وتحت أضواء (كاميرا) الصحافة التي يعرفون انها مسلطة عليهم . . .

المهم هو ما يدور بينهم وراء الكواليس . . . بعيداً عن الناس . . . حينما يخلعون

ماكياجهم ومعه أقنعة اللطف المصطنع وقفازات المجاملات العلنية . . .

انني أؤمن بان امكانية وجود علاقات انسانية نموذجية بين زوجين تتعاظم كلما ابتعدنا عن جو (غابة) المشاهير ، وكلما غصنا في عالم الناس البسطاء الطيبين المعافين .

ان السعادة الزوجية يا سيدتي تقطن بيتا عادياً لا نعرف عنوانه ولم يسمع احد باسماء اصحابه . . .

● هل يحضر في ذهنك مشهور أو مشاهير من المتزوجين اقترنت اسماؤهم بفضائح عائلية أو بخيانة زوجية ؟

ـ لا . لا أحفظ في ذاكرتي سجلاً لفضائح الناس لان مثل هذا العمل هو الفضيحة في نظري . . .

من أنا حتى أحمل أرشيفاً لسقطات الناس ؟ وما أدراني بالناس الأكثر حقارة الذين يعرفون كيف يخفون حكايا خياناتهم اكثر من أصحاب الخيانة العلنية ؟

الفضيحة هي ان نتذكر فضائح الناس كي ننسى فضائحنا السرية ان لم تكن العلنية ، وفضائحنا التي كان يمكن أن نقوم بها لو لم نتراجع آخر لحظة . . .

كلنا بشر ، ومن كان منا بلا خطيئة فليرد على هذا السؤال ! . . .

هنا انتهت مقابلتي مع غادة السمان لأظل اعيش بين ثنايا كلماتها والفكر البريء المطلق الذي تطرحه دون مواربة ولا خداع .

١٩٧٤/٢/٢

رائدة نصار تستجوب

● أنا معجبة بحركة المرأة في الخليج

وغادة السمان من قرأ لها مرة واحدة حتما سيقرأ لها كل جديد ، وسيبحث وينتظر ويترقب ما تكتبه وما تقدمه لأنه منذ الوهلة الأولى ومع بداية الكلمات سيعلم ان ما يطالعه هو تدفق الحياة .

● المقابلة هي وليدة « حب » كتابك الأخير ، حدثينا انت عنه ؟ .

ـ كتاب حب هو محاولة لالقاء القبض على بعض اللحظات الهاربة مع الزمن . وكما لاحظت الكتاب يتضمن قطعاً تنتمي الى الماضي والحاضر خلال ١٣ سنة حب ، وكل ما أردت أن أقوله عن حب قلته في داخله .

● حب . هل هو نوع من المواجهة بينك وبين قرائك ؟ .

ـ المواجهة بيني وبين قرائي هي باستمرار موجودة وبذات الدرجة من الصدق . دائمًا أنا مع قارئي . وحب ، بحكم طبيعته كقطع وجدانية تبدو فيه المباسطة والمكاشفة مباشرة أكثر ، وهذا ما يمنح احساساً بصدقه أكثر من غيره . ولكن كتبي كلها هي بالدرجة ذاتها من الصدق .

● أريد أن أقول انني كلما قرأت لك شعرا أو قصة اراك تتنقلين داخل الصفحات . أي ان ما تكتبينه متصل حقيقة بواقعك . وفي « حب » شعرت أنك فلفشت نفسك أكثر ؟

ـ لا بد لي من الاعتراف بأنك على حق في انطباعك هذا . « الصدق الفني » موجود في كل حرف اكتبه بالدرجة ذاتها ، ولكني في « حب » قد منحت كمية من « الصدق الذاتي » أكثر مما في سواه. نعم . انا في حب قد شرعت أبواب قلبي للناس وللريح ، ومارست نوعاً من « الاعتراف الأدبي » .. لماذا ؟. ربما لأنسى ! وربما كي لا أنسى ! .. ربما كي ابعث الحياة في الماضي ، وربما كي اغتاله نهائياً واطلق سراحي

منه . وربما لانني شعرت ان « حب » ليس حبي وحدي ، وانما هو صرخة انسانية تشاركني اياها بطريقة ما كل نفس بشرية احبت كما احببت انا . . وهل هناك من الذين يقرأون هذه السطور من لم يعرف الحب ولو لحظة واحدة خلال الـ ١٣ سنة الماضية ؟ وربما كتبت « حب » لانني مواطنة صالحة في « جمهورية الحب » ولانني لا أخجل من انتمائي هذا . حزين من لم تمر بيارق الحب في شوارع عمره .

● **مشاريعك الكتابية الجديدة ؟**

ـ كثيرة . . (وتضحك) : الايام علمتني أن لا أتحدث عن مشاريعي الكتابية فأنا أحياناً أتحدث عن مشروع معين وأبدأ بالكتابة ، ولكن فجأة يبرق في رأسي لمعان يحولني الى عمل ثان تماماً . طريقتي بالانتاج مثل طقس بيروت المتقلب ولا أستطيع ان أحدد مشاريعي الانتاجية . اليك هذه « الفضيحة الادبية » على سبيل المثال ، بدأت عام ١٩٦٥ برواية أسميتها « السقوط الى القمة »

. . أنجزتها وتحدثت عنها كثيراً ودفعت بها الى المطبعة ، ثم سحبتها . . ثم وجدتني غارقة في كتابي « ليل الغرباء ١٩٦٦ » ، بعدها عدت الى العمل في « السقوط الى القمة » ، وحين أعدت كتابتها ثانية عام ١٩٦٩ وجدتني غير راضية عنها . للمرة الثانية سحبتها من المطبعة رغم الاغراء السينمائي والمادي بتحويلها الى فيلم ، ثم ضيعتها ثم اعدت كتابتها وعام ١٩٧٣ ، انجزت « رحيل المرافىء القديمة » وأصدرت « حب » . . هكذا دوما اخطط « للسقوط الى القمة » « فأسقط في مزاجي » لأصدر عملا اخر ما كان ليخطر لي ببال . انني مخلصة لصدق العطاء العفوي الى حد انني اضرب عرض الحائط بكل الاغراءات الأخرى .

● **هل حصل ان جافاك القلم ؟**

ـ أمر في فترات أشعر فيها أن لا جدوى من الكتابة . . مرات أرفض أن أكتب . . وأبحث عن حلول أخرى للخلاص . . أمر في فترات من هذا النوع وتكون قاسية جداً بالنسبة لي . ولكنني دوماً أعود الى القلم كما يعود العاشق المهزوم الى حبيبته القاسية . . لا أملك الا أن أعود .

أعجز تماماً عن كتابة شيء ينافي قيمي الداخلية والتزاماتي الانسانية ، واذا حدث أن طلب مني مثلاً صاحب مجلة أعمل بها كتابة شيء من هذا النوع ، فإن أصابعي تتمرد وأحس بما يشبه الشلل في يدي . . اني امرأة منذورة ، للحقيقة مهما كانت وأيا كانت . . . وربما كان ذلك ما يشد القراء والمعذبين والبسطاء الي . . ان في قلبي كل

جراحهم وفي حنجرتي صرخاتهم وتمردهم ، وتطلعهم الى عالم عادل أفضل وأجمل .

● **رحلتك الى بغداد ؟**

ـ بعد سياحاتي المتعددة في اوروبا أصبت بردة فعل عميقة وشوق للوطن والبلدان العربية . في بغداد تصرفت في البداية كسائحة . ازور المتاحف . المتاحف الأوروبية أثمن ما لديها القطع الأثرية المسروقة من المتاحف العربية سواء من العراق (الآثار الاشورية والبابلية والكلدانية)ومن سوريا (آثار ماري والمرحلة الفينيقية) او من مصر (هناك في المتاحف الأوروبية اجنحة كاملة لآثار فرعونية) . وجدت انني شاهدت آثار الوطن العربي في متاحف الغرب . وأصابني ما يشبه الحس بالذنب . مثلاً عجائب الدنيا السبع شاهدت الجزء الأوروبي منها بينما نصف عجائب الدنيا السبع موجودة في الأراضي العربية . . تصوري ان مسلة حمورابي التي كانت أول تشريع مكتوب للانسان . . أو محاولة تصور للعدالة مسروقة وموجودة في أحد المتاحف الاوروبية . لقد رأيت نسخة عنها في المتحف في بابل . اكتشاف العالم العربي حتى على صعيد الماضي ليس عملاً متحفياً يختص بهواة التاريخ وانما عمل مرتبط بصميم حياتنا اليومية . . تصوري اننا صنعنا العدالة وهم سرقوها . العدالة مسروقة ؟ أليس لذلك دلالته الكبرى ؟ ألا تلخص هذه السرقة كل أحداث تاريخنا المعاصر ؟ كما على صعيد الحاضر استطيع ان أقول أنني احب الغناء العراقي . أشعر كأنه يتصل بخلية من خلايا تكويني النفسي . كعربية . . احب الترحال في البلاد العربية ، ومن خلال اعادة اكتشافي لها أعيد اكتشافي لذاتي الحقيقية وانتمائي الأصلي ، والاحق جذوري في كل أرض عربية .

● **وبما أنك زرت الكويت ، وبما أنك تطالعين كل ما يحيط بنهضة المرأة العربية فما رأيك بنهضة المرأة الكويتية ؟ .**

ـ أنا معجبة بحركة المرأة في الخليج بصورة عامة وبنضالها لكي تحتل مكانتها التي تستحقها وفي الوقت نفسه لكي تحمل الواجب المفروض أن تحمله وأتعاطف مع هذه الحركات . . فالمرأة هي « بروليتاريا العالم » ولكن هنالك ملاحظة اساسية أحب أن أسوقها الى المطالبات بحقوق المرأة وهي أنه ليس بوسع المرأة أن تكون حرة في مجتمع غير حر . . وكثير من الطبقات في المجتمع مظلومة والظلم يقع على الرجال والنساء معاً . العدالة مطلب جماعي ، اذن غير ممكن توفيرها لفئة من الفئات دون أخرى لذلك أجد أن قضية المرأة هي جزء من قضية الفرد العربي وكفاحه من اجل انتزاع كامل حقوقه وحرياته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وحرية التعبير . لا يمكن فصل قضية المرأة

عن قضية الحريات ككل في الوطن العربي . لذا أتمنى على الهيئات النسائية المطالبة بحقوق المرأة الانفتاح على بقية « النقابات » المطالبة بحقوق بقية المسحوقين نساء ورجالاً .

● **يشاع ان انتاج المرأة الأدبي يخف عند الزواج بينما أنت في عام واحد قدمت خمسة كتب ، هل هذا يعني أنك أهملت زوجك حتى ازداد انتاجك ؟**

ـ لم أهمل زوجي ، لكني منذ البداية أهملت « مواصفات » الزواج التقليدية ومتطلباته الفارغة من المعنى . فالزواج بإطاره التقليدي ومفهومه التقليدي يعطل الانتاج وكلانا ، أنا وزوجي لسنا معجبين بمؤسسة الزواج الشرقية وتكريسها المرأة لغرفة الطعام والفراش . رفضنا لمؤسسة الزواج التقليدية من نتائجه مثلاً عدم هدرنا للوقت في اداء « الواجبات الاجتماعية » كاللقاءات المكرسة للثرثرة الفارغة وغيرها . . الوقت الوحيد الذي لا يستغرقني للكتابة والخلق أو للخروج الى الطبيعة والبحر والغابات والأرض هو الوقت الذي منحته لخلق من نوع آخر هو انجاب طفلي حازم ـ ٣ سنوات ـ

لا أدري لماذا تكف الاديبة العربية (عادة) عن الخلق والانتاج بعد الزواج . بالنسبة الي العكس هو الصحيح . . فقد كنت مشردة اكثر من اللازم ، وكانت مخطوطاتي وأوراقي تطاردني من طائرة الى اخرى واكثرها يضيع في الريح والمطارات الرمادية الباردة . . وما أزال أضيع من مطار الى آخر أحياناً لكنني أتمتع بحد أدنى من الاستقرار الضروري لانتاج متواصل ومطالعة دؤوب واطلاع على كل ما يدور من جديد في حقل الكتب في هذا العالم الواسع .

● **عودة الى كتاب السقوط الى القمة ؟**

ـ السقوط الى القمة أشهر رواية عربية لم تنشر .

ضاعت مخطوطتها اكثر من مرة في حقائبي الراكضة خلفي أيام تشردي في اوروبا اواخر الستينات (١٩٦٦ ـ ١٩٦٩) انجزتها أكثر من مرة وسحبتها من المطبعة أكثر من مرة . . قد انتهي من العمل منها بعد شهر ، وقد لا أنتهي ابداً وحينئذ أوصي بدفنها معي بعد موتي فقد أنجزها في حياة ثانية .

«السقوط الى القمة» رواية أنفقت من أجل كتابتها أكثر مما قد تدره علي ـ اذا درت علي أصلاً قرشاً واحداً ـ وعزائي ان « فاوست » استغرقت من الكاتب العظيم جوته اربعين عاماً من العمل المتواصل ، فجاءت تحفة خالدة . . ورائعة الكاتب الروسي غوغول « تراس بولبا » استغرقته كتابتها تسع سنوات كاملة . . والأمثلة من

هذا النوع كثيرة ، وكل الأعمال الكبيرة نذر لها أصحابها سنوات طويلة من حياتهم . . أما أنا فطموحي كبير وصبري أعظم . . وقد أنهي هذه الرواية ، وقد أموت قبل ذلك فتكون سيمفونيتي غير المنتهية . وقد اكتب سواها . . لا أدري . .

● **لا بحر في بيروت ، ليل الغرباء ، رحيل المرافىء القديمة ، دعوة للسفر ؟ للهجرة ؟ للمغامرة ؟ من ماذا ؟ إلى أين ؟ كيف ؟.**

ـ أجل دعوة للسفر الى داخل الذات ، دعوة « للهجرة » عن المواقف المتوارثة التي نتخذها بحكم العادة ، وبحكم عيون الآخرين المدقوقة في وجوهنا . . ودعوة « للمغامرة » لاكتشاف قيم جديدة ومرافىء جديدة.

● **ماذا يجمع وماذا يفرق بين « غادة الأدب » و « غادة الحياة » ؟**

ـ غادة الأدب لا تعرف المجاملة اليها سبيلاً (أو المواربة عن الحقيقة بكل وجوهها) أما « غادة الحياة » فأكثر مرونة وتساهلاً .

« غادة الأدب » تكتب الصدق وتتحدى وتصرخ في وجه الدنيا .

« غادة الحياة » تعكس في سلوكها الحياتي ذلك كله ، لكنها أحياناً تصمت ـ حتى حينما تغضب ـ كي تتأمل وتراقب . غادة الأدب مشرعة الأظافر دائمًا مثل قطة في الصيد .

غادة الحياة تخفي اظافرها تحت ملمس ناعم مثل قطة في لحظة الاسترخاء والراحة .

ربيع ١٩٧٥

بيروت المساء تستجوب

● المرأة تخون فنها إذا لم تصور معاناة المرأة كما بقية المضطهدين .

● غادة السمان . هل استطاع الأدب النسائي العربي ومن خلال المرأة أن يجسد التجربة العربية المعاصرة ومعطياتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، أم أنه اقتصر على المعاناة الفنية الجمالية الشكلية ؟ عند من من أديباتنا العربيات يتوضح هذان الاتجاهان ان وجدا ؟

ـ الأدب النسائي العربي عبارة لا تعني لي شيئاً لانني طالما كررت أن هنالك « أدباً » أو « لا أدباً » ، وانه حين يولد عمل أدبي جيد لا نسأل السؤال التقليدي الذي كنا نطرحه على القابلة القانونية « الداية » ، بنت أو صبي ؟ . . وان الصفات الفيزيولوجية لجسد خالق العمل « ذكر ، انثى » ليست مدخلاً صحيحاً لتصنيف نتاجه ولا تاء التأنيث في اسم المبدع ، ولا أرى مبرراً للحديث عن الأدب الذي تنتجه المرأة بمعزل عن الحركة الادبية العربية ككل ، هذا أول اعتراض لي على السؤال أحب أن أسجله .

اعتراض آخر : يفترض السؤال ضمناً وجود اتجاهين في الابداع ، اتجاه يقتصر على « المعاناة الفنية » ، « واتجاه يقتصر على تجسيد التجربة العربية المعاصرة ومعطياتها السياسية ، الخ » . واعتقد أن هذا الطرح لمفهوم الأدب قاصر لاننا لسنا أمام اتجاهين مختلفين ، فالعمل الفني الجيد هو الذي يتلاحم فيه هذان العنصران دونما تضاد ، أي أنه لا تناقض بين « المعاناة الفنية » وبين تجسيد التجربة العربية المعاصرة ، بل هنالك تكامل ، ومن الضروري توافر هذين العاملين في أي عمل ادبي نناقشه على مستوى الابداع ذكراً كان مؤلفه أم أنثى .

فتجسيد التجربة العربية المعاصرة أمر يقوم به المؤرخ والصحافي وكاتب المحاضر السياسية وغيرهم ، أما الفنان فهو الذي يجسد التجربة العربية المعاصرة ، من نافذة

معاناته الفنية الجمالية ، ولن أبالغ فأقول كاوسكار وايلد : وظيفة أهل الفن أن يخترعوا لا أن يؤرخوا .

● هل هناك تجربة عربية نسائية حديثة بعد غادة السمان وليلى بعلبكي وكوليت خوري ، ما هي ملامح هذه التجربة ، وهل تملك مقومات الخلق الفني والاستمرار وكيف تقيمينها ، وما هي أبرز اتجاهاتها وعند من تتوضح ؟

ـ أنا شخصياً لا أرى أية ملامح انثوية في النتاج الأدبي العربي تبرر الحديث عن الكاتبات بمعزل عن الكتاب، وبالتالي أرفض تقويمها كأدب نوعي منفصل، وحادّ التباين عن أدب الذكور ، صحيح أن المرأة في كتاباتها تلح على معاناة المرأة في مجتمعنا ، لكن ذلك أمر طبيعي جداً، تماماً كما الكاتب العامل قد يطرح مأساة العمال ، أو الكاتب السجين يطرح مأساة القمع والسجون ، فالمرأة هي بروليتاريا البروليتاريا وهي تخون فنها اذا لم تصور معاناتها ، وهي تخون معاناتها اذا تهربت من مواجهتها خوفاً من توجيه تهمة الخيانة العظمى الادبية لها وهي تهمة « الأدب النسائي » ، ولكن متى كانت الموضوعات درباً لتصنيف الفن ؟ وهل نعتبر نزار قباني في طليعة نجمات الأدب النسائي لانه وصف مشاعر المرأة ؟ ان القصة في النهاية هي قضية ابداع ، سواء تحدث الكاتب المذكر عن قضية المرأة ، أو تحدثت الكاتبة المرأة عن قضايا العمال .

انطلاقاً من هذا المفهوم ، استطيع أن أقول ان الكاتبات العربيات ساهمن ويساهمن في الابداع العربي المعاصر الحديث ابتداء بجيل عنبرة سلام الخالدي ومروراً بجيل سميرة عزام وانتهاء بالاديبات الشابات .

● ما هي برأيك العوائق والمشاكل التي تعترض مسيرة تجربة الأدب النسائي العربي ؟

ـ انها طبعاً العوائق نفسها التي تعترض مسيرة تجربة الأدب ككل بالاضافة الى ما تعانيه المرأة من « تدليل » أو « اضطهاد » بسبب كونها أنثى في مجتمع ذكوري حتى على مستوى بعض الصحفيين والنقاد . . مجتمع يجد في كونها أنثى سبباً « لتمجيدها » أو « لتهشيمها » وهما موقفان متشابهان جداً في جوهرهما .

● هل ساعد الأدب النسائي العربي المرأة العربية على معرفة حقيقتها وبالتالي على حل مشاكلها ، كيف كان ذلك ، وعند من توضح هذا الاتجاه ؟

ـ الخطأ الذي يجب الا تقع فيه المرأة العربية عامة هو التوهم بأنه يمكن لمشاكلها أن تحل بمعزل عن حل مشاكل المجتمع ككل ، لا يمكن وجود امرأة حرة في مجتمع غير حر ، لا يمكن أن تعامل المرأة بعدل في مجتمع غير عادل ، لا يمكن للمرأة أن تجد السلام في مجتمع

بائس . . ومن هنا كنت اقف دائماً بعيداً عن التجمعات النسائية الانعزالية ، وعن حركات تحرر المرأة على الطريقة البورجوازية .

ومن هنا أرى ضرورة انصهار ثورة المرأة كفرد مضطهد في المجتمع ضمن بوتقة ثورة بقية المضطهدين والمحرومين الذين يشكلون قافلة كبيرة في مجتمعنا العربي . . وخلاص المرأة لا يمكن ابداً أن يكون خلاصاً فردياً ، وكفاحها جزء من كفاح الانسان العربي المعاصر من أجل الحرية والفرح والعدالة ، ورغبتها في تحقيق انسانيتها لا تتنافى مع ذلك بل هي جزء من الصراع العربي الكبير لتحقيق ثورة الجماهير ضد كل ما يعوق تحقيقها لانسانيتها على الصعيد السياسي والاقتصادي والفكري . لقد ساعد الأدب الذي كتبه بعض الرجال المبدعين وبعض المبدعات على فهم طبيعة المأساة التي تتجاوز المرأة الى الفرد العربي ، والمرأة جانب من جوانبها ، ومظهر من المظاهر الحادة للاضطهاد الذي يتعرض له الانسان العربي بفعل قوى كثيرة ابرزها الجهل والتخلف والكبت بأنواعه كلها والسياسي خاصة مروراً بالجنسي .

● يلاحظ في أعمالك احساس بغياب الحب في وجوده وحضوره الحقيقيين ، كذلك الخيبة بسبب لا معقولية الأشياء التي تقضي بانتفاء الخير والمثل والحقيقة الوجدانية ، وأنك أيضاً تمارسين تجسيد ذلك بصورة سلبية أليمة ، هل مرد ذلك يعود الى أسباب وسوداوية شخصية ، ام أنه موقف جاء نتيجة تنظير علمي وانساني لواقع الانسان العربي من خلال التجربة والمعايشة ، وفي كلتا الحالتين لو تكرمت بالاجابة لماذا ؟

- احساسي بغياب الحب ليس رفضاً لامكانية وجوده بقدر ما هو تحريض على بعثه في ذاتنا وفيمن حولنا . . أي الحب بمستواه الانساني الشامل .

أما لا معقولية الاشياء فانها لا تتطلب بالضرورة ارتماء باحضان الشر السوداوي العابث بقدر ما قد تتضمن صرخة لأجل احياء العطاء في ذاتنا ، وجعل الانسان منبعاً للقيم ومحاولة خلق عدالة نسبية وجمال نسبي في وجود لا عدالة أصلاً في منطلقاته ولا خيار ، ما دام لا أحد يستشيرنا في أمر ولادتنا أو وفاتنا أو توقيتهما . . بل أن أحداً منا لم يختر حتى اسمه .

أنا أجسد ذلك « بصورة سلبية أليمة » ؟ . . ربما كان ذلك رأي البعض ، أما أنا فليس لدي ما أضيفه على ما يتضمنه نتاجي ، فالادب عملية ارسال واستقبال ، وأنا أبث كهاربي في سطوري ، ويتوقف الكثير على الجهاز المستقبل وكيفية تفسيره لشيفرتي وارتسامها على مرآة اعماقه التي قد تكون صافية أو مقعرة أو محدبة .

ولا بد لي من الاقرار بأن تنظيري العقلاني لواقع الانسان العربي لا يقودني تماماً الى سرداب من الكوابيس ، وانني ألمح نجوماً تضيء في ليلنا المحتضر ، وانني لا أشك لحظة في أن النور عند الأفق هو بداية فجر لا نهاية غروب . . ولكن درب الكوابيس طويلة .

تسألني لماذا ؟ . أقول لك : لماذا لا ؟ .

أقول لك . القلب لا يسأل لماذا ينبض . الفنان لا يلاحق بتهمة الحلم ، الديك لا يعاقب لان الشمس تشرق . . ولكن هذه كلها أسباب استطيع أن أقنع بها نفسي . أمام « لماذا » رسمية لا بد من جواب « تنظيري علمي موضوعي » . ولكن لماذا ؟ . . انني ببساطة أؤمن بالفرد العربي كانسان مبدع وخلاق وقادر على توكيد انسانية الجنس البشري ، وفي تاريخنا وتراثنا شواهد كثيرة على ذلك ، وأؤمن بأن الوحدة العربية هي دربنا الحقيقي الى تحقيق ذلك ، والى المشاركة في منح الكرة الارضية الراكضة في الفضاء كريشة في مهب الريح ، بعضاً من السلام وادخال المعرفة والعدالة والحرية الى قلب العصر المظلم الآلي الكومبيوتري الجنون . . . أرى في الوطن العربي الكبير وقوته تعزيزاً للقيم الانسانية التي أؤمن بها وأعتقد أن لا سلام للانسان في أي عصر ومكان بدونها .

وبذلك يصير تحدي « موت الانسان » ممكنا ما دام يستمر في نهر الانسانية الشاسع الغبطة ، وحينما احتضر سأقول ثمة نجمة تضيء . . وسيأتي الموت حنوناً كرحم أم ، لانني حين أغمض عيني نهائياً قد اقتنع ، ولو لثانية واحدة انني بطريقة ما سأستمر ، ما دام ما ينتهي مني هو جسدي وحده . . وما تبقى مني مستمر في الآخرين .

● أخذ علينا بعض المستشرقين ومن جملتهم دنيس جونسون دافيز ، ان القصاص العربي الحديث وقع في التعبيرية عن مشكلته كمثقف من خلال تقمصه للأدب الغربي ، وهذا ما أضعف الواقع الاجتماعي في القصة والذي كنا نلمسه متحركاً عند نجيب محفوظ والحكيم ومثل هذه التهمة يوجهها لك بعض النقاد فالمرأة عندك هي أحياناً صورة ذاتية وليست اجتماعية ، كيف تردين على ذلك ؟

ـ رغم احترامي لصداقتي الشخصية وتقديري الفكري لدنيس جونسون دافيز الا أنني آخذ على المثقف العربي « انبهاره » بوجه عام أمام المستشرقين ، كجزء من عقدة العربي امام الاجنبي وبقية من بقايا عصور التخلف يجب التخلص منها .

اننا في شؤون الأدب نقرر بحزم حاسم « قال المستشرق فلان الفلاني » ، كما لو

كنا نستشهد بحديث لصحابي مثلاً ! . . . انني لا اوافق المستشرقين على هذا القول الذي يزايدون فيه على « عروبتنا » واعتقد ان لدى كل اديب ناشيء « مرحلة تأثرية » ، لكنها مرحلة عرضية لا بد لجوهره من التبلور بعدها ، جوهره المتفرد الفريد المختلف كبصمة أصبع ، هذا اذا كان مبدعاً بما فيه الكفاية ليستمر . . هذا بصورة عامة ، أما بالنسبة لي أنا فلست في صدد الدفاع عن نفسي لانني ارفض شرح او تفسير او تبرير نتاجي ، لكنني احب لفت النظر الى انه لا يوجد اجماع نقدي حول توجيه هذه التهمة لي ، بل ان بين الكتّاب والنقاد من يجدني اكثر « واقعية اجتماعية » ، حتى من الاسماء المذكورة ويحضرني الآن رأي للكاتب المغربي الكبير محمد الصباغ في مجلة روزاليوسف عدد ٢ مارس ١٩٧٥ ، يفضل فيه أعمالي على أعمال نجيب محفوظ . . ما رأيك ؟ . .

أما أنا فأرى في تباين الآراء حولي ظاهرة صحيحة . . . انها تعني ببساطة : انني موجودة .

خريف ١٩٧٥

زينات نصار تستجوب

● نزوات الرجل تؤكد أنه ما زال حياً !

● الحب كيف تفسرينه ؟

ـ أفسره ؟ ولماذا أفسره . الحب هو الشيء الذي يفسده التفسير ، وايضاحه غير ممكن الا بعد انقضائه . الحب موجود كي نعيشه لا كي نفلسفه ، وهو كالصلاة ، لغته الهمس الذي لا يسمعه الا الذي يرفع اليه .

● ضعف المرأة أمام حبيبها ، هل تعتبرينه انتقاصاً لها ؟

ـ ماذا تقصدين بعبارة « ضعف المرأة » ؟ . . حين يكون الحب متبادلاً يكون الضعف متبادلاً ، وحينما يكون الضعف متبادلاً فكل الأساليب مقبولة ، والانتقاص الوحيد هو خوف العاشقين من اتهام الناس لهما بالضعف . . جميل هو الضعف أمام الحب ، جميل أن يخلع القلب قناعه وأن يفجر انشودته بلا عقد . . الضعف والقوة مفردتان تصلحان للحديث عن الحروب والمعاهدات ، لا عن انسانين عاشقين .

● أي نوع من الرجال يستطيع أن يأسرك ؟

ـ الرجل الأسير . . أسير حبي .

● ماضي الرجل يعذبك ؟

ـ ماضيه ؟ لا . ما يعذبني هو مستقبله بدوني .

● ماذا تعطين حبيبك ، وماذا تأخذين منه ؟

ـ أعطيه كل ما في ذاكرتي من فنون العطاء ، وآخذ منه النسيان .

● تضحياتك في سبيل مـن تحبين ، هل لها حدود ؟

ـ نعم ، حدودها عدم الوعي بوجود تضحية أصلاً . حدودها رفض استعمال كلمة « تضحية » . . حينما تلتهب غابة الحب لا يتشاجر الرماد حول تحديد أي غصن بدأ

بالالتهاب .. يكفي الغابة أن الحب مر بها تاركاً فيها طعم صحوه ورعوده .

● **تستطيعين غفران نزوة للرجل الذي تحبين ؟**

- لا أستطيع أن أغفر للرجل كونه بلا نزوات . أجمل ما في الرجل نزواته ، انها تؤكد أنه ما زال حياً .

● **لو فشل حبك ، أتستطيعين التعلق بحب جديد ؟**

- نعم ، أستطيع . انني لا أخطط لذلك ولا أهدد به ، لكنه يحدث دائماً ببساطة ، بالبساطة نفسها التي تجدد بها الطبيعة ازهارها وأوراقها من وقت لآخر .. ومع ذلك لا بد من طعم الغصة حين نتذكر حباً معيناً مضى .

● **غيرتك تظهرينها أم تخفينها تحت ستار الكبرياء ؟**

- اذا كانت الغيرة تمتع رجلي أظهرتها له كي يستمتع بخيانته مرتين .. مرة معي ومرة مع الأخريات ! ..

● **الى أي حد يغيرك الحب ؟**

- يغيرني بقدر ما تتبدل الشمعة حين تشتعل .

١٩٧٧/٨/١٢

ليلى نجم تستجوب

● قبل أن نخلع ثيابنا علينا أن نرتدي تاريخنا .

غادة السمان ، ربما هي الكاتبة الوحيدة في سماء الوطن العربي منذ أوائل الستينات ، ما تزال محافظة على تجددها المتواصل . .

غادة السمان ، ربما هي الكاتبة الوحيدة ، التي عزلت أنوثتها عن عقلها . . وكتبت كل قصصها ومقالاتها بالموضوعية التي نسعى اليها في أدب النساء .

ولعل غادة السمان ، ربما بسبب شهرتها الواسعة لم يعد لديها ما لا يعرفه قراؤها . . الا أن غادة السمان التي بقيت في بيروت طوال القتال الدموي المعروف ، تحمل لنا ما يمكن أن تقوله . . وتحمل لنا ما لا نعرفه . .

ولهذا ، فقد كان مفتاح الحوار مع غادة ، هو الحرب ، وتأثيراتها ، وانعكاساتها .

● تأثيرات الحرب اللبنانية وانعكاساتها على الأدب عموماً والتأثير الشخصي عليك بالذات .

ـ حينما تقذفين بحصاة صغيرة في بحيرة شاسعة ، ترتسم مئات الدوائر التي تتسع وتتسع وتنتشر ويتغير وجه البحيرة .

حينما تطلقين صرخة في غابة يتغير وجه الغابة . . تركض الطيور وتبدل السناجيب أماكنها وتهرول الأرانب وكل حركة تحرض المزيد من الحركات المتلاحقة . .

فما بالك بالقلب البشري ؟ . . قلب وحيد عار الا من رداء الليل ، والمتفجرات تطارده وأدوات الدمار التي اخترعها الناس يتم تجريبها عليه كما لو كان فأراً للاختبار في مختبر عالم مجنون . . ان شيئاً لن يعود كما كان في لبنان . . كل شيء تبدل ، (نحو الأفضل أم الأسوأ ؟ تلك قضية أخرى) . . كل انسان تبدل . . من كان له صديق قبل

الحرب عليه أن يعاود التعرف اليه بعد الحرب .

ولأن الفنان مرهف كجرح ومنتشر في احشاء ليلنا الجهنمي كرادار من الأعصاب من الطبيعي أن يكون انعكاس الحرب عليه حاداً وشرساً . . بعضهم تدمّر داخلياً . . وبعضهم وجد دربا جديدة . . ولكن الحرب اللبنانية قد أثرت دون ريب في كل فنان لا لبناني فحسب بل وعربي أيضاً . ما دامت القضية اللبنانية عربية الجذور عربية النزف فلا بد وأن تكون قد أثرت في ضمير كل مبدع عربي ، فحربنا اللبنانية هي حرب عربية تخص الجميع . هذا من حيث المبدأ . من حيث التفاصيل ردود الفعل تختلف وتتباين من فنان الى آخر . بعضهم صمت . احترم صمتهم ، فلربما كان مرحلة تخمير لعمل أدبي كبير ينتظر صاحبه أن يختمر وكما تعلمين بعض الكتّاب يتفجر فوراً أمام الحدث تفجر النبع الأرتوازي أمام اللغم ، وبعض الكتاب يختزنون نبع عطائهم مياهاً جوفية يطول أمد ارتحالها في باطن الأرض ريثما تتفجر وتتدفق .

بعضهم قتل ، ورسم بدمه لوحة عطاء من أجل الأفضل أو لوحة هدر للانسان ، وفقاً لموقعه لحظة موته ، وهل اختار هذا الموت ، كمقاتل ، أم مات بالصدفة . بعضهم هاجر . الذين هاجروا لم يهربوا بالضرورة . ربما اكتشفوا أن رحيلهم ضرورة كي يستمروا على قيد العطاء (قبل الحياة) .

أنا شخصياً بقيت وكتبت وأعلنت وجهة نظري بصدق في روايتي كوابيس بيروت ، فقد كنت أعرف أنني أينما هربت من القصف المدفعي ، سأظل أحمل في داخلي قصفي الداخلي ، لقد علمني الزمن أن مواجهة المأساة خير من اختزانها في الداخل والتشرد بها في شوارع العالم . . لكنني لا أدين الذين غادروا لبنان ، بل أعتقد أنهم ناضلوا على طريقتهم وانطلاقاً من وجهة نظرهم للأحداث . وأنا أكره أحادية النظرة في الشؤون الانسانية .

شيء آخر دفعني للبقاء ، وهو احساسي الحقيقي والعميق بالانتماء الى أرض الوطن ومآسيه . يقول سارتر : (الجحيم هو الآخرون) . وأنا أقول (الخلاص هو الآخرون) ، فالخلاص الفردي مستحيل ما دام الانسلاخ عن الجذور أمر مستحيل . لست سائحة على جرح الوطن : أن مأساته هي مأساتي أنا شخصياً . الوطن ليس حقيبة نهرب بها في أول طائرة عند أول طلقة . الوطن هو الذي يسكننا ولسنا نحن الذين نسكنه . من هنا كان البقاء في نظري نتيجة مباشرة وبسيطة لانتمائي الى ملايين المناضلين في هذا الوطن العربي من أجل قيم انسانية يؤمنون بها حقاً وأياً كان الثمن .

أكرر : ذلك لا يعني إدانة الآخرين ، أو المواقف الأخرى غير المشابهة على السطح . فلكلٍّ الحقُّ في اختيار خندقه ومتراسه وتوقيت لحظة انفجاره ، والحرية هي الشرط الأساسي للابداع ، فالفن لا يمكن سوقه الى الجندية الاجبارية ولا تحديد مواقعه بالاقامة الجبرية .

● تعتبر غادة السمان أكثر الناس قدرة على الكتابة حالياً . نظرتك للأمور وتطوراتك أثناء كتابة الكتاب ومطالعاتك الشخصية .

ـ حينما أكتب قصة ما ، أكون أكثر الناس جهلاً بما سأقوله بالضبط . انني لا أخطط للنهاية سلفاً ، بل ان أبطال القصة هم الذين يقررون خاتمتها كما تشاء لهم حياتهم المستقلة أن يفعلوا دون أي قسر أو تدخل من جانبي . (بل انهم يفاجئونني أحياناً باختياراتهم) .

يبدأ الأمر باحساس سديمي غامض تمتلىء به أعماقي . بصرخة في روحي لا حنجرة لها ، وعليّ أن أخلق لها رئة وحنجرة بأداة الأبجدية واللغة .

يبدأ الأمر بشعور مشابه لشعور طائر البحر عند الفجر : انه ذاهب ليصطاد لكنه لا يعرف تماماً ما هو صيده .

يبدأ الأمر باحساس حاد ولاذع بأن هنالك جملة هاربة كسرب من الفراشات وعلي أن أطاردها في حقول اللغة . . وأحياناً كسرب من العقارب ، والأفاعي التي لا أملك الا ملاحقتها مهما كان الأمر مؤلماً . . واكتشافها . .

ذلك لا يعني أن الكتابة فعل غيبوبة ، وليس توكيداً للنظرية الاغريقية حول (الالهام) و (الوحي) . هذه المرحلة السديمية تسبقها عادة مرحلة من الوعي الحاد والصحو المستمر . مرحلة من رصد العالم حولي ، ورصد ارتسامه في مرايا أعماقي اللامتناهية العدد والمرصوفة في دهاليز الروح كما في مغاور الأساطير .

والى جانب مرحلة الرصد هنالك منهج في الرؤيا يحدده الوجدان الانساني الانتقائي الذي يرفض الظلم اينما وقع ويحس بأن موت أي انسان في أية أرض عربية (بل وفي أي ركن بالكرة الأرضية) موت هذا الانسان هو موت شخصي للفنان ، وأي عمل غير عادل هو موجه شخصياً ضد الفنان حيث تلتحم « الأنا » في « نحن » داخل بوتقة الالتزام بمعناه الحقيقي الانساني لا بمعنى الالزام الذي تفرضه بعض الأنظمة على الفنان فتحوله من مبدع الى موظف يكتب الأناشيد المداحة والكليشيهات بالرغم عنه .

هنالك أيضاً قضية الثقافة وهي ضرورية في عالم يصدر فيه كتاب جديد كل ثلاث

دقائق . . انني لا أستطيع أن أفهم كيف يمكن لانسان أن يبدع اذا لم ينفتح على ابداع سواه كي يتجاوزه بدلاً من أن يكرر ذاته أو الآخرين . . يخيل الي أن من مآسي الأديب العربي أنه يكتب ولا يقرأ ـ غالباً ـ . بالنسبة الي ، المطالعة باللغات الأجنبية التي أتقن بعضها هي بمثابة الوقود لعربة الابداع ومهما كانت العربة متقنة الصنع فانها عاجزة عن التحليق دونما وقود ، أو أن تحليقها يظل محدود الأفق . أعتقد أن لنشأتي دوراً أساسياً في ذلك ، فقد نشأت في بيت جدرانه من الكتب ، وكان والدي المرحوم الدكتور أحمد السمان قد نذر حياته للعلم بالمعنى الحقيقي للكلمة . أوقاته خارج العمل كنا نعيشها معاً منذ طفولتي مع الكتب . وبفضله قرأت شكسبير وأنا في العاشرة من عمري وصادقت زملاء والدي من أساتذة الجامعة وأنا في الخامسة . . لعل ذلك قد حرمني من طفولتي ، لكنه هداني الى النبع المقدس الذي لا ينضب : المعرفة الانسانية . .

حينما أزور مكتبة ، أشعر بما تشعر به النساء عادة حينما يزرن متجراً لبيع الفراء أو الماس مثلاً . وحينما أصاب مكتبتي صاروخ ـ في حربنا الأهلية ـ وأحرقها ، شعرت بحزن حقيقي كما لو أن كل كتاب صديق حي وها هي جثثهم مكومة والدخان يفوح منها . . بل خيل الي أن لمكتبتي رائحة لحم بشري محروق . .

● **نظرتك للرجل من خلال الكتابة ومن خلال المعرفة ـ في كتاباتك صراحة ، ماذا عن سلوكك ، مفهوم الجنس بالنسبة لك**

هل هو مكمل للرابطة الانسانية ؟ وهل يفترض أن تمارسه قبل الزواج في رأيك ؟

ـ أنظر الى الرجل كرفيق في درب النضال الطويلة . تضحكني الحركات النسائية لتحرير المرأة . أعتقد أن عليها المطالبة بتحرير الرجل أيضاً ، أي المطالبة بتحرير الانسان العربي . خلاص المرأة مستحيل داخل مجتمع بائس وتحريرها غير ممكن داخل مجتمع لم يتحرر أفراده جميعاً .

من هنا لا أنظر الى الرجل كجلاد للمرأة ، بل كشريك لها في البؤس ، وكرفيق في درب التحرر من التخلف .

هذا على الصعيد الفكري . على صعيد التعامل اليومي ، أفضل الصداقة مع الرجل أو مع المرأة العاملة . ليس صديقي من لم يتألم ويتعذب ويعرف مرارة الخيبة . المرأة البورجوازية غير العاملة تتوقف خيباتها عند عتبة حلاق الشعر وألوان الصبغة فاشلة أم ناجحة ، و(مآسي) الريجيم والموضة . لذا أفضل صداقة الرجل الذي عركته

متطلبات الحياة والعمل أو المرأة العاملة التي عرفت معنى المسؤولية وانفتحت نوافذها على غير تفاصيل (مملكة المرأة) الى تفاصيل (مملكة العذاب الانساني) . المرأة التي سبق لها أن نزفت مراراً وحيدة على بلاط مملكة الغربة .

بالنسبة لقضية التحرر الجنسي وما يتفرع عنها من أسئلة (جذابة) مثل هل تقيم الفتاة علاقات جنسية مع الرجال قبل الزواج أم بعده (!) وغيرها ، فكل ما أستطيع قوله أنني لا أستطيع أن أنظر الى قضية التحرر الجنسي بمعزل عن قضية تحرر الانسان العربي ككل .

التحرر الجنسي يجب أن يكون جزءاً من تحرر الانسان العربي الاقتصادي والفكري والسياسي . أما إذا نادينا بالحرية الجنسية وحدها من دون ذلك كله ، فستتحول الى مجتمع أصابه الخلل ، لأنه لا يمكن اعتاق طاقة انسانية دون أخرى . الكبت الجنسي يشابه تماماً الانفلات الجنسي المائع كما تمارسه المجتمعات الاستهلاكية ما دام ـ كالكبت ـ يهدر طاقات الفرد .

ان أول شرط لممارسة أية حرية هي المسؤولية ، والتوازن بمعنى عدم التركيز على حاسة انسانية دون أخرى . . ومن هنا أرفض طرح قضية التحرر الجنسي بمعزل عن قضية تحرر الانسان العربي ككل وعلى كل صعيد كما أنني بالمقابل أؤمن بأن التحرر الجسدي جزء لا يتجزأ من تحرر الإنسان العربي الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والفكري من الاستلاب القائم على فكره وجسده وأرضه وذاكرته المستقبلية وتطلعاته . المهم أن نقاتل على الجبهات كلها ، لا على جبهة الجسد فحسب . قبل أن نتطلع الى خلع ثيابنا علينا أن نرتدي تاريخنا ووعينا ليكون تحرير الجسد صحواً لا غيبوية ، وفعل ثورة لا فعل خلاعة .

١٣/ ١/ ١٩٧٧

كمال بخيت يستجوب

● الرجل العربي كنز من العطاء ، لا على الصعيد الفردي فحسب بل والقومي والانساني .

قد لا تلتقي المتناقضات في مساحة الزمن الا لحظة واحدة . . وتلك اللحظة كانت هذه المرأة ـ المستحيل ، القادمة من الزمن الآتي ،

غادة السمان . . هذه المرأة المستحيل أدهشتنا بنورها الباهر الذي أضاء عتمتنا الداخلية منذ سنين طويلة ، وكشفت لنا كم كانت من قبل حياتنا فقيرة العواطف وكم كنا نحيا في قلوب معظمها فارغ من الجمال والورد والحب ، من اشراقة الشمس . . من العطر والتمرد . .

وقصص وروايات غادة في كل بيت . . وتحت وسادة كل عاشق وعاشقة . .

التقيت بها . . في حوار طويل أجابت فيه بصدق وبقلب مفتوح .

في بداية حواري . . قالت لي : انني لا أكون غادة السمان الا عندما أمسك القلم . .

أما بغير القلم . . فأكون امرأة عادية !

دعوة لكم مني عبر السطور معها . .

● قلت لغادة . . . الفن بصورة عامة . . . هل هو فعل أم رد فعل ؟ وهل تتعاملين معه باعتباره فعلاً أم رد فعل ؟!

ـ في الفن يصير الفعل ورد الفعل وجهين لحقيقة واحدة متكاملة ومتنامية . . أسألك أنا : التنفس ، فعل أم رد فعل ؟ تتنفس لتفعل الحياة أم تتنفس كردة فعل ضد الموت اختناقاً ؟ . .

المهم أن يكون الفن تنفساً حقيقياً ، عفوياً وأصيلاً كالتنفس ، يتوحد فيه الفعل

ورد الفعل من أجل انبعاث أصيل وواع ، لا (غير ارادي) كفعل التنفس الفيزيولوجي . .

● المرأة العربية . . هل تعتقدين أنها تحقق وجودها وتمارسه بصورة فعلية من الداخل (نلاحظ أنها تخشى ذكر اسم حبيبها وتخجل من . . . ومن . . الخ) وما هي شروط هذا الوجود الموضوعية في رأيك ؟

ـ سكبت نفساً عميقاً في جوفها وأخرجت زفرة حارة وقالت : ليست المرأة العربية وحدها ما يقلقني . يقلقني أيضاً الرجل العربي الذي لا يحقق وجوده ويمارسه بصورة فعلية ، وهذا لا يقتصر على كتمانه لاسم حبيبته (بل وزوجته كأن اسم الزوجة عورة) بل يتعداه الى قصوره عن ممارسة وجوده على الصعيد السياسي والاجتماعي والانساني . . . أنني لم أطالب قط بتحرير المرأة أو بحقوقها ، بل انني أطالب بحقوق الرجل وبتحرير الانسان العربي (امرأة ورجلاً) . . . ان قضية المرأة مرتبطة عضوياً بقضية الانسان العربي وبتحريره، وأي طرح لها خارج هذا الاطار يشبه محاولة حل مشكلة الفقر بأكملها عن طريق الجمعيات الخيرية .

. . . آه متى نستيقظ كي يرضى الفجر بالبزوغ ؟

● . . . الكتابة . . . أعطتك أم أخذت منك ؟ وهل تمارسين الأمومة التجريدية مع الكلمات أم أنها تمثل عندك محوراً للامكان في (الماحول) و (الماقبل) و(المابعد) ؟!

ـ الكتابة هي حبي الحقيقي . . . ومع الحب لا توجد (فواتير) وحسابات ودفاتر ذمم . . . في الحب العطاء ، أخذ ، والتضحية نرجسية والاخلاص المطلق أنانية ، والنزف عملية عادية كالمشي ، والذوبان في المحبوب ذروة الفردية . الكتابة لم تأخذ مني ولم تعطني . الكتابة هي أنا !!

● القصة القصيرة والرواية في أيها نجد غادة السمان حقيقة ؟ وما هو نوع الرواية التي تمارسين كتابتها وما هي علاقتها بالواقع من حولك ؟!

ـ تجدني حقيقة في كل حرف أخطه بالقدر نفسه من الصدق والبوح . . . في حوار صحفي . . . في رواية . . في بطاقة بريدية . . في قصيدة . . في برقية مكتوبة على عجل من احدى محطات الليل . . . في كلمة عاجلة تركتها على شجرة صديق وكتبتها على أوراق المطر والريح . . وفي (عمودي) باحدى المجلات الاسبوعية . .

حينما أكتب ، تمارس وجوهي المتعددة كذبها اللامتناهي الصدق !

● متى تصير المرأة دمية ، ومتى تصير قصيدة كبيرة عاشقة أصيلة العشق ؟

ـ تصير المرأة دمية حينما (تبيع) . . . وتصير قصيدة حينما (تمنح) !!

● **هل نكتب إلا الأشياء التي نريد أن نكتبها ؟ . . . بمعنى أن الكاتب يحبس باستمرار عن المتلقي أشياء يعتقد أنها خاصة جداً به ؟**

ـ بعض الكتاب يفعل ذلك . . بعضهم لا . . غالباً ما أجد نفسي منساقة الى كتابة ما لا أرغب في قوله . . الاشياء التي لا تكتب هي التي تمتعني كتابتها . . الاشياء التي أحاول اخفاءها هي التي اختار غالباً كتابتها . .

الأشياء التي أحبسها هي التي قد تشكل ضرراً مباشراً بالآخرين او اسرهم أو ذكراهم . . . لكنني أكتبها ، وأترك نشرها بعد أن يبطل الزمن أهميتها (كفضيحة) وتبقى أهميتها (كفن) . .

● **من أين اكتسب أسلوبك في الكتابة . . تلك الغنائية الحزينة ؟ !**

ـ . . لا أدري . .

ربما من حسي العميق بموت الاشياء الجميلة . . الصداقات . . الكلمات العذبة . . . اللحظات المتوهجة ، أراها كلها كما يرى المسافر غابات النسيان من نافذة القطار ، مغسولة بالمطر ودامعة ومستعصية على التكرار . . ومن هنا محاولتي في كتابي الأخير « اعتقال لحظة هاربة » ـ لم يصدر بعد ـ .

وربما كانت غنائيتي الحزينة من بعض دمي العربي البدوي ، وربما كانت من بعض دمي العصري ، الذي يَعي أصالة أمته وعظمتها ويعي في الوقت ذاته تخلفها المرحلي ، ويتمزق حائراً أمام طموحه الكبير من أجل أن يمنح . . . من أين يبدأ ؟ عبر الكلمة وحدها ؟ عبر السياسة ؟ . . عبر الهرب ؟ عبر التمزق ؟ عبر العمل على طريقة النملة أم النسر ؟ وكيف يستطيع الانسان أن يتعلم مثابرة النملة وشموخ النسر . . . كل هذا والزمن يركض وهنالك بشر يتنزهون على سطح القمر . . . . ونحن . . . يا نحن . . .

● **الرجل . . . أكثر أنانية أم المرأة . . . لماذا ؟ في البيت . . . الحب . . . . الفن . . . . الشعر ؟**

ـ الرجل كائن رائع أحبه وأحترمه ولا ينقص من حبي له معرفتي ببعض نقاط ضعفه التي لا تخلو المرأة منها ـ ان لم تفقه بها ! . .

الرجل ينبوع حنان ، وهو حينما يمنح يصير جباراً كالشمس وشفافاً كالقمر . . .

الانانية ؟

ضعف انساني آخر موجود لدى بعض النساء وبعض الرجال بنسب متفاوتة ،

لكن تلك قضية هامشية جداً . . .

حينما نتحدث عن الرجل . . . أفكر بالرجل العربي . . أنه كنز من الطاقات والعطاء والوفاء النادر لا على الصعيد الفردي فقط بل على الصعيد القومي والانساني . .

أما (الانانيات) الصغيرة التي نجدها لدى بعض الرجال العرب تجاه زوجتهم العاملة مثلاً فتلك ، رواسب عصور تخلف طويلة ، وسوف تتلاشى تلقائياً كما تتلاشى الظلال حين تسطع الشمس . .

● **متى يصبح الفن لديك ثورة مضادة ؟**

ـ الفن الحقيقي هو باستمرار ثورة مضادة . . وتجاوز لما مضى . . . لكن ليس ثورة (مضادة) لمجرد أن تكون (مضادة) . . أي أنه ليس (الرفض للرفض) بل هو (الرفض للبناء) ومن هنا نجد أن الفن الحقيقي هو ثورة مضادة لا تقطع جذورها عن التراث وانما تعي ضرورة غربلته بصورة واعية ومسؤولة . .

(الرفض للرفض) موقف صبياني ، ومراهقة فنية . ليس المهم ان نرفض ، المهم أن نعرف ماذا نرفض ولماذا نرفض . والمهم بعدها أن نرفض بأي ثمن . .

● **ما رأيك في الرواية العربية بصورة عامة ؟ !**

ـ بصورة عامة ؟ . . . . هذا ظلم للمبدعين . . . وكل مبدع عالم قائم بذاته . ولكنني أيضاً لن أظلم سؤالك . .

الرواية العربية بصورة عامة جيدة وفيها أسماء مضيئة كالمنارات . لا تسألني من . لا أريد أن أتملق أحداً .

● **كوابيس بيروت . . . ما هي ؟ !**

ـ . . . قد تكون كوابيس بيروت ولو في بعضها صرخة ضد التوهم بأن ما يدور في لبنان هو مجرد شجار طائفي وانما هو من بعض ثورة الانسان العربي في أقطاره كلها من أجل الوحدة والحرية والديمقراطية الحقة والكرامة . صرخة تذكير بأن ما يدور في لبنان قد لا يكون مجرد نزوة جنون ، بل حرباً دامية لتوكيد عروبته ضد القوى التي تحاول توكيد انعزاليته . انها أيضاً حرب القمع السياسي والاجتماعي والطبقي الذي عاناه طيلة أعوام رغم أقنعة رخاء المجتمعات الاستهلاكية المزيف . (هذا ما نتمناه على الأقل) .

● **وكتابك . . . « أعلنت عليك الحب » لمن ؟ !**

ـ . . . له . . . ولهم ولعالم نسي الحب كأداة للتبديل وتفرغ للحرب . .

والحب سلاح جهنمي الرقة . . . (أليـس أمضى السيوف أرقها حداً) ؟ . . .

- **قلت لها . . ماذا تثير فيك هذه الاسماء والافعال والاشياء ؟**
- الطيب صالح : موسم الهجرة الى العبقرية .
- برتقال يافا : غسان كنفاني ، صديقي الراحل .
- الدموع : رموش اصطناعية لكنها شفافة .
- امرأة بغي : تاجر اسلحة للاطراف كلها .
- بيروت في الخامسة صباحاً : جثة ، وشهود الجريمة هم القتلة .
- عصفور على شباك زنزانة : خذني معك .
- الأطفال : (كبار) سنحاول تصغيرهم وتحجيمهم عاماً بعد آخر .
- التنفس داخل حلم ناقص : سمكة تكره السباحة !

١١/ ٥/ ١٩٧٨

ليلى الحر تستجوب

● المعذبون يثورون مرة اما المرأة فعليها ان تثور مرتين .

● طموح الفنان ، كطموح جمرة لتدفئة الكرة الأرضية ! . .

● غادة : ١٩٧٥ كانت وما زالت الحالمة بالكلمة الجميلة ، بالصورة الجميلة ، بالتعابير الشعرية المشرقطة فناً وحرية . غادة ١٩٧٨ صارت شغوفة « بالموقف » . صارت الكلمة لديها « فعل تغيير» . هل هي الحرب ؟ هل هو النضج ؟

ـ انها الحرب وكل حرب نخرج منها احياء نستطيع ان ندعوها نضجاً . الحرب والنضج كلمتان مترادفتان في حال قدرتنا على الاستمرار .

ولكن الحرب لم تبدأ عام ١٩٧٥ . الحرب بالنسبة لكل فنان تبدأ يوم يفتح عينيه على العالم حوله ،واذا كان ذلك الفنان عربياً ، فإن مآسي مجتمعه تحاصره ويعيش كل يوم مجزرة نفسية عامة وفردية ذاتية .

الحرب بدأت منذ زمن بعيد . الحرب (اللاحربية) الدامية . وانت باستمرار تنتقلين من حرب الى حرب لا من حرب الى سلم .

وبعد كل معركة ، تعودين الى كهفك ، تلملمين ذاكرتك وقتلاك وحطام سفنك والهشيم . . وتعيدين تقييم المعركة وتزدادين وعياً « بالموقف » . موقفك من الافكار التي تحاصرك وصوتك الداخلي واصوات الآخرين ومعاركهم الموروثة (الداحسية ـ الغبرائية) او معاركهم المستجدة (المستوردة) او المعارك النابعة حقاً من جوهر الحاجة الى التطور والاستمرار والتبديل .

في بداية البداية تكون الكلمة «فعل طرب» ثم « فعل اكتشاف » ثم « فعل تحد »

واخيراً ، حين يمتلك الفنان ادواته وقناعاته ويقينه (ولو كان يقيناً بالالحاد بما حوله) تبدأ المرحلة الحقيقية للعطاء الناضج : الكلمة كـ « فعل تغيير » . يصير طموح الفنان كطموح جمرة لتدفئة الكرة الأرضية !! . . . يصير الـ « دونكيشوت » المجسد للمأساة والدراما ، فهو يريد مسح البشاعة عن وجه العالم بعدد محدود عتيق من الأسلحة: حروف اللغة . والمدهش أنه يتابع جنونه الساحر. يتابع في الصحف أنباء الأسلحة الحديثة والقنابل النيوترونية، لكنه يتابع عمله باخلاص الحرفي العتيق وبجنون نسر تمر به طائرة «جمبوجيت»لكنه يستمر في تحليقه مصراً على ان لطيرانه نكهة أخرى! . . .

لقد كنت دوماً شغوفة « بالموقف » ، لكنني كفنانة غير حزبية لم أجد ابداً اي موقف جاهز اتبناه وبالأحرى يتبناني . . . انني باستمرار ابحث عن الحقيقة بأدواتي انا ، واؤمن بأن من واجب الفنان الا يشتري (الحقيقة الجاهزة) وان يكلف نفسه باستمرار عناء اعادة النظر في كل ما يصل اليه من قديم او حديث . . . واعماله الأولى لا بد وان تتضمن بذور تطلعاته التي يستطيع الناقد الجيد رصدها حتى قبل ان تنمو وتزهر .

وطموحي الاكبر هو ان تكون حربي الطويلة والمستمرة على الجبهات كلها قد بدأت تثمر وان اكون قد امتلكت ناصية فني الى حد يتيح له ان يصير في الوقت ذاته « فعل تغيير» .

ثم ان الفنان العربي يشبه نبتة مزروعة في تربة تروى باستمرار بالدم . والعرب بصورة عامة ، صاروا في الاعوام الأخيرة يميلون الى حل مشاكلهم فيما بينهم عن طريق الدم بدلاً عن طريق الكلمة كـ « فعل تغيير » . . . لقد دخلوا « المرحلة الدموية » لحل المشاكل العربية ، و« المرحلة السلمية » لحل المشاكل مع الاعداء . ولذا فقد تسبب الخلاف في الرأي بين العرب حول حل قضية فلسطين مثلاً في سقوط مئات الآلاف من القتلى العرب ولم يتسبب الاجماع في الرأي بينهم حول عدوان اسرائيل ، في سقوط قتلى اسرائيليين بمعشار ما سقط من قتلانا . . .

العرب الذين كانت الكلمة معجزتهم لأنها كانت لديهم « فعل تغيير » ، صاروا بحالة عجز عن الحوار فيما بينهم ، وصار القتل لغتهم المفضلة فيما بينهم فقط ، اما مع العدو ، فأقصى الحوار المنطقي الحضاري السلمي المهذب !!

في طوفان الدم هذا ، يتطلع الفنان إلى الكلمة كـ « فعل تغيير » ولا يملك الا ان يطالب برد الاعتبار للكلمة العربية ، والكف عن استعمالها مخدراً وقناعاً والعودة بها الى الجذور : اداة مثلى « لفعل التغيير » ولكشف الحقيقة وتحديد « الهدف » الحقيقي ،

فالرصاصة التي تطلق لا تسترد من القلب الذي استقرت فيه واسكتته ، لكن الكلمة الصادقة النادمة الواعية تستطيع بلسمة جرح احدثته . .

ان الكلمة كـ « فعل تغيير » تبدو لي في هذه المرحلة ضرورة وطنية ـ بالاضافة الى انها فعل خلود انساني ـ ، لاعادة الاعتبار الى صوت العقل بين العرب وحسن الانصات ليمارسوه فيما بينهم بدلاً من ان يختصوا بذلك عدوهم ! . . .

لقد دفعنا ثمناً دموياً باهظاً لأننا وجهنا البندقية الى صدور بعضنا بعضا والقلم الى صدر عدونا . . .

ربما آن الأوان لتبديل المواقع ! . . . او على الأقل لتعميم بركة الكلمة على الجميع .

● « كوابيس بيروت » كانت التصاوير المباشرة للحرب . . . اللغة ؟ والصورة المسجلة « فيديوتيب » ، واللون الذي يخرج من أفق الأزمة ؟ لو قرأت الكتاب الآن ، بعد مضي سنتين ماذا تحذفين ؟ ماذا تضيفين ؟ . . .

ـ بالنسبة لاعمالي السابقة كلها ـ حتى التي قد لا أرضى عنها الآن ـ لا استطيع أبداً ان احذف شيئاً او اضيف شيئاً او اعيد كتابتها . لقد حدث الأمر على هذا النحو وانتهى وخرج الأمر من يدي ليتابع حياته بمعزل عني تماماً مثل قصة حب انتهت ، قد تفكرين فيها بقرف او بحنان او بغصة توق لكن الأمر يتوقف عند هذا الحد وتكرارها مستحيل . . .

يسمى الفن عملية خلق ، ليس لما فيه من صفات عظيمة بل ايضاً لما يرافق الخلق من صفات اخرى : يخرج المخلوق حياً بكل مزاياه واخطائه ، وعاهاته تلازمه كما تلازم الانسان عاهاته وفضائله . العمل الفني كالخطيئة تلتصق بك الى الابـد بلذاتها وبعارها ! . .

هذا من حيث المبدأ .

بالنسبة « لكوابيس بيروت » ، اعدت قراءته هذا الاسبوع من اجل اعداد طبعته الثالثة . واصدقك القول : لم اشعر بعد بالرغبة في حذف كلمة ولا في اضافة كلمة . والمهزلة انني شعرت بالاحساس ذاته يوم اصدرت كتابي « لا بحر في بيروت » . لكنني حين اعدت قراءته منذ اسابيع لاجل الطبعة الرابعة ، دهمني احساس ، بالمرارة والخيبة والسقوط في بعض صفحاته (!) . ان الفنان لا يعرف ابداً ما يرضيه او ما سيظل راضياً عنه ، وكل ما يملكه هو ان يتطلع في المستقبل الى عطاء اكثر جودة وكمالاً . وحين يحس

الفنان بخلل في عمل سابق ما من اعماله ، فهو يعرف في الوقت ذاته ان « الحذف او الاضافة » لا يجديان . فالشكل جزء من المضمون ، وتعديل بعض المواضيع لا يجدي اصلاً ـ حتى لو فرضنا انه امر ممكن بالنسبة لنوعية مختلفة من الموهبة ـ . انا شخصياً ، أتابع عملي (من لا يعمل هو وحده الذي لا يخطىء) وحين اكتشف اخطائي لا ارجع الى الدفاتر العتيقة لكنني استمر في درب التفجر الجديد محاولة الاستفادة قدر الامكان من أخطاء الماضي لحفر مجرى أكثر ملاءمة لنهر عطائي . لن أبني سداً في مجراي لاصلاح منعطف سابق ما ، سأحاول ان يكون نهري المقبل أفضل بحيث يسقي الناس ويمكث في الأرض . حتى الآن ، ما زلت أرى في « كوابيس بيروت » عملاً فنياً جيداً ، مادته الخام الأولية هي كما ذكرت « الفيديوتيب والوان الأزمة » لكنه يتضمن بالاضافة الى ذلك مئات العناصر الفنية الأخرى اللازمة لخلق عمل أدبي يبقى . ولكن من يدري ؟ قد انظر اليه بعد عشرة أعوام نظرتي اليوم الى بعض نتاجي القديم : حين أفقد الرضى عنه ! . . .

● غادة الاديبة ، انتقلت حديثاً الى عالم النشر ، فصارت تحمل لقباً اضافياً لالقابها المتعددة . ماذا نويت ان تصنعي ـ باللقب الجديد ـ غير نشر كتبك ؟

ـ قبل ان اتحدث عن نواياي اعود الى نواياك انت ! . . . « منشورات غادة السمان » ليست لقباً لكنها اليوم مهنتي ومورد رزقي (الا اذا ظل البعض على توهمهم بان الزواج هو مهنة المرأة الوحيدة وعليها ان تتابع امتصاص دم الزوج دون ان تبذل جهداً خاصاً للوقوف على قدميها ليكون الحب الذي تقدمه هو الجوع الى الرفقة ، لا جوع الحاجة فقط !) . . . انني ارصد ظاهرة استغراب البعض لاستقلالي المالي الذي كافحت طويلاً كي احققه . فحين يحقق الرجل امراً كهذا نجدهم يهنئونه لأنه استطاع ان يؤمن لنفسه عملاً شريفاً يدر عليه رزقاً حلالاً ، اما حين تفعل المرأة الشيء ذاته فإنهم يسألونها : لماذا ؟

بالاضافة الى استقلالي المالي عبر منشوراتي ، حققت استقلالاً طالما طمحت اليه : استقلالي عن العمل الصحفي . فأنا عاجزة عن العمل في اي حقل روتيني (فشلت حتى في التدريس الجامعي !) ، وكانت الصحافة العمل الوحيد الذي استطيع ممارسته . لكن الصحافة حين يطول بك الأمر معها تتحول الى عاشق متطلب يستنزف الطاقة على العطاء الادبي . لقد وجدت في تأسيس منشوراتي الحل الوحيد لعلاقتي الغرامية المدمرة مع العمل الصحفي بحيث استطيع العودة الى الصحافة والأخذ منها

« بمقدار » حينما اشاء انا ، لا حينما تشاء لي فواتيري وديوني .

هذا مرحلياً . لكن الطموح ليس جبلاً نتسلقه ونستريح ، بل هو سلسلة من القمم المتلاحقة .

انني امتلك حب العمل والطموح ، واذا بقيت هكذا ، وبقيت على قيد الحياة ، فقد احقق حلمي في توسيع دار نشري التي بدأت « خلاصاً فردياً » يحدوها الامل لتكون « خلاصاً جماعياً » بمعنى ما ، وضمن نطاق طاقتي المحدودة واللامتناهية ايضاً .

● في بداية حياتك الادبية ، كانوا يقولون ان غادة السمان تستخدم كتاباتها عن الحب لدغدغة الكبت العربي لا لتحرير الانسان العربي . والآن بدا بعد كتبك الأخيرة ان هاجس غادة السمان هو الحرية بمفهومها الشامل ـ بما فيها الحب ـ . ماذا تردين ؟

ـ ما كان يبدو في مرحلتي الأولى (دغدغة للكبت العربي) ، هو تعثر المحاولات الأولى ريثما تمتلك ناصية التعبير الكامل لما ترغب في قوله ـ هذا اذا فرضنا جدلاً ان تلك الدغدغة موجودة في اعمالي الأولى ـ . ان مأساة الفنان في المرحلة الأولى الادبية هي غالباً وعيه المروع للهوة بين ما يرغب في قوله ، وبين ما تقوله كلماته بعد ان يكتبها على الورق . هذا الوعي سيظل يعذبه طيلة حياته ولكن بدرجات مختلفة متفاوتة وهو يتخذ شكل الأزمة في الخطوات الأولى .

ان من يقرأ مثلاً كتاب « آلام فيرتر » تأليف جوته ثم يقرأ له عمله الخالد « فاوست » يـصعق للتفاوت في مفهوم الحب ومدى نضج الثاني بالنسبة للأول ، ثم يزول عجبه حين يعرف ان « آلام فيرتر » كانت وليدة المرحلة الأولى ، و « فاوست » وليدة ما يقارب من اربعين عاماً من العمل المتواصل والجهد والنضج .

انني افخر بأنني اديبة لم تبدأ بأفضل اعمالها لتنحدر فيما بعد (يقال ان كل انسان يستطيع ان يكتب في حياته رواية واحدة جيدة ، واحدة فقط !) ، ولكنني بدأت من السفح وانا اعي المسؤولية الحقيقية بأن على كل كتاب ان يضيف شيئاً الى ما سبقه كي يكون هنالك اي مبرر لكتابته ولنشره .

واعترف لك ـ بدلاً من ان ارد ـ ان الحرية بمعناها الفردي كانت هاجسي الأول في مرحلتي الأولى . كنت صغيرة ووحيدة ومحاطة بقوى القمع البورجوازية الدمشقية العتيقة التي تهدف الى تدجيني والى (قولبتي) لخدمة مؤسساتها . في تلك المرحلة اتخذت الحرية لدي شكل التمرد الفردي والتحدي الشرس الغاضب الجريء والمحموم والذاتي ، ولا

ريب ان ذلك انعكس في كتاباتي الأولى ، وتوهمه البعض دغدغة مقصودة للكبت العربي ! . .

● انت ضد الطروحات النسوية لقضية المرأة ، وترفضين الاعتراف بأن هناك « قضية ما » للمرأة منفصلة عن قضية الرجل ، وقضية المجتمع ، لماذا؟ رغم كل ما تملكين من عناصر نسوية للتحريض وعناصر ادبية متميزة « بالتسويات » .

ـ لأنني ارى ان هنالك « قضية ما » للمضطهدين جميعاً والمرأة منهم . وارى ان اسباب اضطهاد المرأة هي جزء من اسباب اضطهاد بقية بؤساء المجتمع ، وان « التخلف » هو المرض الاساسي . لا اعتقد ان الرجل يتعمد اذلال المرأة ، ولكن تربته التي ينمو فيها تؤدي به الى قمعها وتوكيد دونيتها .

كنت أرى في الثورة الشاملة الحل لبؤس جميع المسحوقين بما فيهم المرأة ، وكان هاجسي الأساسي الحرية للجميع والخبز للجميع والكرامة للجميع ، للمرأة وللعامل وللفلاح وللطفل وللعجوز .

من هنا فإن وعيي بالقمع الذي يمارس على المرأة ، لا يؤدي بي الى التعصب لها ، بل الى الوعي بالقمع الذي يمارس ايضاً على سواها ـ نتيجة للامراض ذاتها وبالأدوات ذاتها ـ . ان كوني امرأة تقاسي من وضعها (الدوني) ـ من حيث الحقوق ـ الناجم عن ذلك ، لم يدفع بي الى التقوقع داخل الالم الانثوي بل جعلني انفتح على آلام جميع المسلوبة حقوقهم ، واتطلع معهم الى ثورة فكرية واجتماعية والى تبديل في القوانين والمؤسسات يجعل من اطفال الجيل القادم (من بنات وصبيان) جيلاً اسعد من جيلنا الممزق . لكنني لا اخفي عليك انني امر حالياً بأزمة فكرية تستحوذ على الكثير من تفكيري .

لطالما فكرت : ان القمع الذي يمارس على المرأة مركّب فهو قمع « شوفيني ذكري » بالاضافة الى انه قمع اجتماعي . بعبارة اخرى : زوجة العامل ، يضطهدها رب العمل كما يضطهد زوجها ، بالاضافة الى اضطهاد زوجها لها لمجرد انها انثى .

وحتى المرأة الثرية ربة العمل فإنها تعاني من اضطهاد اسرتها ومجتمعها لها (كأنثى) في حين لا يعاني من ذلك رب العمل .

اضطهاد المرأة اذن مركب ، ولن يفلح في تحريرها سوى ثورة مركبة .

وكنت باستمرار اقمع هذا الصوت في داخلي واحلم بأن الثورة ستخلق رجلاً جديداً ومجتمعاً جديداً وامرأة جديدة وبالتالي علاقات جديدة كما وعدنا اوغست بيبل في

فصله الخاص بـ « المرأة في المستقبل » في كتابه « مجتمع المستقبل » - ترجمة سمير كرم .

ومنذ اسابيع قرأت كتاب «قضية النساء» ترجمة جورج طرابيشي، فاصبت بخضة فكرية حقيقية . الكتاب كتبته نساء ثوريات وفاعلات وفيه شكوى من اضطهاد « الثورة » لهن لأنها « ثورة مذكرة » في النهاية ، وتستخدم بؤس النساء مرحلياً لكنها بعد نجاح الثورة تعيدهن مواطنات من الدرجة الثانية وتبعدهن عن المراكز القيادية . . (هذا طبعاً لا ينفي الموقف الفكري العادل الذي يقفه كثير من مفكرينا من المرأة) .

لعلها ليست ازمة فكر بقدر ما هي ازمة ممارسة وازدواجية متوارثة . انني حالياً استكمل قراءاتي حول كل ما له علاقة بهذه التجربة في الحياة وفي الكتب ، واعيد النظر بتكتيكي العملي بالنسبة « لقضية المرأة » التي يبدو انها بحاجة الى اكثر من « ثورة » واحدة لتحقيق مطالبها العادلة . . . ان ذلك لا يعني ابداً خيبة امل في « الثورة » او الارتداد الى حلول اكل الدهر عليها واكلها ايضاً (!) . ذلك يعني ان جميع المعذبين عليهم ان يثوروا مرة ، الا المرأة ، عليها ان تثور مرتين ! . . .

كيف ؟ هذا ما يقلقني هذه الايام .

١٥/١٢/٧٩

فريال ملكو تستجوب

● البوم شعار منشوراتي ، لم ينحسها وليس سبب نجاحها !

في معرض الكتاب العربي الذي أقيم مؤخراً في بيروت برز اسمها كصاحبة دار نشر يؤكد حضور المرأة العاملة ، الغزيرة الانتاج ، القريبة من عمق القضية ، والبعيدة عن « عصر الصالونات البرجوازية » .

غادة السمان ، أديبة مميزة في حساسية الفكر ، وشفافية التعبير وصدق اللهجة .

انها . . كلمة صدق في فم الحقيقة ، عرفناها كاتبة في عالم غابت عنه غزارة الأنثى الأدبية . أعطت نصف عمرها للقلم (لأن الكتابة جنونها الخاص ، وهوسها المخلص) . نثرت كلماتها نثراً وشعراً وقصصاً ، فجاءت كالرغيف الأبيض في زمن الحرب الرديء . قلبها ، احساسها ، ونبضها الذي يرف كرعشات عصفور في برية مرعبة ، عصرتها كلها في « الأنا » وقدمتها نتاجاً أدبياً في عدد غير قليل من الكتب ، لخصوا من هي هذه « الغادة » الرافضة ، الكادحة ، العاشقة حتى العظم .

● ما شعورك وانت المرأة الوحيدة التي اشتركت في معرض الكتاب العربي باسمك الشخصي ؟

ـ شعرت بأن حضوري هو توكيد لحضور المرأة العاملة هذا أولاً . ثم انه ايذان بانتهاء عصر الصالونات الأدبية البورجوازية حيث تلعب الأديبة دور المضيفة و(البارميد الفكرية) وإشارة الى مرحلة عصرية تكون فيها المرأة الكاتبة أكثر التصاقاً بجوهر عملها ، وبالتالي أكثر قرباً من مادة ابداعها : بشر الشوارع الخلفية ، لا دمى الواجهات الأدبية .

● البوم كان دوماً فال الشؤم والنواح ، هل يختلف بوم غادة السمان ؟ ولماذا كان شعار دار نشرك بومة ؟

ـ البوم طائر أجمع الناس على التشاؤم منه ، هرباً من مواجهة الأسباب الحقيقية لبؤسهم . فاذا مات ابن الفلاح مثلاً زعموا أن البوم الذي نعق بأرضه هو المسؤول ، ونسوا حكاية الدواء والعلاج والوعي الصحي وسوء التغذية . ومن مصلحة (الاقطاعي) طبعاً تنمية تفسيرات غيبية كهذه، للمآسي البشرية . أنا ضد التشاؤم من البوم (أتشاءم عادة من بعض الناس لا البوم !) وضد التفاؤل به . إنني ببساطة أتفاءل بالعمل وبعدم التهرب من جوهر الأزمة ، وأحدق بالبوم ـ كما بالأشياء كلها ـ بعين جديدة خالية من الآراء المتوارثة والتحامل المسبق ، فأراه طائراً جميلاً من مخلوقات الطبيعة العظيمة المدهشة التلون .

● **زوجك الدكتور بشير الداعوق صاحب دار نشر ، كان بامكانك طبع منشوراتك عنده ، السؤال ، لماذا استفردت ، وما الغاية من استقلالك ؟**

ـ لأنني متزوجة من « بشير الداعوق » ولست متزوجة من « دار الطليعة » . إن الاستقلال داخل مؤسسة الزواج لا ينفي الحب ، بل إنه جوهر الحب .

ثم أنني معجبة بدار الطليعة ، وأنا عضو في مجلس إدارتها ، لكن ذلك لا ينفي حقي في غناء لحني الخاص بي .

● **هل دار منشورات غادة السمان وقف عليها أم مشاع للكتّاب ؟**

ـ في المرحلة الأولى (أي الآن) ما أزال في طور التأسيس . ولا أملك الوقت الكافي لطبع نتاج سواي ، ولا المال .

« منشورات غادة السمان » هي طفل طلع الى الدنيا منذ عامين ، وكالطفل تحمل في طياتها بذور نمو كبير وطموح شاسع . المهم استقرار بيروت أمنياً .

● **كامرأة صاحبة دار نشر ، هل تواجهك عقبات معينة كان بامكان الرجل تلافيها ؟**

ـ أواجه باستمرار عقبات كثيرة ، لكنني لا أعتقد أن تاء التأنيث في اسمي هي التي تجتذبها ، ولا أعتقد أن الصوت الأجش وحده قادر على حلها . إن الحياة يا عزيزتي سلسلة لا متناهية من المتاعب ، ولو حدث العكس لدهشت !

● **المعروف عن غادة السمان أنها أديبة ذات حساسية خاصة ، فهل كانت غاية دار النشر تجارية أم لمواجهة دور نشر أخرى ؟ وهل هذه المنافسة وتوخي الربح يخالف رسالتك الأدبية ؟**

ـ «الكتابة أكثر المهن بؤساً لكسب الرزق ـ باستثناء مهنة مصارعة التماسيح » ـ والديناصورات أيضاً . وهكذا ، فإن « منشورات غادة السمان » ليست ضد الربح

الحلال لأن غادة الفنانة تحب باستمرار مواجهة الواقع وتعرف أن بعض المال يعني بعض الحرية والاستقلال وحتى شراء بعض الوقت للتأمل والكتابة .

لكن « منشورات غادة السمان » تظل في جوهرها مرحلة من رحلة بحثي عن الحرية والانعتاق .

● بعد تحقيق الذات أدبياً ، والوصول الى دار نشر خاصة ، الى ما تحلمين بعد ؟ وهل تعتبرين أنك حققت طموحاتك ؟

ـ بالنسبة للفنان هنالك دوماً كلمة « بداية » فقط . وهنالك باستمرار ذلك الحس العميق الموجع بعدم الانجاز ، وهنالك ذلك الانكسار الانساني الداخلي أمام كل ما يشتهي القاء القبض عليه من أفكار ، وهنالك هرب الكلمات من بين أصابعه كالأسماك الملونة المراوغة . .

هنالك ذلك العذاب اللامتناهي أمام لعنة المستحيل ، وتلك الطاعة الخرافية لصوت عدم الرضى ، الصارخ من أعماق الذات ، كما في البرية أمام صفحة السماء ، حيث لا يجدي الكذب ولا الغرور . .

٢١/ ٤/ ١٩٨٠

صونيا فرح تستجوب

● المرأة انسانة حدودها الأفق المفتوح والحلم اللامتناهي .

غجرية مشردة في عالم الأدب ودروبه ، تحمل مشعلها الوهاج وتداعب الكلمات بنعومة وصخب ، فتتملكها امتلاك الأسياد حتى لتخالها معها نبضات قلب مفعم بالعطاء بينها وبين القلم عهد صداقة دوّن في انتاج أدبي لا يعرف النضوب .

انها غادة السمان صوت الأنثى العربية في مملكة القلم .

● كيف تختصر غادة السمان الأدبية غادة الانسانة ؟ .

ـ غادة الانسانة امرأة تحب أشياء الحياة الجميلة ومتعها ، وتعشق الكسل . وبما أن الطريقة الوحيدة للتخلص من العمل هي بانجازه ، لذا نجدها تعمل ليل نهار كي تنجز كل شيء ، وتتفرغ لمتعتها الحقيقية : الكسل . ان سر انكباب غادة على العمل هو ببساطة عشقها للكسل ، وهكذا الكسل هو سر نجاحي .

● كيف حاكت الظروف خيوطها في حياتك الأدبية منذ الطفولة حتى اليوم ؟ .

ـ الظروف بريئة من دمي . أنا التي قمت بحياكة خيوط شبكة الأدب الجهنمية التي سقطت نهائياً في أسرها مثل سمكة عشقت صيادها . بعبارة أخرى لم يصطدني الأدب ، أنا التي طاردته واصطدته ، فأنا امرأة تنزف كتابة وتعشق كتابة وتحتضر كتابة . كل ما هو أنا كان يقودني دوماً الى شبكة الحرف . أعشق الرحيل ، التشرد ، الصداقات المجانية ، الحب العابر كما الحياة عابرة ، والحب المقيم كما الذكرى مقيمة ، المطارات النائية ، القطارات المغسولة بالمطر ، نوافذ الحانات في مدن نسيت اسمها واسمي . كل ما أعشقه من سواقٍ يصب في نهر الكلمة . حتى شراييني ، يخيل الي أحياناً أن الحروف الأبجدية تسبح داخلها كالأسماك المضيئة .

● هل لاحدى شخصيات قصصك تأثير خاص على نفسك ؟

ـ نعم ولا . تسألينني كيف يكون الجواب نعم ولا ؟ بصدق أقول لك ، اذا أراد الانسان أن يجيب باخلاص على أكثر الأسئلة ، يجد الجواب غالباً : نعم ولا في آن واحد . الأبيض مات . الأسود مات ، الرمادي هو لون الحقيقة .

هناك لحظات أحس فيها أن لاحدى شخصيات قصصي تأثيرها الخاص على نفسي . في اليوم التالي يتلاشى هذا الاحساس ، وربما يحل محله شعور مشابه وانما نحو شخصية ثانية . كل ما أستطيع قوله ، انني الليلة ١٩٨٠/٣/٢٣ الساعة ١١,١٥ ، في هذه اللحظة أشعر بأن لشخصية نوف بطلة قصة « حريق ذلك الصيف » من كتابي « رحيل المرافىء القديمة » تأثيراً خاصاً . ربما لأنها امرأة تختزن طاقة جيل من النساء على العشق ، وعشيقها الليلة اسمه الحزن .

● **ما هو الشيء الذي تريدين التعبير عنه من خلال القصة ؟**

ـ القصة عندي صرخة حب ، صرخة تواصل، صرخة احتجاج ضد الغربة . انها صرخة من أجل الحرية والفرح في زمن ذبحهما على (حاجز طيار) ما . . انها صرخة رؤيا . .

● **ما هو الأمر الذي لم تحققه غادة المرأة والأديبة ؟**

ـ الشعور بالانجاز . اشعر باستمرار أن هنالك كلمة لم تقل ، ولن . . وأطاردها لأنها الحلم المستحيل ، والفنان يعشق المستحيل ، ويحب الدرب ولا يبالي حقاً بالوصول . انني لم أحقق لنفسي الحس بالاكتفاء أو بالرضى عن الذات . هذه المشردة المدعوة غادة ستظل تركض في دروب الليل ، بحثاً عن محطة لا تعرف اسمها ، وستظل تنتظر ذلك القطار الغامض الذي سيحملها وسط الضباب الى حيث لا تدري .

● **المرأة في قصصك كيف تحددين دورها ؟**

ـ لا أحدده ، انما أتركه مفتوحاً للجهات الخمس . فالمرأة في قصصي انسانة ، والانسان حدوده الأفق والبحر والريح والحلم اللامتناهي .

● **كلمة نقد الى من توجهينها في مضمارك الأدبي ؟**

ـ أوجهها الى نفسي ، ها أنا بكامل وعيي ، (أو ما تبقى منه) ، اعلن عن شوقي الى الصحافة ، وعن عودتي القريبة الى الكتابة فيها ، لا أعرف بعد أين ومتى بالضبط . يذهلني أن أتخذ قراراً كهذا وأنا أعتقد في الوقت ذاته أن الصحافة أحياناً نوع من النزيف الجانبي لكاتب القصة خصوصاً اذا كان مقدماً على كتابة رواية كما هي حالي الآن . وأنا كاتبة قصة أولاً . يا الهي متى أتعلم من أخطائي وأتغلب على نزواتي الشرسة ؟

● **معروف عنك كثرة انتاجك الأدبي ، فهل بوسعنا معرفة آخر هذا الانتاج وبعض اللمحات عنه ؟ .**

ـ كتابي الأخير صدر منذ أسبوع واسمه « ع . غ تتفرس » ، وقبله بأسبوعين صدر « الرغيف ينبض كالقلب » . تريدين بعض اللمحات عنهما ؟ لا أستطيع . فأنا الآن غارقة في كتابي الجديد واسمه « كتابات غير ملتزمة » ، وكل كتاب انجزه أحسه كعشيق عتيق ودعته وقلبت الصفحة وبدأت أكتب من أول السطر . سأحدثك اذن عن نتاجي المقبل « كتابات غير ملتزمة » . انه باختصار كتابات ملتزمة بصدقي الداخلي كمواطنة .

● **كيف تنظرين الى الحياة ؟**

ـ الحياة زيارة قصيرة لهذا الكوكب ، لذا أحرص على أن أكون سائحة جيدة .

● **الحب ؟**

ـ قشرة موزة في دربنا .

● **الصداقة ؟**

ـ فخ في غابة موحشة .

● **الرجل ؟**

ـ نعومة حد الشفرة الجارح .

● **المستقبل ؟**

ـ كمبيالة على بنك الأحلام .

- ٣ -

استجواب حول قضايا أدبية

● من السهل أن تحلم بكتاب بقدر ما هو من الصعب أن تكتبه .

- بلزاك -

● فكر قبل أن تكتب شعار الناقد ، اكتب قبل أن تفكر شعار الفنان الخلاق .

- فوستر -

● كل ما يخترعه الانسان يصير حقيقة ، تستطيع أن تكون واثقاً من ذلك . ودونما أدنى شك ، فان مسكينتي « مدام بوفاري » تتألم الآن وتبكي في عشرين قرية فرنسية ، في هذه اللحظة بالذات .

- فلوبير -

١٩٦٨/١٢/٢٥

فوز الدين يستجوب

● الكلمة ضد الهزيمة وأمراض التخلف .

تزور الأردن الآن الأديبة المعروفة الآنسة غادة السمان في جولة استطلاعية على مخيمات النازحين وعلى الرغم من أن زيارتها كانت وليدة فكرة طارئة بعد سفرة مضنية من لندن الا أنها جاءت تبحث وتنقب باحساس الأديب عن حياة هذه النماذج البشرية وهي تعيش بعيداً عن أرضها وبيوتها . . وأضواء أعياد الميلاد ورأس السنة والفطر أضحت مظلمة معتمة مع وجود الاحتلال البغيض في الأرض الخضراء الطيبة .

وفي لقاء مع الأديبة الشابة في عمان سألناها عن الهدف من زيارتها للأردن على الرغم من أنه معروف في مثل هذه الظروف .

قالت : ـ لا . لا أظن أن السبب معروف بالنسبة اليك . لأنه ليس معروفاً بالنسبة الي . وأنا شخصياً لا أعرف بالضبط غرضي من زيارتي للأردن . فقد نبتت الفكرة في أعماقي فجأة وتم تنفيذها في يوم واحد . ربما كان السبب الدفين هو احساسي بالخجل من قضاء ليلة ميلاد صاخبة .

بعد هزيمة حزيران انكسر في داخلي شيء ما . صرت أشعر بالذنب اذا عشت أية لحظة استرخاء بعيداً عن تقريع سياط المسؤولية . لم يعد من حق أي عربي أن يمارس أي نوع من أنواع الاجازة النفسية . قررت : ليلة الميلاد سأقضيها هناك في أرض عريقة يزفر ليلها الحزين انفاس شعب يمزقه الألم والتحفز . رائع أن تلغى الاحتفالات بالعيد . بأي عيد . اني أطالب العرب جميعاً بالاحتفال بيوم واحد فقط مشترك : عيد الغاء الأعياد . .

وسألناها : ما الانطباع الذي كنت تتصورينه قبل قدومك الى الأردن .

أجابت : لم أكن أتصور شيئاً . كنت أعرف .

قلت لها : ما هو دور الأدب العربي في الظروف الراهنة ؟

قالت : دور الأدب في حالات التعبئة العامة أساسي . انه يهيىء اليد لحمل البندقية ، انه يحفز على اكتشاف الفرد لذاته ، وبالتالي تضحيته ـ بوعي ـ من أجل كرامته . وهذا بصورة عامـة في بلادنا العربية حيث الفرد العربي جديلة من الأعصاب وشرايين العاطفة ، فالأدب محرك هام وخطير في أمة كانت الكلمة أهم معجزاتها . أما الدور الذي لعبه ويلعبه فهو بلا شك يعاني من أمراض التخلف التي يعاني منها الجميع : السياسي . العامل . الأستاذ . الطالب . كلنا . ويتأثر بموجة الوعي والتفهم التي انطلقت في سمائنا بعد النكسة الأخيرة ، مزيداً من التفهم واطلاق الحرية للأديب من طرف الحاكم . ومزيداً من الاحساس بمسؤولية الكلمة من قبل الأديب . المهم أن لا يـّون ذلك كله العاباً نارية زاهية تزين كآبة سمائنا لفترة ما وانما بداية لاعادة خلق شمس الحرية والكرامة في سمائنا .

وسألنا الأديبة غادة السمان : معركتنا مع الصهيونية العالمية كيف نستطيع أن نحولها لصالحنا خارج نطاق العالم العربي بعد أن قلبت الدعاية الصهيونية الحقائق وبزورتها ؟

أجابت : الرد على هذا السؤال يتطلب لجنة من الخبراء وصفحات من التخطيط بعد تحديد نقاط ضعفنا الاعلامي « اذا كان لنا اعلام عربي في أوروبا على الاطلاق » وهكذا يستحيل الاجابة عليه في هذا المجال ولا تخرج أية محاولة عن « فصيلة » العجالات التي لا أحبها . ولكن مجرد السؤال بهذه البساطة يعني وعينا بنكستنا الأخرى على طول عشرين عاماً « لا ستة أيام فحسب » وهي الحرب الاعلامية وتلك خطوة ايجابية أولى . لقد كنا دوماً أسوأ محامين لأعدل قضية .

ربيع ١٩٧٣

نجوى قلعجي تستجوب

● كل انسان منفي تحت جلده .

● كتابك الجديد يحمل عنوان « رحيل المرافىء القديمة » . هل هذه المرافىء التي رحلت هي ذاتها المرافىء التي جعلتك تكملين البحث عن الذات ، ولا تقعدك الخيبة يوم وجدت أن . . « لا بحر في بيروت » ؟

ـ رحلة « البحث عن الذات » لا تنتهي حتى ولو كان « لا بحر في بيروت » ، وحتى لو رحلت المرافىء من حولي . . .

خلف كل مرفأ يرحل ، حكاية شيء ينكسر في القلب ، وحكاية شيء يبزغ في القلب . كل مرفأ يرحل يخلف رماده ، ومن تحت الرماد علينا ان ننبش لنستوحي من جذور المرفأ الراحل كيف نبني بسواعدنا المرفأ المستقبل .

● في « لا بحر في بيروت » تتحدثين عن خيبة الفتاة الدمشقية التي وجدت أن لا بحر في بيروت . وفي احدى قصص الكتاب الجديد « الدانوب الرمادي » تظهرين خيبة الفتاة العربية التي قرأت وسمعت عن الدانوب الأزرق واكتشفت انه رمادي .

حدثينا عن خيبة الفتاة الدمشقية ، العربية ، الانسانة . . .

ـ الخيبة تكبر لأن أفق الفتاة الدمشقية يكبر وعالمها يتسع ونظراتها الى الاشياء تصير اكثر شمولاً وحدّة . . . التجربة تكبر ومعها تكبر الخيبة وتتعمق . . وتتأزم . . .

إن العالم القديم ينهار ومرافئنا العتيقة لم تعد تقوى حجارها المهترئة على الامساك بسلاسل رسونا المستعصي . . .

الخيبة مرحلة . . . الخيبة الايجابية تحرك الركض الشرس في طريق البحث عن خلاص . .

● ماذا يعني لك « البحر » الذي يتكرر ذكره ، ويدخل كبطل في الكثير من قصصك ؟

ـ « الحوت الأبيض » في رواية موبي ديك للكاتب « هرمان ملفيل » كان يعني اشياء كثيرة مختلفة في آن واحد . . . كان من الممكن اعتباره رمزاً للمسيح ، او للخلاص ، او للطبيعة غير العاقلة حيث يلتقي الخير والشر ، او للمطلق ، او للمستحيل .

البحر عندي رمز لاشياء كثيرة كالحوت عند ملفيل . ولن افسد عليك لذة اكتشافها .

● في قصة « الدانوب الرمادي » تعبير عن عدم مقدرة انسان العصر على الحوار . يبدو انك متفقة مع سارتر الذي وجد ان الجحيم هو الآخر .

ـ اعترف بأنك على حق . فالفتاة التي تشكو احزانها لسائق التاكسي الصامت تكتشف ان لوحاً زجاجياً لم تنتبه اليه كان يحول بينه وبينها . وهي تعي ذلك ، ولذا اختارت عشيقاً اخرس كي لا يضايقها الحوار المزيف اللامجدي . . .

اعتقد مثل سارتر ان جدار اللاتفاهم يخرّب كل محاولات اللغة ، وان لوحاً زجاجياً ينتصب بين كل انسان والذين حوله ، وان الحب ليس الا كسراً لهذا اللوح الزجاجي او اختراقاً له عبر الحوار . . .

واعتقد ان مد جسر من الحوار المضيء بين انسانين وبالتالي التفاهم هو الحب وهو الانتصار على لوح الزجاج العازل الذي يجعل كل انسان منفياً داخل جلده ، وروبنسن كروزو في جزيرة وحشته .

● في أولى قصص الكتاب : « الدانوب الرمادي » تنطلقين من العبث ، عبث ، باطل الأباطيل كل شيء . موقفك : رفض ، عدم حوار ، عدمية ، قرف . وتختتمين الكتاب بقصة « الساعتان والغراب » وكأنك وجدت نوعاً من الخلاص ، في مسيرتك مع العبث والرفض والقلق . هذا الخلاص ما هو ؟ الانتماء ؟ وكيف ؟

ـ يسعدني فهمك الواعي لقصصي وملاحظتك في محلها . وفي قصة (الساعتان والغراب) المحت الى طريق الخلاص عبر الرمز . . . بل وعبر بعض مفاتيح العبارات . . . لن احددها لك لأنني اشعر انني افسد قصصي بتفسيرها ، كما يفسد الطباخ أكلة شهية حين يقدم لزبائنه الوصفة السرية لصنعها .

● في رأي البعض ان ما تكتبينه أدب ، يتمحور حول الجنس. لدينا جواب لهؤلاء نستشفه نحن أيضاً من خلال قصصك ، ابتداء من « ليل الغرباء » حيث تصيحين . . . «أهذا كل شيء . . » الى رحيل المرافىء حيث تقولين « . . واتحدت به فوق التراب والأشواك والحصى. لا بل اتحدت بجسد الأرض وبجسده معاً . . صرنا

ثلاثتنا واحداً هو وأنا والأرض » . ان الجنس والحب عندك نتيجة لموقف فكري وعملية تواصل بين كيان وكيان لا بين جسد وجسد . . رأيك انت ؟

ـ يغيظني الذين يتوهمون لثانية انني اكتب عن الجنس لذاته ، فهو عندي ، كما ذكرت في سؤ الك ـ رمز للاتحاد الكامل ، والا كان تعيساً موجعاً مثل رحلة من الزحف في حقل من الزجاج المكسر . والجنس حقيقة من حقائق الحياة ، في الهرب من ذكرها تشويه لحقيقة الانسان الكلية التي احاول الوصول اليها والغوص نحوها في قصصي ، ومن هنا لا استطيع أن ازيف فأتجنب الحديث عنه ، كما انني لا استطيع ان ازيف فأدعي انه وجود الانسان كله . . .

احاول ان امنح الجنس في قصصي الحيز الذي يستحق بلا مبالغة ولا تجاهل .

● الأشياء التي لم تتحقق في طفولتك وتتمنين لو تحصل ؟

ـ الطفولة . لم احقق (طفولتي) في طفولتي . كنت منذ صغري رفيقة لأبي ، وكان عالم الكبار عالمي . . . تمنيت طويلاً لو احصل على الطفولة ، وامنيتي هذه تتحقق في بعض اللحظات ، حينما ألعب مع طفلي حازم واحاوره ، انـزلق حول عجلة الزمن لأصير في سنه تماماً . . اي في الثانية والنصف من عمري .

● ما وسيلتك للنشر لو تعطلت المطابع ووسائل الاعلام ؟

ـ أجمل الأدب كتب قبل اختراع المطبعة ووسائل الاعلام . ربما ـ تعطل ـ الأدب منذ عملت المطابع . ربما اكتب يومئذ أجمل نتاجي على جدران احد المغاور الحجرية . . . أليست نقوش الانسان البدائي على جدران مغاوره من أجمل ما ابدعه الانسان واصدقه ؟

● ما هو الكائن او الشيء او الفكرة او الاحساس . . (الخ) . . الذي لم يصبه « التلوث » بعد ؟

ـ قلب الانسان حينما يحب بصدق . قلب الانسان الذي وسخه عصر الآلة وابتذله عصر الذرة وانغرست فيه ابر المخدرات وتفجرت فيه أنهار الإلحاد وانطفأت فيه شعلة الايمان بالإلّه وتدخل الكومبيوتر لتدبير (مواعيده) الغرامية . . . قلب الانسان هذا ما يزال قادراً على ان يحب بنقاء زهرة الصخر . . . وردة الفعل الرومانتيكية في الأدب (كتاب قصة حب مثلاً) ليست إلاّ تعبيراً عن توق الانسان المعاصر الى أن يخفق قلبه بنقاء البرق . . الى ان يحب . . .

● لو كانت هذه الصفحة اذاعة ، لأغنية ، تهدينها للأمة العربية او للخطاب اذا شئت . ماذا تذيعين ؟

ـ كنت أختار لهم (اسطوانة صمت) . . . اسطوانة صامتة لمدة دقائق ثلاث . . .

فقد كثر الكلام حولنا ، وما احوجنا الى لحظات صمت ارغامية يسمع خلالها كل منا حديث قلبه ، وحديث أعماقه المنسية .

١/ ١٢/ ١٩٧٥

نبيه البرجي يستجوب

● العمر صالة ترانزيت بانتظار طائرة الموت .

هذه المرأة تكتب الرواية وتكتب القصة وتكتب المقال كأنها تعاقبك أو تطلق عليك النار اذا لم تصب بالدوار ، ولنقل بالجنون . . أي بمعنى آخر اذا لم تتحول الى شظايا وتبحث في كل مكان عن الانسان فيك ـ ولعلها تعني احياناً الشيطان فيك .

أنا أسألها ، أقدم لها الورقة ، وهي تكتب الاجابات . تثرثر في مخيلتك كثيراً . . لكنها تسكت وهي تكتب ، ومن ثم تعود لتنفجر . . نحن نسأل ، وفي شرود مثير عجيب تجيب :

○ في روايتك « بيروت ٧٥ » تقتادين ابطالك الى الفجيعة « الموت ، الانتحار القتل الأعدام » . ان البعض يرى الا مبرر مهما بلغ الاسى لاعلان السخط بهذا الانكفاء الكارثي ، ما رأيك ؟ .

ـ حين صدرت روايتي في مطلع عام ١٩٧٥ أخذ عليها بعض النقاد خاتمة اكثر أبطالها الفاجعة ، والعنف في النهايات من قتل وانتحار وانفجار بالقلب كما تقول . . . . ولا اكتمك ان الأمر حيرني حتى انا شخصياً في البداية . . فخلال كتابتي للرواية كان ابطالها يقودون انفسهم الى ميتاتهم المأساوية ، وكنت احاول أن أحول بينهم وبين ذلك ، ولكني لم استطع . . وبصفتهم شخصيات حية اخلقها على الورق ولا اقسرها على التصرف وفقاً لأهواء النقاد أو لأهوائي ، كان لا بد من ان اتركها تلقى حتفها في بركة العنف التي تسبح داخلها ـ المليئة بالالغام ـ والتي اسمها بيروت . . ولم تنقض اشهر على صدور بيروت ٧٥ حتى جاءت الأحداث الأخيرة في بيروت والاقتتال الذي دام أشهراً واذا بمناخ العنف الذي رسمته في « بيروت ٧٥ » يتمثل بوضوح عملي . لقد كتب صحافي عربي

كبير واصفاً فواجعنا بقوله : « ان العنف الفظيع الذي تفجر في لبنان لم تشهد منطقة في العالم مثيلاً له. ان استخدام اقصى الامكانيات من أجل اقصى درجة من العنف، إن كثافة القتل خلال شهرين فاقت نسبة وعدد وكثافة ضحايا الحرب الأهلية في أيرلندا خلال ثماني سنوات. . وما فعله الجيش الياباني في بداية الحرب الثانية وما فعله الجيش الالماني على الجبهة الشرقية، يبقى دون العنف الذي مارسته (الجيوش) المتحاربة في لبنان » .

ان « بيروت ٧٥ » التي رسمتها في كتابي هي بيروت العنف والانفجار . .

ليس في الأمر نبوءة، كما انه ليس فيه عملية تحليل سياسي عقلانية كومبيوترية قادت الى هذه النتيجة . .

لكن اعماق الفنان صفحة مفرطة الحساسية تلتقط الكهارب حولها وتعيها وتحدسها بطريقة واعية وغامضة في آن واحد . . . . أعماق الفنان رادار لجزئيات الماضي والحاضر تقوده الى استشراف المستقبل . كما تعرف الخيول الوحشية بالزلزال قبل وقوعه . .

الفصول الأخيرة من روايتي كلها تبدأ بهذه العبارة : وانفجر الرعد كصرخة تهديد غامضة . .

انها صرخة تهديد ذلك المزيج المتفجر الذي اسمه « بيروت ٧٥ » حيث الجوع والتخمة، والاحتكار والاستغلال والبطالة والطائفية والعشائرية وحيث العدالة الاجتماعية مفقودة والقيم الانسانية مسحوقة تحت حذاء التعهير . . وسط هذا المناخ تحرك بعض ابطالي وقادوا انفسهم الى مصيرهم الفاجع . . وحده مصطفى ابن الصياد استطاع الانتصار على السقوط، فهو لم يفتش عن حل فردي ولم يكن طموحه الانضمام الى الطبقة التي هي من أسباب انسحاقه، ولكنه التزم بقضية ووجد في العمل الجماعي من أجل العدالة والخبز والفرح خلاصه . لست انا التي ألصقت العنف بصورة « بيروت ٧٥ » . . كل ذنبي هو انني كنت مرآة صادقة له .

● انك تتعقدين. . استدرك . . انك تنتقلين من السطوع الى السوداوية . ألا تعتقدين أن هناك سبلاً أجدى لانقاذ انساننا من المحنة ؟ .

ـ بعض النقاد لا يوافقونك على هذا الرأي ويرون في عملي « الدامس » ولو شمعة صغيرة في ملامح درب الخلاص . . الناقد الشاعر رشيد ياسين كتب عن احدى شخصيات روايتي « مصطفى الصياد » يقول : « انه أدرك في الوقت المناسب أن المخرج الوحيد من

مأزق البؤس والقهر هو النضال و « ارادة الكفاح القادرة على تغيير العالم » وانه بالتالي كان الوحيد الذي « لم تسحقه وحشية الحياة كما سحقت الآخرين» . .

. . ان قراءة سريعة لسطور روايتي لا بد وان تضعك في مناخ كابوسي حاد الحزن . . قراءة لما وراء السطور المعتمة تكشف لك عن نجمة صبح لا أحد يستطيع أن يمنع بزوغها .

● في كتابك المنتظر . . « أعلنت عليك الحب » ، تذهبين الى حد التطرف في اظهار الحب وكأنه بوابة الخلاص ، ألا ترين ان الانسان التكنولوجي قد تجاوز الحب وامتطى صهوة القيم المضادة « القلق ، المرارة ، العبث ، القرف » ؟

ـ القلق . المرارة . العبث . القرف . . الى آخر المعزوفة الوجودية ، ليست على الاطلاق قيمًا مضادة للحب . بل هي سماد الحب والمحرض الاساسي على اختراعه لو لم يوجد .

ثم ان الحب ليس نقيضاً للثورة ، وليس نقيضاً للحس بالمسؤولية او الجدية في مواجهة قضايا الحياة . وقد استطاع اجدادنا ان يفهموا جيداً ان الثوار والمقاتلين ليسوا من صنف لا يقرب الحب ، وكان نموذج عنترة تتويجاً للمقاتل العاشق . . أكرر : ان الدعوة الى الحب جزء من الدعوة الى تحرير النفس العربية فما علق بها من مفاهيم مغلوطة تشوه انسانيتها وتعوق تفجير طاقاتها . علينا ان نتذكر دائمًا ان جميع رجال التاريخ العظماء كانوا عشاقاً عظماء .

● الانسان العربي في معاناته التاريخية ، وافر الثراء بالاحاسيس والمواقف والممارسات . هل تعتبرين أن القصّة تتدخل جيداً في استيعاب هذا الواقع ورصد آفاقه ام انها لا تزال عاجزة . . . ولماذا ؟ .

ـ ما يحدث عندنا على صعيد الأدب هو ما يحدث في كل زمان ومكان . .

قصص المبدعين القلائل قادرة على « استيعاب الواقع ورصد آفاقه » . . . قصص غير المبدعين قاصرة عن ذلك حتى ولو كانوا أدباء « رسميين » بشهادة السلطات الحاكمة وبطاقات الدعوات الى كوكتيلات السفارات المختلفة . . !

لماذا ؟ . . ببساطة لأن الموهوب قادر . وغير الموهوب غير قادر ولا توجد في العالم وصفة سرية او عصاً سحرية تحيل العادي مبدعاً وتضرم في مواته النار . . وحده شرر العبقرية قادر على اضرام نار الابداع فالرضى « الرسمي » لا يحول الاسفلت الى صوان . .

● **لمسات حميمة : العمر ؟ حجم الفرح الشخصي ؟ الحلم ؟ الاحباط ؟ . . في أشد حالات الوضوح تبدين غامضة ، ونحن لا نستطيع ان نلغي فضولنا ؟ .**

ـ العمر : صالة ترانزيت بانتظار وصول طائرة الموت ، ولا أحد يستطيع أن يرفض استعمال بطاقة سفره . . !

حجم الفرح الشخصي : صغير بحجم قطعة ماس في خاتم بالنسبة للبعض وبعرض الشريان الصغير الذي يخرج من القلب بالنسبة للبعض الآخر .

الحلم : الأب الشرعي لكل الاعمال الصلبة العظيمة .

الاحباط : اله من تمر لا يصلح لغير الاكل .

● **هل تودين الاجابة على . . لا سؤال ؟**

ـ أليس هذا ما كنت أفعله في السؤال السابق ؟ أحب الاسئلة إليَّ هو « اللاسؤال» . . وحده يستحق الجواب لأنك تترك قلبك يصرخ عبره بحرية الريح في قصبة مثقوبة .

حزيران ١٩٧٦

محبوب العبد الله يستجوب

حينما تكون الكتابة في زمن الحرب شهادة . . ماذا يمكن ان يكتب بحيث تكون كتابته شهادة حقيقية ؟

الذين يمارسون الكتابة في كل وقت . . احياناً يكونون عاجزين عن كتابة حرف . تهرب منهم قدراتهم ، يشعرون بالعجز والضعف وبأن كل الاشياء التي يتعاملون معها في لحظات الكتابة قد هربت منهم ، انهم اضعف من ان يستطيعوا شيئاً في هذا الوقت .

لكن البعض منهم يكونون قادرين في هذا الزمن على القول والكتابة ، حيث يكونون وقتها هم الضمير الباقي بعد ان تكون ماتت كل الاشياء .

الأديبة المبدعة غادة السمان عاشت جحيم الحرب الأهلية المؤسفة في بيروت ، طوال الشهور الماضية ، واثناء هذه الحرب سقط صاروخ طائش على بيتها واحترقت مكتبتها وهي تعيش الآن وزوجها وابنها حازم في بيت آخر ، وتكتب كل مشاعرها وانفعالاتها عن الذي حدث في بيروت ويحدث من خلال روايتها الجديدة كوابيس بيروت .

● ماذا بقي من بيروت . . ؟؟

ـ سقطت بيروت القناع ، وبقيت بيروت الحقيقة ، بيروت العربية المكافحة لأجل استعادة وجهها الذي شوهته الاصباغ طويلاً . . ما يدور في بيروت من عذابات وآلام ، قد تكون آلام الولادة لا الاحتضار .

لقد سقط عدد كبير من الضحايا الذين كان يجب الا يقتلوا ، وعاش عدد كبير من الجلادين الذين كان يجب الا يعيشوا ، لكن الأمل كبير في ان يكون ما مرت به بيروت مرحلة من مراحل تبني هوية عربية هي الانتماء الحقيقي والذي لا مفر منه للوطن العربي اللبناني .

لقد حدثت اخطاء فادحة ، احرق كثير من الرزق الحلال وازهقت ارواح بريئة

دونما معنى او جدوى ، المهم ان تتضح الصورة ويتعمق مجرى نهر العروبة وتنتظم مياهه ، وتنتهي مرحلة السيل الجارف الذي يجرف الطيب والرديء دونما تمييز . ماذا بقي من بيروت ؟ لقد احترقت الواجهة السياحية المضيئة التي كانت تحجب عن العيون حقيقة ما يدور في اعماق بيروت ، لقد صار القاع سطحاً ، والجرح خلع اربطته وتعرى .

الذين يمشون في بيروت يروعهم جرحها الممتد على طول شوارعها المفتوحة للريح ، والمطر والليل البارد .

ولكن بيروت لم تكن قبل حربها الاهلية جميلة ، بقدر ما كان الناس يتوهمون . كان الجرح هناك . . جرح اللاعدالة والأفكار الانعزالية وعدم تكافؤ الفرص ، والقهر الاجتماعي والانساني .

كان لا مفر من الانفجار . . وما حدث هو البداية فقط في نظري . . انه الفصل الأول من مسرحية « الغضب » . .

● الى اين ستنتهي روايتك . . ؟

ـ روايتي «بيروت ٧٥ » ، كانت صرخة انذار ، وتحذير من انفجار محتوم ، صدرت في آذار ١٩٧٥ وبعدها بشهر بدأ بركان بيروت يشتعل وكانت الحرب الاهلية .

لم تكن نبوءة ، كان الأمر في غاية الوضوح . بنظري ، لم يكن من الممكن ان يحدث الا ما حدث .

انا الآن اكتب روايتي الجديدة « كوابيس بيروت » انها بطريقة ما امتداد لـ « بيروت ٧٥ » ، التي ختمتها بمجموعة من الكوابيس وبرجل هارب من مستشفى المجانين ، ينتزع لافتتها ويزرعها امام مدخل بيروت بحيث يقرأ الداخل اليها عبارة مستشفى المجانين . . روايتي الجديدة ـ كوابيس بيروت ـ تتألف من حوالي مئتي كابوس ، واختمها بـ ـ حلم ـ حلم مضيء يأتي بعد الكوابيس ، كما تأتي الشمس بعد كشف ستارة الليل .

احاول ان أُمثِّل دور العرافة ؟

لا . انني أُمثِّل دوري الاصلي ، دور الكاتبة . . اليست مهمة الفنان ان يحدق في الزمن الآتي ويراه ؟ أليس الماضي والحاضر ذاكرة المستقبل ؟

● واقول لها : وكيف هي صورة الحزن في بيروت الآن . . ؟

ـ تقول : كان يحيط ببيروت حزام من البؤس ، وكانت « السلطة » حريصة على ابعاد

البؤس عن عيون السواح والمرفهين .

الآن خرج حزام البؤس وكسر الديكور الجمالي لبيروت ، صار الحزام دائرة . وصارت بيروت دائرة بؤس ، لكنه بؤس ممتلىء بالطاقات والحيوية . . . . والطموح .

من يدري . . قد تخرج بيروت من رمادها لتحلق هذه المرة بكل اهلها فوق ارض الحزن . . لا بفئة الـ ٥ بالمائة فقط . .

● **وماذا تبقى للذين سيعيشون ايامهم الباقية بحزن . . ؟**

ـ الضحايا كثيرون ، والحزن شاسع وعميق . . ماذا تبقى لنا ؟ ان نعمل ، ان نعمل كي لا يكون موت احبائنا موتاً بائساً مجرداً من المعنى . ان نعمل كي لا نكون بموت احبائنا قد فقدنا انساناً ، وانما ازددنا انسانية . .

● **ولماذا . . وكيف جرى الذي جرى . . ؟**

ـ وتسألني لماذا ، وكيف جرى الذي جرى . . ؟

الحكاية طويلة طويلة . .

العوامل كثيرة ومتشعبة . .

وكانت هنالك اشياء أخرى كثيرة . .

أنا لا اعرف من اين ابدأ سرد هذه القصة المعقدة . . انتظر شهراً آخر فقط . . ريثما تصدر « كوابيس بيروت » .

ملاحظة : بعد نشر الحديث ، لا تبعث به إليّ بالبريد ، فالبريد قضى نحبه عندنا . . . أبحث عن حمام زاجل . . .

ولكن لا . . لا تفعل . . انهم اذا لم يجدوا شخصاً على الأرض (يقنّصونه) ويقتلونه ، تجدهم يصوبون رصاصهم نحو الطيور في دروب السماء والبجع المهاجر ! . . .

٧٨/١١/١٣

سلوى البنا تستجوب

● نعم أنا ضد أكثر التقاليد والسائد
● في كتاباتي خروج عن المألوف .

مهما اختلف النقاد في تقييم أدبها تبقى غادة السمان من بين الأدباء الأكثر عطاء والأكثر صدقاً مع الذات . . بدأت معاناتها مع الكلمة في ظروف صعبة لكنها لم تحطم القلم ولم تقذف به بعيداً ، ولم تستسلم. واصلت عطاءها وازداد ايمانها وقناعتها بما خطته لنفسها من طريق حتى نجحت في أن تأخذ المكان الحقيقي لها بين كتّاب القصة والرواية . . كما نجحت في أن تكون لها شخصيتها الفنية والأدبية المتميزة .

غادة الكاتبة التي ترفض أن تستريح أو أن تعترف بالتعب أو أن تهزمها التناقضات الكثيرة التي يعيشها عالمنا اليوم . أسست داراً للنشر تحمل اسمها وبدأت باحياء أعمالها مجدداً من خلال أعمال جديدة وقديمة تنوي طباعتها في سلسلة أسمتها « الأعمال غير الكاملة » .

● غادة السمان صدر لك هذا الأسبوع كتاب جديد بعنوان « زمن الحب الآخر » وهو ضمن سلسلة تعتزمين اصدارها تحت اسم الأعمال غير الكاملة حدثينا عن هذه السلسلة ؟

ـ بدأ الأمر بسلسلة من الكوارث ففي كانون أول سنة ١٩٧٥ زار صاروخ غرفة المكتبة ببيتي وأحرقها بكل ما فيها .

احترقت مخطوطة روايتي السقوط الى القمة واحترق ارشيفي بأكمله وبدأت أسابق الزمن والقذائف وألملم قصصي غير المنشورة ومقالاتي المنشورة في الصحف قبل أن تمتد النار الى مباني الصحف وارشيفها . وبعد جهد كبير استطعت الحصول على معظمها وقررت نشرها في كتب قبل أن يزورني الصاروخ ثانية . . فأنا أخشى اندلاع الحرب من جديد . ستصدر هذه الأعمال في سلسلة « الأعمال غير الكاملة » بدلا من عبارة

« الأعمال الكاملة » المتعارف عليها والتي لا أميل اليها .

انني أعمل على الانتهاء من هذه السلسلة بسرعة قبل اندلاع حرب لبنانية ما ، وأيضاً قبل أن أضجر منها لأنني أكتب رواية جديدة وقد توقفت عن ذلك لبرهة وأخشى من اجهاضها .

● ما بين كتابك الأول والأخير أوراق كثيرة بعضها سقط وبعضها تنامى ، وبقيت تجربة النضج بملامحها الراهنة . .

ما هي أبرز المنعطفات التي شكلت مراحل عطائك الأدبي ؟ .

- المنعطفات كلمة رقيقة قلما تمر على لسان الحياة . هنالك في الحقيقة انهيارات وزلازل وحرائق . هنالك دمار موجع تتمزق الروح فيه طويلاً . هناك افران من الصدمات تصهر القلب وتعيد تشكيل ألوانه وبلوراته وهناك صحارى من الثلج المالح تحرق الجلد وتمتد حتى قاع النفس .

بعد هذا الدمار كله ، يتفتت الفنان وتتفكك اللغة على لسانه نهائياً أو يستعيد تشكيل ذاته المرهقة المدمرة مثل برعم صغير أخضر يمد رأسه عبر الأنقاض لينمو من جديد بسرعة شيطانية البراءة والافتراس .

هذه الانهيارات ثم مراحل اعادة البناء التي تليها ليست بالضرورة نتيجة موقف حياتي يومي فحسب ، بل قد تنجم عن نوع من القراءات وما يلي ذلك من زلزال الاكتشاف والمعرفة وبالتالي التبديل .

وهكذا فالفنان شخص جديد في كل يوم ، يحمل معه بعضاً من وجهه القديم بالاضافة الى خصائص جديدة أنبتها رعد الغضب أو برق الرؤ يا . لقد وجدتني ذات يوم أقف وحيدة شريدة طريدة ، خارج حماية المؤسسات كلها ، حتى الأسرة والعمل . كانت مرحلة بالغة الغربة الصقيعية، ورياح لندن المعتمة الباردة تنثر ملح الليل على جراحي المفتوحة ، وتعثرت طويلاً وسقطت في دهليز المرايا وعلى سلالم تلك البئر التي لا قعر لها المدعوّة بالغربة. . الغربة الحقيقية . كانت الكتابة بالنسبة لي هي الجرح والدرع ، هي الجنون والوعي ، وهي سبب الكوارث والفرح الوحيد ، تلك الأعوام البالغة القسوة هي التي أعادت صياغتي وصياغة حروفي ، وأعادت صياغة رؤ يتي للعالم والطبقات والصداقات اللدودة . .

من الصعب أن أختصر مأساة معينة لأسميها منعطفاً ، أو أصطفي حادثة دون أخرى ، فحياتي كانت باستمرار جرحاً مفتوحاً يتناثر عليه ملح الغربة وملح العلاقات

الانسانية غير الانسانية . ماذا عن الفرح ؟ الفرح أيضاً كالألم أعرفه ، وأعايشه حتى نخاع عظامي . . . ولكن الفرح ضيف عابر والحزن رب البيت . . وكلنا أرامل الفرح !! . .

● **في كتاباتك دعوة صارخة لتحطيم التقاليد اعتبرها البعض خروجاً عن المألوف ، وأسماها البعض الآخر إباحية .**

أين تقفين أنت مما تكتبين ؟

ـ أنا أقف داخل ما أكتب . أقف وسطه مثل نقطة وسط دائرة . في كتاباتي دعوة لتحطيم بعض التقاليد لكن الذين هاجسهم الجنس لا يفكرون بغير تقاليد الفراش ويصرخون إباحية .

في كتاباتي خروج عن المألوف ولكن ، متى كان الابداع الأدبي تكريساً للمألوف ؟ الابداع هو أن نرى بعين جديدة ، وأن نغربل ما حولنا من ماضٍ مرمي كالجثة وماضٍ مضيء كالبذرة الحية ، وأن نميز بين الجثة والزهرة وندفن الجثة لا الزهرة ، والابداع هو استشفاف للمستقبل . ولا يمكن لمبدع أن يقف الى جانب مستقبل الجثة ضد مستقبل الزهرة . .

بعبارة أخرى : نعم أنا ضد أكثر التقاليد والسائد والمألوف وذلك في مجالات حياتنا كلها من فكرية وعلمية وسياسية واقتصادية ، ولكن « غربان الشهوات » المختبئين خلف أقنعتهم اللزجة لا يرون من صرختي غير الجانب الأوحد الذي يؤرقهم : الجنس .

صرختي هي من أجل المزيد من الكرامة للفرد العربي ، والمزيد من العدالة والحق والحرية . انها صرخة متكاملة تنبت في الرأس والدماغ والقلب والروح وليست صرخة (موضعية) ولا أحادية النظرة .

● **المرأة في معظم أعمالك الأدبية هي المحور الأساسي تعكسين أدق خفاياها لتصرخ متمردة عبر الحروف . ألا تعتقدين أن هذا يحد من امكانية العطاء الأدبي؟ ثم ألا يضعك هذا ضمن الرأي الذي يصر على الفصل في الأدب بمعنى أن هنالك أدباً نسائياً له ملامح متميزة ماذا تقولين في هذا الرأي ؟**

ـ الجزء الأول من السؤال صحيح ولكنه غير دقيق . فالمرأة ليست المحور في معظم أعمالي وإنما في بعضها . هذا أولاً . ثم أن كون امرأة ما محوراً لعمل ما ، لا يعني

بالضرورة أن هذا العمل هو انثوي متميز « شوفيني » . عبر المرأة عكس الأدباء على مر العصور مختلف العذابات الانسانية (أنا كارنينا ـ باميلا ـ ليدي ماكبث) ولكن أحداً لم يتهم شكسبير وتولستوي وريتشارد سون بالفصل في الأدب . ولم يتم تعميدهم في خانة « الأدب النسائي » . لماذا يحق للرجل أن يكتب عن تمزقات النفس الانسانية وتطلعاتها عبر امرأة ولا يحق للمرأة الأديبة أن تفعل ذلك ؟ لماذا نصفق لنزار قباني لافتراضنا أنه (شاعر المرأة) البارع في كشف أعماقها ، ونخطط لاغتيال أديبة ما فكرياً لأنها أقدمت على ذلك ؟ . . ألأنه مغفورة للرجال خطاياهم ؟ من المعروف والبديهي أن للفنان حق اختيار المادة التي يصور عبرها رؤ ياه للوجود ، وهذه المادة قد تكون رجلاً (روبنسن كروزو مثلاً) . أو طائراً (كتاب جوناثان ليفنغستون سيغال تأليف باخ) أو قطة (جيني تأليف الرائع بول جاليكو) أو طفلاً (الطفل الذي اخترع مسدس اللبان) أو غير ذلك .

الأديب الذي يختار أن يعبر عن مشاعره ورؤ ياه للوجود عبر امرأة ليس (كاتباً نسائياً) ودانييل ديفو الذي اختار التعبير عن رؤ ياه للوجود عبر « روبنسن كروزو » ليس كاتباً رجالياً وباخ ليس كاتباً «طائرياً » وبول جاليكو ليس كاتباً « حيوانياً » . . وهكذا .

واذن في النهاية ، جنس الكاتب وجنس من يختاره بطلاً لقصته ، لا يحددان هوية الأدب . هوية الأدب هي ببساطة أن يكون أدباً حقاً .

والأن لنتخيل العكس . أي بدلاً من ناقد رجالي يهاجم امرأة كاتبة ما لأن بطلتها امرأة ، لنتخيل ناقدة نسائية تهاجم مثلاً « دانييل ديفو » لأن بطله رجل في « روبنسون كروزو » وتطلق على أدبه اسم «أدب رجالي » . والأمر ذاته يمكن أن ينسحب على معظم « الأدب الرجالي » لو أردنا اتخاذ موقع « نقد نسائي » يجد في جنس المؤلف وبطل القصة جنساً للأدب .

انها طبعاً مهزلة فكرية ستودي بنا الى حوار مضحك بين النقاد والناقدات . وأخشى من أن تقودنا ضحالة بعض نقدنا المعاصر الى اتخاذ موقف كهذا ولو على سبيل ردة فعل آنية . فوطننا العربي زاخر بمشكلات تستوجب حشد الطاقات الفكرية لحلها ، والعدو على الاسوار ، ومن المؤسف أن نتلهى عن أزماتنا الفاجعة كلها (التي تساوي في عدد الضحايا بين نسائنا ورجالنا) لنخترع ازمات مفتعلة .

● بعد كوابيس بيروت احدى ثمار حرب السنتين هل من أعمال جديدة ضمن هذا الاطار خاصة وأن الحرب لم تتوقف وانعكاساتها تشكل مجالاً خصباً للعطاء الأدبي ؟

ـ الحرب كما تقولين لم تتوقف ، ولكنها أيضاً لم تبدأ فقط عام ١٩٧٥ وانما بدأت قبل ذلك بكثير . بدأت منذ وعى الفرد العربي تحديات قوى الاستلاب لـه ، والحرب أيضاً لن تتوقف حتى ولو توقفت الحرب اللبنانية التي هي مجرد مظهر دموي عنيف لها . ان حرب الفرد العربي ستطول ريثما يستعيد رقعة ذاته وأرضه وتاريخه وجغرافيته وهكذا ، فانه لا مفر لكل عمل مبدع من وعي هذه الحرب التاريخية ، الباردة حيناً ، الملتهبة أحياناً . التي تتفجر بشكل أو بآخر على جسد الأرض العربية هنا وهناك .

إن الهروب من مواجهة حقيقة المأزق العربي هو هروب من الصدق والمواجهة وبالتالي هو هروب من الابداع والعطاء .

ليس من الضروري أن تفوح من سطورنا رائحة بارود بيروت ، وليس ضرورياً أن تصير نقاط حروفنا من قذائف الهاون ، وفاصلاتها من بنادق (ام١٦) ، ولكنه لا مفر من أن يكون ايقاع سطورنا من بعض ايقاع الهم العربي . وحتى قصصنا الضاحكة ، لا مفر لها من أن تكون مشبعة بكهارب سقطاتنا ومآسينا .

انه زمن الوعي بالحقيقة الجارحة وتلك مرحلة عظيمة لا مفر منها كخطوة أولى في درب مقارعة أسبابها . انه زمن تعري الجرح من أربطة الشاش البيضاء ووقوفه نازفاً أمام الشمس . . انه زمن إعادة تقويم الأشياء كلها ، وإعادة النظر في المؤسسات كلها ، والمكرسات كلها ، والتقاليد كلها . . انه زمن تدمير كل ما ساهم في تدمير الفرد العربي وتدنيس أرض كبريائه وحقه في نافذة مشمسة .

● غادة المرأة الأكثر احساساً بمعاناة المرأة ، ماذا تقولين للمرأة خارج حدود الأعمال الأدبية ؟

ـ غادة ليست المرأة الأكثر احساساً بمعاناة المرأة بل بمعاناة كل من يعاني حقاً ، قد تكون كلمة الألم مذكرة لأن الألم ليس مؤنثاً فقط .

وقلبي بلاط المعذبين ومرآتهم . .

انني أفكر بكل من يتعذب مثلي لا بالنساء فقط . أفكر بغضب ببعض النساء المترفات « الداجنات » اللواتي لا يعرفن معنى الألم ، وأفكر بحنان بالرجال المكافحين من أجل لقمة الفرح والحب والعطاء وأشعر بالتعاطف معهم أكثر مما أحسه مع أية أنثى لا تربطني بها غير تاء التأنيث .

لكنني أيضاً أعرف أن المرأة التي تعاني حقاً ، أي المرأة الواعية ، تعاني ما يعانيه الرجل بالاضافة الى عذابها الناجم عن وضعها كامرأة في « مجتمع رجال » تفترض نظرته

السلفية انه لا بد وأن تكون هي على خطأ دائمًا .

لهذه المرأة أقول : لا تسمحي لهم بتخويفك . العمل هو أول الخيط . أي عمل شريف ، (جرسونة) أو أستاذة جامعية . المهم العمل ، والحس بكيانك كانسانة دون حاجة للاتكاء على أي من المؤسسات أو « الذكور » . لا تسمحي لهم بتخويفك ، وحين يعون قوتك ، سيلجأون اليك ويسرون لك بأنهم بؤساء مثلك .

ان الحزن بضاعة شائعة . الرغبة في التبديل صفة مشتركة بين نساء هذا الوطن الحزين ورجاله ، المهم ايجاد اللغة الجديدة التي يتم التفاهم عبرها من أجل الثورة والتبديل .

١٩٧٨/١١/١٣

تيسير نظمي يستجوب

● كل عمل مبدع يستشف الحرب ضد التخلف والقمع .

● الى أي مدى استوعبت النتاجات الابداعية المكتوبة حول الحرب اللبنانية هذه الحرب .

ـ ليس المطلوب من النتاجات الابداعية المكتوبة حول الحرب اللبنانية أن تستوعب « هذه الحرب » بل ان تستوعب « الحرب » و« الانسان » . ليس المطلوب منها أن تكون سجلاً تاريخياً لما يدور ، بل لحظة رؤ يا تستشف المستقبل وتساهم في صنعه . المهم تجاوز ما هو آني وعابر دونما اهماله وذلك عن طريق اعادة ربط الحلقة اللبنانية في سلسلة الأحداث العربية ، وربط المذبحة الآنية ، بما سبق من « داحس وغبراء » وما سيأتي ! بهذا المعنى ، نجد كتابات ابداعية كثيرة سبقت الحرب اللبنانية في تاريخ صدورها ، لكنها تستوعب ما يدور الآن هنا عبر استيعابها المبدع للذات العربية المصرة على تثوير ذاتها واعتاقها من قيودها الداخلية والخارجية المتوارثة منها والمستورد ذلك الأعتاق الذي اتخذ شكل العنف الدامي في لبنان .

وهكذا فانه من الظلم أن نسلخ (شريحة) الحرب اللبنانية عن الحرب العربية الدائرة داخل كل فرد عربي من أجل تطوير ذاته الى الأفضل ـ مع تجاوز التعبير المرضي الحدة الذي قد تكون الحرب اللبنانية قد تقمصته ـ كما أنه من الظلم اعتبار الأعمال الفنية الصادرة قبل الحرب اللبنانية خارج دائرة التقويم .

ان كل عمل مبدع لا بد وأن ينطوي على استشفاف للحرب العربية ضد التخلف الذاتي والقمع الخارجي ، والحرب اللبنانية هي مجرد ارتسام لهذه الطروحات على شاشة واقع سياسي (ديناميتي) مشبع بالتناقضات والألغام الطائفية والاجتماعية والفكرية والدينية .

بعبارة أخرى ودونما مواربة : المطلوب من النتاجات العربية الابداعية غير المكتوبة عن هذه الحرب أن تستوعب هذه الحرب أيضاً . تلك تكون شارة وعي . تلك تكون منارة فهم حقيقي لجوهر ما يدور هنا وهناك !! .

● كتبت روايتك كوابيس بيروت في ظرف الحرب اللبنانية وكوابيسها وكتبت روايات أخرى خارج هذه الحرب . ما الذي يمكن افتقاده من تجربتك لو كتبت روايتك خارج بيروت .

ـ بصدق : لا أدري تماماً .

لا أدري ما الذي كان يمكن لروايتي أن تخسره لو كتبتها خارج بيروت الحرب ـ أو ماذا كان يمكن أن تربحه ـ ! . فالرواية التي انتهي من كتابتها ونشرها تصير بالنسبة الي مثل قصة حب منتهية . اللاوعي وحده يختزن ما قد أتعلمه من أخطائى فيها ، أما ذاكرتي فمهمتها النسيان كي تتفرغ للحب الجديد: الرواية التي أعمل عليها الآن .

ولكن لا بد من ملاحظة الأمر التالي : ان الاقامة في بيروت أثناء الحرب لا تعني بالضرورة أنك أقمت « داخل الحرب » وهكذا ، فانه من الممكن أن نصطدم بأعمال أدبية كتبت في لبنان عن الحرب وأثناء الحرب دون أن تكون لها علاقة حقيقية بالحرب . اذا ما جدوى أن تعاصر الحدث دون أن تقطنه وتسكنه ويصير حقاً هاجسك ؟ بالمقابل ، لن تدهشني قراءة أعمال جيدة لأدباء عرب لم يقيموا في بيروت أيام الحرب ، لكنهم أقاموا في الهم اللبناني العربي وعرفت قلوبهم بصدق عذابات القصف ومخاطر المرحلة ، ان الاقامة في« فندق الحرب» لا تصنع بالضرورة فناً كما أن العيش خارج لبنان لا يحرم أي فنان عربي حق المشاركة في نزفنا العربي الجذور ما دام يحس بصدق أن جرحنا هو جرحه واذا كانت موهبته الكبيرة قادرة على التعبير عن مأساة تاريخية وانسانية ليس غريباً عنها .

● يرى بعض كتاب الرواية ان الرواية بشكل خاص تحتاج الى فترة زمنية من الاستبطان والاختمار لتنجز كشرط من الشروط الابداعية لهذا الفن . ونرى أن روايتك تجاوزت هذه الادعاءات لسرعة انجازها ، فما رأيك ؟

ـ ليست هنالك مقاييس ثابتة متحجرة كالقالب لكتابة الرواية أو أي فن أدبي ، تاريخ الأدب يعلمنا أن كل ابداع يتضمن بطريقة ما عملية نسف لبعض ما هو سائد من المفاهيم السابقة مع طرح لمفاهيم جديدة هي بانتظار مبدع لاحق يتجاوزها وهكذا الى ما لا نهاية . الأمثلة في تاريخ الأدب لا تنتهي ، وكلها تثبت أنه لا شروط مكرسة للابداع غير الشرط الخاص للمبدع ، بل وان المبدع هو الذي لا يخشى « بعبع » المكرسات

النقدية والا لجاء عمله تكراراً لما سبقه ، لا تجاوزاً ، كما يفترض في الفن الخلاق أن يكون .

هذا هو موقفي العام من كل ما يدعى بـ «الشروط الابداعية » . لا شرط لي غير شرطي الخاص .

ذلك لا يتضمن أي الغاء لتجربة الذين سبقوني . انني أتطلع الى كل ابداع سابق باحترام وأتعلم منه ، لكنني أرفض أن تكون مهمتي مجرد تقليده ، وأصر على حقي في انتزاع ابداعي الخاص وشروطي الخاصة . انني لا ألغي ما سبقني ، لكنني لا أسمح له أيضاً بأن يلغيني . أعتقد أن تجاوزه هو واجبي نحوه كي أكون امتداداً حقيقياً مبدعاً له .

لنرجع الآن الى الأعمال الأدبية التي أنجزت « بسرعة » خلال الحرب فأقول لك أن كتابة هذه الروايات في لحظة « الصخب والعنف » لا يعني بالضرورة أنها غير مختمرة كما أن ما قد يصدر سواها بعد عشرات الأعوام لا يعني بالضرورة أيضاً انها اختمرت ! . . والآن لنتخل عن روايتي ـ كي أدافع عن مبدأ لا عن قضية ذاتية ـ ولنتحدث عن الروايات الأخرى الصادرة في الحرب وعن مبدأ الاختمار الفني .

إن زمن الاختمار الفني لا يقاس بالوحدة الزمنية العادية انه لا يقاس بزمن « بيغ بن » وزمن الكومبيوتر .

إن للابداع وسائله الغامضة لصهر التجربة الانسانية وتخميرها وتقطيرها وتحويلها الى زيت يضيء في قنديل العطاء . . ما قد يفلح مبدع في تحقيقه بليلة اسراء الى قارة المعرفة قد يفوق ما يبلغه كاتب مجتهد غير موهوب لكنه يحسن الالتصاق بالقواعد السائدة خشية اثارة حفيظة النقاد . . انه يخسر الفن ولا يربح النقاد الحقيقيين . .

ان دراسة غير عدوانية للكتابات المسطرة على وهج القنابل اللبنانية (وايضاً غير محابية لها لمجرد انها ولدت اثناء الحرب !) تكشف في بعضها ، عن ولادة عناصر جديدة في الأدب العربي المعاصر انضجتها حرارة التجربة المعاشة وسخونة دم النزف في ليل قنابل : الأخوة الاعداء . .

لا أريد ان ادين هنا الذين تهربوا من الكتابة « الآن » بحجة انتظار اختمار اعمالهم وهم في حقيقتهم ينتظرون اختمار الأحداث وخروج احد الاطراف منتصراً كي يقدموا له خدماتهم في مجال التنظير (!) لأنه لا شك في ان البعض لم يكتب لاسباب « اختمارية » فنية بحتة . كل ما استطيع ان اقوله هو انه لكل مبدع شرطه الخاص للعمل ومن حقه اختيار توقيت عطائه الآن او بعد نصف قرن ، لكن ذلك لا يلغي واقعاً

آخر : اكثر الذين استطاعوا الكتابة في وهج انفجارات القنابل استطاعوا ان يفجروا في داخلهم حواسَّ عربية منسية وطاقات كانت حبيسة ، واعطوا الأدب العربي نكهة حيوية خصبة مائية متفجرة الأصالة .

ذلك الذي تقرأونه في سطورهم مكتوب بدم عربي حقيقي لا بقطرات مستنقع آسن . وصحيح ان الدم لا يكفي وحده حبراً للابداع ، لكنه مادة أولية لا بأس بها اذا رافقتها الموهبة .

هذا طبعاً لا ينفي قيمة اعمال ادبية اخرى مبدعة ، تمكن كتابتها في وهج انفجارات الهم العربي . ويكون لها مذاقها الخاص الجديد . . لكنه يؤكد ان الكتابة في وهج المعركة امر ليس ضد الكاتب من حيث المبدأ (كما أنه ليس نقطة في صالحه) .

المهم في النتيجة اعطاء ادب حي .

اما كيف ومتى ولماذا ، فنتركها دوماً مفتوحة للجهات الألف .

● يرى بعض النقاد ان لانتشار الكتابات النسائية علاقة بسايكولوجية المتلقي العربية لكونه يقرأ (لامرأة) . ما مدى صحة هذه الرؤيا وتطابقها على اعمال المرأة العربية الابداعية ؟

ـ القارىء العربي شديد الفضول لكنه ليس غبياً . وهكذا فإن انوثة المرأة قد تساهم في انتشار الطبعة الأولى من الكتاب الأول لامرأة ما تكتب للمرة الأولى ، لكن الأمر يختلف مع الكتاب الثاني والثالث . ولكن هذا الأمر الرديء ينطبق على بعض الرجال ايضاً .

هناك كتّاب من الرجال لا يملكون من الموهبة نصف ما تملكه اكثر كاتباتنا ، وهم يستعملون نفوذهم السياسي او جاههم او مركزهم الاجتماعي سلعة يروجون بها لأدبهم . لماذا لا تثيرنا التجاوزات اللااخلاقية الا حين تقوم بها المرأة ؟ ولماذا نغض الطرف عن « الأدب الرجالي » الذي يقترفه رجال كثيرون ، مسخرين عناصر كثيرة لا تمت الى الادب بصلة للترويج لأدبهم ، ونتوقف امام انتاج المرأة التي قد تكون مبدعة (بالرغم من كونها انثى) ؟ . . ولماذا هذا « النقد الرجالي » الخاطىء فنياً و « الشوفيني » المنطلقات ؟ . . .

ببساطة اقول لك : هنالك ادب رديء كثير ، ولكن ليست وحدها المرأة التي تنتجه . و « الادب النسائي » الرديء ليس اكثر رداءة من « الأدب الرجالي» الرديء .

● « الأعمال غير الكاملة » ، التي انت بصدد اصدارها في سلسلة من الكتب تؤكد على ان الانسان مشروع يحاول ان يكتمل. فهل يتحقق هذا الاكتمال بالموت ام بالثورة .

ـ الحياة « الشخصية » تكتمل بالموت (وحتى الذين لم يولدوا بعد سيموتون ذات يوم) . الثورة هي بدء دورة حياة جديدة بعد الموت ، وذلك عبر الآخرين الذين انصهرت فيهم . كل الذين كرسوا حياتهم للثورة على البشاعة من أجل بناء مجتمع افضل يتابعون حياتهم بطريقة ما عبر استمرارية افكارهم وقيمهم . فالثورة هي ان تزرع ما دام إنسانٌ آخر سيحصد بعد موتك ، وسيسمع صوتك قادماً مع الريح عبر السنابل . .

● ما هو الدور الذي لم يتحقق لك انجازه في الواقع العربي عامة واللبناني خاصة ؟

ـ ما زلت اعيش مرحلة العطاء ، وهكذا فمن السابق لأوانه ان اجمع حطام مراكبي وجراحي وصيدي واراجع سجلات المعركة . . ما لم احققه بعد اصبو الى تحقيقه واعمل على ذلك بشراسة وباستمرار .

٣٠/ ٣/ ٧٩

جهاد فاضل يستجوب

● « الأعمال غير الكاملة » كي لا تحترق اوراقي ثانية في بيروت الأتون .
● « الأعمال غير الكاملة » موقف من الموت وسط الرعب المحيق !

● ادلى الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري مؤخراً بحديث صحافي الى احدى الزميلات في الكويت قال فيه بالحرف : « أنا معجب جداً بما تكتبه غادة السمان . قرأت لها فدهشت وافتخرت بنفسي وبأن يكون للأمة العربية كاتبة مثل غادة السمان » .

وفي السنة الماضية ، وفي الكويت ايضاً ، قابلت شيخ الأدباء عبد الرزاق البصير فسألني هل تعرف غادة السمان ؟ فأجبت بالايجاب . قال بعد أن تنهد وكأنه الزمخشري الذي مات وفي نفسه شيء من « حتى » : أرجو ان تنقل لها تحياتي واعجابي بأدبها . فغادة قلم متميز في الأدب العربي المعاصر .

وعندما نقلت للأديبة الكبيرة تحية الجواهري والبصير ضحكت شاكرة وقالت : انا اعلم ان بعض الكلاسيكيين يحبونني واشعر الآن بالفخر لشهادة الاستاذ الكبير البصير . لقد قرأت ما قاله الجواهري عني ، وابعدت التواضع الكاذب الذي حاول السيطرة على الموقف وقلت ببساطة هذا تشجيع استحقه وفرحت . فالشاعر العظيم لم يوفر كلمته الطيبة لحفل التأبين كما هي العادة ، وانما قالها لأفرح بها انا لا الورثة .

ولكن يبدو أن الكلاسيكيين ليسوا وحدهم المعجبين بالريشة الساحرة فالمعجبون كثر وهم موزعون على شتى المدارس والمذاهب الأدبية . وكلهم يعتبر انه بعيداً عن

الثرثرة الرومنطيقية ، والرسائل التقليدية ، تشارف غادة السمان بحساسية الأنثى وموهبة الفنان ، في لحظات حميمة عالم الشعر ، تاركة على جدار القلب الانساني آثار بصماتها ، كما يقول عصام محفوظ .

في حديث غادة التالي ، من كل فن بلا اشباع ولا كفاية ، كما كان يقول اخوان الصفاء عن رسائلهم ، على ان أروع ما فيه ، في نظري ، اعترافاتها عن لوثاتها السرية وغير السرية .

في الحديث آراء لغادة عن الحداثة والنقد والأدب والفن ، وقد بدأناه بالسؤال ● لماذا « الأعمال غير الكاملة » ؟

ـ عند الفجر قلت : « الأعمال غير الكاملة » كي لا تحترق حروفي ثانية ، كما احترقت في المرة الأولى ، على يدي الصاروخ بالحرب « اياها » . وبدأت اعمل .

عند الظهر قلت : « الأعمال غير الكاملة » كي لا تحترق ثانية . وتابعت العمل .

عند المساء كررت : « الأعمال غير الكاملة » كي لا تحترق أبداً . وتابعت العمل .

ثم سقط الليل فوق رأسي قطرة سوداء إثر أخرى ، وغسل عن عيني غشاوة القشرة الأولى للحقيقة ، بدأت أرى بوضوح جذور سلوكي هذا . . .

وعند منتصف الليل ، صرخت في وجه المتاريس والمقابر ونعوات الشوارع وكهارب الخوف الزاحفة على نوافذ البيوت الحزينة . . صرخت بملء صمتي : « الأعمال غير الكاملة » موقف من الموت . إنها فعل يجسد ارادة الحياة لدي وسط هذا الرعب الهائل المحيق بي وبأوراقي . إن لملمة حروفي عن الأوراق المحروقة السوداء جزء من ارادة النور في اعماق الانسان ضد السقوط في الظلمة . . . هل امسكت بكوم من الكتب المحترقة ؟ هل جربت ذلك في مكتبك المحترق ؟ اذا كنت قد فعلت ، ستفهم بالضبط ما أعنيه . الأوراق المحترقة تشبه الجسد البشري بعد ان يحترق . صفحات الكتاب ، تبقى كما هي ، صفحة فوق اخرى ، تستطيع ان تميزها بوضوح ، واذا حاولت رفعها عن الأرض تتهاوى بين يديك كحبيب يحتضر . . . الأوراق المحترقة كجثة الحبيب المحترقة ، إنه هناك ، ولم يعد هناك . ها هو جسده ، الكتفان ، الذراعان ، الساقان ، ولكن لا تحاول الامساك بها لأنها ستستحيل فوراً الى رماد .

« الأعمال غير الكاملة » ليست مجرد اعمالي وكتاباتي غير المنشورة في كتبي . إنها أيضاً صرخة إرادة الحياة بوجه الموت ، وصرخة العناد المصر على الاستمرار في مدينة

جدرانها من قماش ورؤوس سكانها مشاعل من نار ! . . .

يقول الرائع أفلاطون : « لا تشغل فكرك بما ذهب منك ، بل احفظ ما تبقى منك » . . . وأنا حين ألملم أوراقي المحروقة وأطبعها ، لا أشغل فكري بما ذهب مني كما قد يبدو للوهلة الأولى . بل انني في جوهر سلوكي احفظ ما تبقى من ارادة الصراع والكفاح والحياة لدي . . . وموت الكلمة مقترن في ذهني دائمًا بموت الحضارة . . . اتذكر نهر دجلة الذي استحالت مياهه حمراء دامية يوم اجتاحها الغزاة ومثلوا بكتبها أبشع تمثيل . . .

وأتذكر . . والتاريخ لا يبخل علينا بالأمثلة . . .

. . . أتذكر ان الكوارث الإنسانية الحضارية الكبرى كانت دوماً مقترنة بسقوط الكلمات صريعة في حقول الورق ، وأشعر بأنني حينما انقذ حرفاً من الموت فأنا أيضاً انقذ ما يدور من تهمة السقوط في البشاعة واللاانسانية . . .

هل يحزنك حريق غابة ؟ ليس هنالك من لا يحزنه منظر حريق غابة . . . أنا شخصياً يفجعني حريق شجرة واحدة خصوصاً اذا كان الحريق قد تم بعد ان تحولت الشجرة الى آلاف الصفحات من الورق وسطر عليها الناس آلاف المعارف والحضارات . . . إني أبكي لحريق « الشجرة » اكثر مما أبكي لحريق غابة . . .

وهكذا اعلنت حالة الطوارىء القصوى في حياتي الاجتماعية والعاطفية ، وأعلنت نفسي جمهورية مستقلة في كوكب يبعد قليلاً عن كوكب الأرض ـ ويقع على شاطىء البحر ببيروت ! ـ وقطعت علاقاتي الديبلوماسية مع الكواكب الأخرى كلها وغرقت في العمل . فمن الضروري جداً أن انتهي من « الأعمال غير الكاملة » كي اتابع أعمالي كلها المشلولة حالياً : رواية جديدة ؟ ـ التحول الى سمكة صيفاً ؟ ـ وغير ذلك من رغباتي اللامتناهية للتفجر ! ماذا سأفعل بعد الانتهاء من اصدار « الأعمال غير الكاملة » ؟ لا أدري بالضبط ، ولا يهمني ان ادري . حينما تعيش الحرب كلها في بيروت كما عشتها أنا ، ثم تتابع حياتك فيها بانتظار انفجار (حرب ما) أخرى ، فإنك تفقد تماماً القدرة على التخطيط . بل ان فكرة (التخطيط) تصير مؤلمة بحد ذاتها ، لأنها مقترنة بهاجس الموت المحتمل في أية لحظة (الآن مثلاً اتساءل بغصة ، وقلمي في السطر الثالث من أعلى الصفحة ، ترى هل سيكون بوسعي ان اكتب الصفحة بأكملها قبل ان يدوي انفجار ما لسبب ما وهل سيقرأ الناس ما اخطه الآن أم انه سيحترق ؟ وينتهي كل شيء ؟) .

● كتّاب كثيرون يكتبون ، ولكن هناك قلة قليلة في كل عصر تبهر كتابتها ويضيء الخلود بين سطورها . قلة قليلة متصلة بالبقاء بالأصول ، بالينابيع ، بـالأسرار بالعرفان . كيف نميز بين الذي يبقى وبين الذي يتهاتر ؟

ـ لا نستطيع التمييز نهائياً بين ما سيمكث في الأرض ، وما « سيذهب جفاء » . . . لا نستطيع الجزم بصورة قاطعة لأن أهم ناقد أدبي أسمه : الزمن . وهذا السيد الناقد (الزمن) لا يطلق حكمه إلا بعد ان يكون صاحب الأثر وجمهوره ونقاده ـ قد ذهبوا الى غير رجعة . . . السيد الناقد (الزمن) يأتي الى أحفادنا وأولادنا ليقول كلمته .

منذ قرن ونصف ، عزف بيتهوفن للمرة الأولى سيمفونيته الثالثة (هيروييكا) الخالدة ، وقال عنها النقاد يومئذ (إنها رهيبة . . مزعجة . . مليئة بضجيج سخيف مفتعل) كما خذله الجمهور يومئذ ، ونحن اليوم ننصت الى تلك السيمفونية بخشوع ونحزن من أجل بيتهوفن العظيم الذي كان ذنبه الوحيد هو أنه سبق نقاد عصره وجمهوره بحوالي قرن من الزمن . . . ويوم عزف تشايكوفسكي كونشرتو (رقم ١) للمرة الأولى لقي أيضاً فشلاً ذريعاً ، وحتى أقرب اصدقائه « نقولاي روبنشتاين » رفض يومئذ عزفها (كان ذلك عام ١٨٧٤) وقال : « انها بلا أية قيمة فنية ولا تستحق مجرد العزف . إنها سيئة . تافهة . سوقية . مفككة . فقيرة فنياً » . . . واليوم تعتبر الكونشرتو الأولى من أجمل أعماله وأكثر الاسطوانات الكلاسيكية شعبية في العالم . والأمثلة المشابهة لا متناهية . . .

لذا ، لا بد من الحذر دائماً في معرض الحكم باعدام أثر فني ما . . .

ولكن ذلك لا ينفي أبداً وجود مؤشرات مبدئية هي بمثابة غربال أولي لقمح العطاء . . . فالسطحية ، والركاكة الفكرية ، والسهولة ، والرخص ، والبذاءة ، والتعالي على المعارف المتوارثة ، والنزعات التدميرية لمجرد التدمير ، والحماقة ، هذه كلها لم تكن أبداً ملازمة للأدب العظيم والفن العظيم . . .

ولكننا لن نستطيع أبداً أن نجزم بشيء . . . فلتعم الفوضى وليكتب الجميع . . . فإن مساوىء قمع الحرية هي دوماً أكبر من مساوىء إطلاق الحرية ، وفيما بعد سيتقدم الزمن بمعوله العظيم من المنجم العتيق ، ليميز بين الفحم والماس .

● لكل أديب لوثته الخاصة . فهل تشذ غادة السمان عن هذه القاعدة ؟

ـ « لوثتي السرية » هي العجز عن الفصل التام بين الحلم الليلي والواقع المعاش في اليوم التالي .

مثال : أحلم بأن صديقاً حبيباً قد غدر بي . استيقظ صباح اليوم التالي متألمة وغاضبة تماماً كما لو ان الأمر حدث حقاً . واذا تصادف ان التقيت به ، فإنني اعامله بصمت وببرود محايد . طبعاً لا أستطيع ان افسر أو أبرر له سلوكي هذا . . . ولعل هذه « اللوثة » هي سبب القول بأني « مزاجية » . إنني ببساطة عاجزة عن الفصل بين الحلم والحقيقة وهما في حياتي يفتقران الى الخيط الرفيع الذي يفصل بينهما عادة في حياة الناس (الأسوياء) . أنا أعرف ان سلوكي هذا مضحك فكرياً ، لكنني لا املك الا الانصياع له كما لو انني في قاع نفسي اؤمن بأنني لو لم اتوجس شراً من شخص ما لما حلمت به مؤذياً لكياني . امر غير منطقي ؟ طبعاً . وإلا لما كان اسمها لوثة !

أما لوثتي غير السرية فأسمها « العشـق » . ان في قلبي من « العشق » ما لا يتسع له عمر واحد !! . . . وحين تعرف موضوعات هذا العشق ، ستضحك ، وسنقرر معاً ببساطة : أنا مجموعـة من اللوثات لا أبـذل اي مجهود لإخفـاء « لوثـاتي » ، وانما أبذل جهدي للاستمتاع بها كلها . عندي لوثة الأدب . لوثة الصحافة . لوثة البحر . لوثة الغابات . لوثة الحريـة . لوثـة الاستقلال . لـوثة الانفـلات التي تتبعها فوراً لوثة حب الانـطواء . لوثـة العناق تـلازمها لـوثة البعـد . لو حدثتك عن لوثاتي لما انتهينا أبداً . أعشق النباتات وأتمنى في بعض اللحظات ان اكرس حياتي لدراسة (البوتاني) لكنني ايضاً اعشق الأصداف وأعشق الحيوانات . . كل تلك الكائنات الصغيرة التي يتقزز الناس من بعضها او يتشاءمون من بعضها الآخر أنا أحبها وأرقبها بغبطة لامتناهية . . . البوم الجميل أحبه . . الفئران اللطيفة أطمئن اليها . القنفذ يسحرني . الضفادع بديعة . الأفاعي حلوة . أحب الجراد كما أحب الفراشات . كل كائنات الطبيعة المدهشة يخفق قلبي بالحب نحوها . . . حتى الصخور أحس بارتباط بها . . . أحجار الكوارتز الطبيعية الشفافة والملونة تذهلني وأحب الاماتيست ، بصورة خاصة (الليلكي اللون). إن علاقتي بالكون لا تقتصر على علاقتي بالناس حولي، وأنا كالبدائيين، لم تنقطع علاقتي بالطبيعة بعد، وما زالت بكل عناصرها وكائناتها ورموزها تتدخل في حياتي بشكل مباشر كما لو كانت روح « هندية حمراء » صغيرة عاشت منذ ٢٠٠٠ سنة تتقمصني ! . . . اعشق الانسان فهو من اكثر كائنات الطبيعة طرافة . أحياناً أرقب الناس كما لو كنت شجرة محايدة مثلاً تتأمل كائنات الغاب. الانسان مخلوق يثير الفضول حقاً ، والمشكلة اننا تعودنا على سلوكه الـطريف حتى انه لم يعـد يستوقفنا . . . لنأخذ ظاهرة الزعماء مثلاً . . . حين تحمل مظاهرة من الرجال رجلاً ما

(الزعيم) على الأكتاف وتركض به . . . ليس في حيوانات الغابة كلها من يمارس سلوكاً كهذا . . . وحتى القرود ، التي تتخلى للقرد الزعيم عن اناثها وتمنحه امتيازات كثيرة لا تمارس سلوكاً كهذا . . . إننا لم نر أبداً مجموعة من القرود تحمل قرداً على اكتافها وتركض به في الغابة ، ولا مجموعة من الأسود تمارس ذلك ، ولا حتى قطعان الأغنام التي تلحق بالكبش الكبير حتى ولو قفز الى النهر ، لا نجدها تحمله على اكتافها . . كأن الانسان اخترع الحرية من أجل ان يمارس الذل احياناً ! . . . . التأمل في أحوال البشر من وجهة نظر شجرة او سمكة او غيمة لوثة ساحرة حقاً ، أمارسها وانا اتسكع في المدن النائية التي أهوى باستمرار الرحيل اليها . . . تسألني عن لوثتي بصفة المفرد ؟ . . . استطيع ان اكتب لك عملاً عن لوثاتي المتشعبة . فإلى جانب لوثة العشق (عشق الرحيل ـ الطبيعة ـ الحيوان ـ النبات ـ الانسان ـ المجهول) لدي لوثات صغيرة لامتناهية ، لكنها تروح وتجيء ، مثل «لوثة العزلة » و « لوثة الشك » ، و « لوثة المزاج البوليسي » حين أفسر مرور كلب في الشارع مثلاً بأنه دمية الكترونية معبأة بالمتفجرات أو جهاز متطور للتجسس ! ولكن « العشق » يظل أجمل لوثاتي وأكثرها مثابرة .

● قالت سيمون دي بوفوار في حديث مؤخراً مع « النوفيل اوبسرفاتور » : لا يوجد في اعماقي تآلف مع الخبث » . فهل تعتبرين نفسك متصالحة مع البراءة ام ان لك صلة ما بالشيطان ؟

ـ صلتي وثيقة بالشيطان ، لذا أنا متصالحة مع البراءة ! . . في أعماقي تآلف مع الخبث كما في اعماقي تآلف مع العطاء اللامتناهي . لا استطيع تبرئة نفسي من نباتات الشر لأن ذلك يتضمن نفياً لطيور الخير البيض من اعماقي . أنا لست افضل من الآخرين ولا أكثر سوءاً منهم . إني مجرد انسانة أخرى من اولئك البشر الذين ابدع دوستويفسكي في رسمهم . ان وعي الشيطان لا ينفي الصلة بسيد الشاطىء الآخر للوجود . وعي الشيطان هو ما يمنح الخير معناه الحقيقي والعميق . أنا ابنة الحياة الوفية لطبيعتها البشرية ولكل نوازعها المتضاربة الملونة المشمسة والمظلمة ، ولا أشعر بالعار لذلك ولا بالفخر .

● لعبة الوضوح والغموض في قصصك ورواياتك .

ـ لعبة الوضوح والغموض في اعمالي هي مجرد انعكاس للعبة الحياة في مرآة الفن . هنالك أشياء قليلة اكيدة نعرفها . الحقائق (الواضحة) في الطبيعة البشرية وفي طبيعة علاقة الانسان بالكون تكاد تكون معدومة . وهكذا ، اذا كان الفنان صادقاً مع فنه ، ومع الآخرين ، ولم يكن مجرد بوق مكرس للترويج « لنظرية » معينة جاهزة ، فانه

مرغم ـ بحكم صدقه ـ على الدخول في دهاليز المرايا المتقاطعة واللامتناهية حيث لا يعرف أين تنتهي يده الحقيقية واين تبدأ يده في المرآة ، ويخيل إليه انه عشرات الأشخاص في مرايا الحقيقة ، وان وجهه الحقيقي يسكن باستمرار داخل المرآة التي لم يطالعها بعد في المنعطف القادم للدهاليز ، وهكذا الى ما لا نهاية .

ما أرغب في قوله ببساطة هو أن الحقيقة متعددة الوجوه (حتى ما يلقبونه بالحقيقة الموضوعية ، ليس أكثر من وجهة نظر مدعومة بالقوة السائدة في عصرها من سياسية او اقتصادية او دينية او غيرها) . . . فالقوي يسمي (حقيقته) موضوعية . ولكن الحقيقة ترفض القوة حليفاً وتفضل العقل والحدس والحس الفطري السليم الذي يملكه الشعراء والفنانون اكثر من سواهم . . .

لي قلب طفل يحب الوضوح ، ولكن عقلي المسكون بالشك يرفض الوضوح السهل . . . من هنا ، فإن الغموض في قصصي ليس هرباً من الوضوح بل هو اعلان عن زئبقية النفس البشرية وغموض الكون ، كما انه ليس هرباً من قول حقيقة نهائية محددة كالمربع او كالمستطيل وانما هو إعلان عن عدم وجود حقيقة كهذه ، وضرورة مواجهة وجوه الحقيقة اللامتناهية . . . نحن العرب بصورة عامة يضايقنا ذلك لأنه يفسد على البعض ميولهم للقمع الفكري . البعض مصر على ان هنالك حقيقة واحدة فقط لا غير هي (حقيقته) وكل من لا يسلم بها هو مجرم ومارق واعدامه ضروري . من هنا نجد ان « الحرية الفكرية » لدينا عبارة (مشبوهة) ! . . . ومن هنا ايضاً « الحوار الفكري » و « تبادل وجهات النظر » عبارات مرادفة في نظر البعض للعمالة والخيانة . وهذا أمر مؤسف .

اجتمعت قبيلة العميان حول فيل ضخم في محاولة لتحديد (ماهيته) و (حقيقته) . أمسك احدهم بذنبه وصرخ : هذا حبل مجدول . أمسك الثاني بساقه وصرخ : بل هو عمود . أمسك الثالث بجسده وصرخ : بل هو جدار . أمسك الرابع بأذنه وصرخ : بل هي مروحة . أمسك الخامس بخرطومه وصرخ : إنها أفعى هائلة الضخامة .

وهكذا الى ما لا نهاية ريثما قرر كل منهم قتال الآخرين دفاعاً عن (حقيقته) التي لمسها بيده .

حالنا مع الحقيقة كحال قبيلة العميان مع الفيل . يخيل إليّ ان على الانسان ان يتواضع قليلاً في حضرة الحقيقة . ولا يخجل من الاعتراف باستحالة القبض على

طبيعتها الزئبقية وافقها الشاسع . الغموض في قصصي ـ حين يوجد ـ هو جزء من تواضعي أمام (الحقيقة) بالمعنى الكبير لهذه الكلمة . إنني لا أصور ما اعرفه فقط ، بل ما أجهله ايضاً ! وما اعرفه اصوره بصدق ، وما اجهله أصور جهلي له ايضاً بصدق فيبدو غامضاً !! . . .

● **كثر الحديث عن « الحداثة » . . .**

ـ الحديث عن « الحداثة » لم يعد « حديثاً » ولم يعد صالحاً «للحديث » ، صار الحديث عن « الحداثة » عتيقاً ، واهترأت الكلمات ، وضجر الناس . باختصار « الحداثة » هي الابداع ، وإلا كان الشاعر مجرد ببغاء للأولين ولحرمنا من اضافته الخاصة . ولكن « الحداثة » ليست قناعاً للركاكة والضحالة والتهرب من العطاء الى الرخص والسهولة . دعهم يكتبون ، دع الزمن يغربل على طريقته ، فالذين يبدعون حقاً في غابة الحداثة لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد الواحدة ـ يد الطائر ـ !! . .

● **هل ترين ان هناك لغة نساء ولغة رجال ؟**

ـ هنالك أبجدية واحدة ليست مؤنثة ولا مذكرة ويتعلمها الذكور والاناث . هنالك قرآن واحد موجه للذكور وللاناث ، ولم ينزل الله قرآناً بلغة النساء يخاطبهن فيه وآخر بلغة الذكور يخاطبهم فيه .

ليست للفكر أعضاء ذكورة او انوثة . هذا من حيث المبدأ . . .

لنقرب الآن وجوهنا من الصورة أكثر قليلاً ولنحدق في الأمر الواقع . لنفترض ان أكثر الكتابات التي تكتبها المرأة هي (نسائية) بمعنى الغضب من وضعها الدوني البائس وربما الشكوى . . . لماذا يضايقنا ذلك ، ما دمنا نرحب كثيراً بالعامل الذي يكتب عن قهره الطبقي ، ونرحب بالفلاح الذي يكتب عن ظروف حياته القاسية ونعتبر أدبه منبثقاً عن واقعه الحي ؟ . . . لماذا هذا التمييز العنصري بين جرح المرأة وجرح الرجل ؟ . . . ولماذا ألمها « لغة نساء » وألم العامل والفلاح وبقية المقموعين مثلها (او أقل منها بدرجات) ألمهم موضوعي وخلاق ؟ . . .

ان القضية ليست قضية رجال ونساء . هنالك ادباء عبروا عن آلام الانسانية عبر المرأة بصورة مذهلة ، فهل نعتبر كتاباتهم « لغة نساء»؟ هل « فلوبير » أديب نسائي لأنه كتب (مدام بوفاري) ؟ وهل « ريتشاردسون » العظيم أديب نسائي لأنه كتب « باميلا » ؟ وهل « تولستوي » أديب نسائي لأنه كتب « آنا كارنينا » ؟ وبالمقابل ، هل « دانييل ديفو » أديب رجالي لأنه كتب « روبنسن كروزو » ؟ . . .

علينا اذن ان نميز بين أمرين : بين الفن الجيد والفن الرديء .

الفن الجيد يمكن ان يكون محوره امرأة او رجلاً او حتى طائراً (كما في كتاب جوناثان ليفينغسون النورس تأليف باخ) أو قطـة (كما في كتاب « جيني » رائعة بول جاليكو) . للفنان حق اختيار مادته ، وهذه المادة لا تحدد نوعية كتابته ، ما يحدد نوعية كتابته وماهيتها هو مستوى الكتابة لا موضوعها .

إذن ، هنالك أدب جيد تكتبه النساء والرجال ، وهنالك أدب رديء يكتبه الرجال والنساء أيضاً . . .

ولكننا لا نستطيع إن نصف الأدب الرديء بأنه أدب نسائي لأن أكثر كتابه من الرجال !!

٢٩/ ٤/ ١٩٧٩

محمد قليلات يستجوب

● كل عمل أدبي انتهي من كتابته ، تنتهي علاقتي به .

● كيف تقيمين معاناة الكاتب اليوم من خلال المشاهدات اليومية لأناس ما بعد الحرب ، سيما وضعه الاجتماعي ؟

ـ المعاناة مستمرة في خط تصعيدي ، يرصد الفنان مسارها كالبوصلة ، لكن ليس محايداً كالبوصلة ، وهو يموت قليلاً كلما سقط مناضل يحاول مسح البشاعة عن وجه هذا الزمن المفترس ، معاناة الكاتب اليوم تجعله يعيش هم المعاناة بالاضافة الى همه الشخصي . هناك لحظات أحس فيها انني انا التي يخططون لاغتيالها ١٤٠مليون مـرة . وانا المنتشرة على طول ١٤٠مليون جسد يرتجف غضباً بين المحيط والخليج : محيط الحلم وخليج الرفض ، وانا الموزعة على ١٤٠مليون صرخة عربية ، وانا التي يجلدني القهر ١٤٠مليون جلدة كلما شاهدت اعداء الفرح والرغيف يستخفون بطاقاتنا على الانفجار ، وانا ذلك القلب الشاسع الغامض كحقل الغام مزروع بـ ١٤٠ مليون لغم .

● الأحداث غيرت الأشكال ودخلت الى النفوس ، فأين أصبح الأديب اللبناني في غمرة هذا الواقع ؟

ـ بالنسبة للأديب الحقيقي الحرب كانت دوماً هناك . أن تكون فناناً يعني أن تكون في حالة حرب مستمرة مع حصار قوى التخلف وحلفائها السياسيين والاجتماعيين والاقتصاديين والفكريين والروحيين وكل القوى التي تحاول استلاب الطاقات الخلاقة في الفرد العربي المعاصر وتحاول افتراس كفاحه من أجل الوحدة والحرية والعدالـة الاجتماعية . أن تكون فناناً يعني أن تكون باستمرار مقاتلاً في خندق الدفاع عن القيم الانسانية .

الجرح كان دوماً هناك . القهر كان دوماً هناك . الغضب الساطع كان دوماً هناك . محاولة استلاب الفرد العربي وأرضه النفسية وأرضه الجغرافية كانت دوماً هناك . في الحرب خلع الجرح قناعه وتعرى للجميع .

في الحرب اهترأت « الديكورات الحضارية » لجلادي الشعب وتطايرت « الواجهات السياحية » كريش الغربان الميتة ، وساح ماكياج مهرجي البلاط في وهج النار ، وبان كل شيء على حقيقته تحت الشمس الطالعة من جرح البسطاء والكادحين والفقراء . والفنان الحقيقي هو الذي كان دوماً يعي الجرح السري في قلب تراب الوطن حتى قبل أن تغير الأحداث الأشكال ، وتدخل الى نفوس الجميع .

الأديب لم تفاجئه الأحداث ، بل وجدها النتيجة المحتومة لواقع ديناميتي متفجر . .

أخطأ سماسرة الشعوب الحساب حين توهموا أن قلب اللبناني سيتغاضى عن جرائمهم في حقه ، انه تم تدجينه في حقول الدبكة والتبولة والكبة النية والكرنفالات الاجتماعية في الفنادق الفاخرة . . لم يخطر ببالهم أن الفندق سيصير ثكنة ، وزجاجات الشمبانيا ستصير قنابل ، وأن الشعب كالتاريخ : لا يمهل ولا يهمل !

الحرب بالنسبة للفنان لم تنفجر عام ١٩٧٥ فقط . حربه كانت دوماً هناك سرية وشرسة البرود . . الحرب كانت دوماً قائمة بينه وبين العدو الأخطبوطي الأذرع ، وكان دوماً يعيها مع كل اساءة تلحق بكادح ، وكل طعنة توجه الى جسد هذا الوطن العربي من المحيط الى الخليج : من محيط القلب الى خليج الذاكرة .

الأديب الحقيقي لم يتبدل ، قد تتبدل وسائله وأساليب ردود فعله في مواجهة الشكل البارد أو الشكل الحار للحرب ، لكنه على الحرب فتح بصيرته ، وهي ستظل مستمرة ما دامت أهدافنا الوطنية والقومية والانسانية لم تتحقق بعد .

● دور الكاتب في اعادة بناء المجتمع والعمل على نهضته ؟

ـ تمر بي لحظات أشعر فيها بأن الكتابة غير مجدية وأن الرصاص داخل المسدس أكثر جدوى من الرصاص داخل قلم الرصاص ، لكن الكتابة قدري ، وأنا لا أتقن شيئاً آخر في حقول الموت الوحشية ، وليت هذه المرحلة المقبلة تشهد ذروة التلاحم بين الفنان والثائر لبناء مجتمع أفضل ، فالثائر والكاتب توأمان لرغبة واحدة هي محاولة تبديل وجه العالم القاسي البشع الهرم الاستعماري المستغل . هدفهما واحد ولكل أداته ، والتفاعل المتبادل بين الفنان والثائر ، يمنحنا فناً أجمل ، ومقاتلاً أعمق وأفضل .

● العاصفة لازمت الأدباء والشعراء والكتّاب. فكان لكل منهم دور ورأي. كيف تقيمين صورة الحب وانفعالاته بعد الأحداث الأليمة ؟

ـ يبقى الحب الاختراع الانساني الوحيد الذي يشحذه الزمن وينميه تعاقب الأيام بدلاً من تجاوزه . المقاتل هو عاشق جميل ونبيل أبجديته أعضاء جسده ، ودمه حبره ، وأرض وطنه صفحاته ، وأفعاله هي أحلى قصيدة حب .

الزعيم الثوري هو عاشق كَوْنِّي بالمعنى الشاسع للكلمة ، فالثورة هي فعل حب نحو جماهير شعب بأكمله .

وهكذا فإن صورة الحب بعد هذه العاصفة تظل متألقة مثل نجمة غسلها المطر ، وتزداد نمواً وشمولاً بعد أن منحها الفداء أبعاداً جديدة . .

الحب لم يزل مرفوع الرايات ، بـعد أن كبر جسد الحبيب وصار جسد الأرض ، وكبر موضوع الحب وتنامى فصار موجهاً نحو كل ما هو امتداد للخير والحق والجمال بالمعنى الفلسفي الاغريقي للكلمة . ما زال الحب يا صديقي مرفوع الرايات والثوار هم العشاق الحقيقيون والسريون وهم يمنحون عشقهم للأرض والمعذبين بعفوية كما تنمو الأزهار البرية ، المتوحشة الجمال ، هدية من الصخر الى السماء .

● أي نتاج من أدبك أحب اليك ؟ ولماذا ؟

ـ يدهشني الأدباء الذين يشبهون أعمالهم الأدبية بأولادهم ، ويعلنون أنهم لا يستطيعون حب عمل أكثر من الآخر أسوة بأولادهم .

بالنسبة الي ، كل عمل أدبي انتهي من كتابته تنتهي علاقتي به . إن الخبرات التي اكتسبتها من ذلك تترسب في اللاوعي الأدبي سلباً أو ايجاباً ، وتختمر وتركض في نسغي الابداعي حتماً ، لكن علاقتي الواعية به تنتهي تماماً . علاقتي بالكتاب الذي أتم كتابته هي كعلاقة الانسان مع قصة حب غابرة : يعرف بالتأكيد أنه عاشها ، لكنها لم تعد تحرك مشاعره . وهكذا فإن أحب كتبي الي هو ذلك الذي لم أبدأ بكتابته بعد، وأحب حروفي الي هي تلك التي ما أزال أطاردها داخل أصداف اللغة ، وعلى شواطىء الأبجدية ، رغم ذلك هنالك دائماً حكاية حب واحدة لا تنسى ، تبقى أبداً جديدة ونابضة . وكتابي « كوابيس بيروت » هو نقطة ضعفي وحنيني في هذا المجال ، حتى اشعار آخر . . وقد يتبدل مزاجي في يوم آخر ، فأجيب على سؤالك ذاته بصورة مختلفة !

نيسان / ابريل ١٩٧٩

سونيا بيروتي تستجوب

● منشورات غادة السمان
طموح . . أم مجرد حلم ؟!

● آتون الحرب اللبنانية دفعت الأدباء والفنانين الى الهرب. منهم من هرب بالاغتراب ومنهم من هرب الى أعماق ذاته يبحث فيها عن موطىء قدمين أشد ثباتاً من الأرض ومنهم من تابع عمله فرسم وكتب وغنى ومسرح ، متأثراً بما حوله بشكل جد متفاوت أو غير متأثر ، وكأن الانتاج الفني والأدبي معلق بخيوط القضايا الكبرى غير متوقف عند المشاكل المرحلية مهما كانت مهمة وقاسية .

وغادة السمان الدمشقية ، بيروتية من قبل أن تتزوج لبنانياً ، بل وهي بيروتية من زمن بعيد . . وكان هروبها في الانغماس بمراقبة تفاصيل الحرب ومعاناتها ومحاولة استيعابها . كتبت «كوابيس بيروت» وهي ترحل بأشيائها الصغيرة ولوحاتها ومجموعة البوم التي تتفاءل بها ، من حي الى حي ومن شقة مفروشة الى شقة خالية . . وبعد خمود النار استقرت في بيتها الجديد المطل على البحر وراحت تلملم ما ضاع منها : بدأت بتأسيس دار للنشر تحمل اسمها وبادرت الى اعادة طبع كل انتاجها .

جلست الى غادة السمان وتأملت شعرها الطويل الأسود ، وزيها الرجالي الأسود ، ونظارتيها الكبيرتين السوداوتين ، وسمعت حديثها الثائر المتحمس ينضج بكل الألوان الصارخة المتفائلة . وصلنا بعد حين الى الجد فسألتها :

● تأسيس دار للنشر أمر سهل ، لكن كيف استعدت حقوق طبع مؤلفاتك القديمة من الدار التي كنت أعطيتها حق الطبع ؟

ضحكت وقالت : استعدتها بشكل ودي . اشتريت كل النسخ الباقية عند الدار ، وأعلنت رغبتي في الاستقلال . . وأظن أنني وجدت تفهمًا .

● أعدت طبع كل مؤلفاتك السابقة ؟

ـ كلها . وأعمل الآن على سلسلة « الأعمال غير الكاملة » من مؤلفاتي .

كان النجاح يسعد تعبير وجهها .

● عظيم ! لكن لا أظنك أسست داراً لتعيدي طبع مؤلفاتك ولا حتى لتقصري نشاطك في عالم النشر على مؤلفاتك أنت وحدك .

قاطعتني : عندي طموح أن أنشر لغيري ، لكن طموحي لا يصل الى حد التهور .

● هل تقصدين المغامرة المادية ؟

ـ تقريباً .

● وهل ستعتمدين خطاً معيناً أو اختصاصاً فيما تنشره الدار الحاملة اسمك ؟

ـ في ذهني خط . . أو بالأحرى نوعان من الكتب . أود أن أنشر للمبدعين الجدد أي للكتاب الذين لم ينشر لهم أحد بعد . . ليس مهما أن يكون هؤلاء الكتّاب رجالاً أو نساء . . أنا أعترض على التصنيف « أدب نساء وأدب رجال » اعترض مسلكياً ولذلك لن أميز . أما النوع الثاني فترجمات لانتاج هدفه تنوير ، ليس المرأة فقط ، وإنما الرجل والمرأة . . أي كتابات « نسوية » لرجال ونساء معاً ، فأنا أؤمن بأن تحرر المرأة يأتي عن طريق تحرر الرجل والمرأة معاً . وهذه الطموحات كلها تتوقف على الحالة الأمنية في بيروت . بدون أمن سيكون من الصعب نشر أي شيء حتى كتبي !

فجأة شعرت بها وقد تمردت على الالتزام أو التقيد بأي وعد أو عهد . . قالت :

ـ في الحقيقة ليس في ذهني أي مخطط واضح وجدي . . انها مجرد أحلام قد استغني عنها . قد استغني حتى عن دار النشر التي أنشأتها وأعودالى كتابة القصص والى البحث عن ناشر .

طلبت الى غادة السمان أن تختار لنا واحدة من قصصها القصيرة ، واذ كان الاختيار صعباً ـ وهذا في طبع كل كاتب ـ لجأت الى تجربتها الصحفية فقالت : هناك قصة ، لنشرها مناسبة خاصة .

● أية مناسبة ؟

ـ ترجمت هذه القصة حديثاً الى الألمانية وستنشر ضمن مختارات لأدباء سوريين وكانت القصة ذاتها قد ترجمت قبلاً الى الانجليزية . . المهم أنها من أوائل أعمالي الأدبية وهي على ما أذكر حلوة بريئة تناسب « الشرقية » .

تركت غادة تضحك وابتعدت وأنا أحمل الى قارئاتي سطوراً تروي حكاية « غجرية بلا مرفأ » .

آب ۱۹۷۹

ابراهيم العريس يستجوب

● القـارىء العربي أكثر ذكاء مما يتصـــورون .

خلال الشهرين المقبلين ، يصدر الكتاب الثاني عشر في سلسلة « الأعمال غير الكاملة » التي تنشرها غادة السمان منذ نحو عامين ، وتجمع فيها مئات المقالات والدراسات والقصائد والقصص التي نشرتها متفرقة (أو لم تنشرها أبداً . . قبل الآن) والطريف أنه حتى قبل اكتمال أجزاء السلسلة أعيد طبع أجزائها الأولى أكثر من مرة . . وهو نجاح يعتبر فريداً في نوعه في عالم النشر العربي .

لمناسبة اكتمال السلسلة ، ولمناسبة شروع غادة السمان (وكما تشير التقديرات على الأقل) في كتابة عمل جديد لها ، لا تزال تحيطه بالكثير من السرية و التكتم ، توجهنا اليها بطائفة من الأسئلة التي تمخضت عن حوار ممتع وذكي (كعادة كل ما تكتبه صاحبة « كوابيس بيروت ») . .

● لا يمر شهر الا وينزل الى الأسواق كتاب لك ، هو اما كتاب جديد يضم نتاجاً قديماً ، واما طبعة جديدة لكتاب معروف . . بماذا تفسرين اقبال القراء الذي يجعل هذه الوتيرة ممكنة ؟

ـ من السهل أمام سؤال كهذا أن يسقط المرء في أحد الفخين التاليين : فخ التبجح . وفخ التواضع الكاذب . فأما أن أقول لك أن كتبي جيدة والقراء يحبونها وأسقط في المباهاة ، أو أقول لك أنني سعيدة الحظ لأن القراء يقبلون على كتبي (المتواضعة) وأسقط في التفسير الساذج لنجاح ما ، وأضيف الى عيوبي خطيئة جديدة هي ارتداء عمامة الزهد فوق مشاعر الخيلاء .

بيساطة أقول لك : أن اقبال القراء على كتبي يسعدني ولا يدهشني . ولأنه لا يدهشني ، لا أفتش له عن تفسير . علاقتي بالقارىء عتيقة وداخلية وحميمة وصادقة

عاشت طويلاً في الظل ، والقارىء موجود في حياتي منذ كنت طالبة على مقاعد الدراسة الثانوية يوم كتبت أول قصة لي « من وحي الرياضيات» وكنت يومئذ أعد البكالوريا العلمية . فقد كان القارىء باستمرار قرينا لروحي بعفوية نابعة من تكويني الداخلي . ومع الزمن ألفته ، وصار شخصية اعتبارية تعايشني ، وتلازمني ، وهو ليس منفصلاً عني تماماً بل هو من بعض أصواتي الداخلية كما أنا من بعض أصواته . . . كأن الأمة العربية كلٌ واحد ، وأنا ايقاع من ايقاعات حنجرتها ، وصرخة من صرخاتها اللامتناهية . . هذا التلاحم بيني وبين القارىء بالمعنى الشاسع للكلمة هو الذي جعلني لا أتوقف عن الكتابة عام ١٩٦٦ حين صدر كتاب « ليل الغرباء » وكان عليه أن ينتظر سبعة أعوام في المكتبات العربية والحر يجلده سبع مرات والمطر يغسله سبع مرات ريثما يتقدم ٣٠٠٠ قارىء للسؤال عنه . فالقارىء بالنسبة لي ليس محدوداً بزمان ومكان ومرحلة . انه هناك ، واذا طالت المسافة الزمنية بين صرختي وأذنيه فذلك لن يدفعني لقطع الحوار الذاتي - « السوليلوكوي » - بيننا ، واذا ألصق أذنيه بشفتي ، وصارت المسافة بين الطبعة الأولى لكتاب أصدره والطبعة الثانية أقل من أشهر (كتاب « زمن الحب الآخر » مثلا) ، فذلك أيضاً ليس سبباً للاسفاف في الحوار من جانبي أو الاستخفاف به .

● اذا اعتبرنا أن هذين العامين كانا عامي صدور وتجميع لـ « كل » انتاجك سنجد أنفسنا أمام سؤال جامع : لماذا تكتبين ؟ لماذا تنشرين ؟

- أستطيع أن أقول لك كلاماً رومانسياً كثيراً على شاكلة : أنك لا تسأل الطير لماذا ينشد . ولا تسأل القلب لماذا ينبض . ولا تسأل الأزهار لماذا تتفتح في الربيع . ولا تسأل النجوم لماذا تضيء . والشلال لماذا يتدفق . والمطر لماذا يهطل . . الى آخر هذه المعزوفة . .

في هذه اللحظة ، أشعر برغبة في الاجابة بصدق فج : لماذا أكتب ؟ لقد حدثت الأشياء لي على هذا النحو وانتهى الأمر .

لماذا أنشر ؟ أنشر لأنني أكتب ! . .

● نلاحظ في كتاباتك حضور كل مراحل حياتك . . في الوقت الذي تكاد تغيب فيه مرحلة الطفولة . . . في حنينك لدمشق (كما يتجلى في أحد كتبك الأخيرة) يبدو أنك تحتفظين لتلك المرحلة بقسط كبير من الحب . . كيف تفسرين ، اذن ، ذلك الغياب ؟

- هذا الغياب الظاهري هو حضور حقيقي عبر نبرة مكسورة بالحزن ، وخافتة بالعشق ، وأسيانة حتى مستوى الهمس الذي هو أعلى الأصوات أحياناً ، وحتى مستوى الصمت

الذي هو الصراخ المطلق داخل بياض الحزن المتكلس .

● **مقالاتك الصحفية اذا جمعت في كتب ، كشفت عن وجه آخر لغادة السمان ، وجه المرأة المثقفة ذات الملاحظة الدقيقة ، هل كان لهذا الوجه في رأيك ، تأثير على كتاباتك الأخرى الأدبية ؟ . بكلمات أخرى : هل ترين أن الثقافة ضرورية للابداع ؟**

ـ أرى أن الثقافة ضرورية لابداعي (أنا) ، لكنني لا أجرؤ على التعميم . فجوهر الابداع غامض ، لا يمكن القاء القبض عليه وسوقه مخفوراً الى شرطة النقد الأدبي لسؤاله عن اسم أمه ووالده وتولده ومذهبه وجنسيته ، ثم سوقه الى المختبر لتحليل عناصره أو الى المشرحة لتعداد تكاوينه جوهر الابداع هو أنه قادر دوماً على اختزان مفاجأة لنا . كل ابداع جديد، هو اضافة جديدة لمفهومنا عن الابداع .

وهكذا ، أسمح لنفسي بالحديث عن نفسي فقط ، فأقول أن الثقافة عامل هام في تفجري ، وأسمح لنفسي بالقول أنها ـ على الأقل ـ ليست مؤذية لسواي ! . . . .

● **يقول البعض أن من أسباب نجاحك الأدبي كونك انثى . . والقارىء يفتش في كتبك عن الأنثى . ما رأيك بمقولة الأدب النسائي ؟ أم أنك غير معنية بهذا الأمر ؟**

ـ بصراحة : أنا غير معنية بهذا الأمر يا صديقي العزيز ، وأقف خارج هذه اللعبة ، ولم يعد بوسعي أن أرد على طروحات كهذه بغير التثاؤب ، لأن وقعها في أذني صار يشبه نكتة عتيقة لأحد الباشاوات المنقرضين . لقد تجاوز عصرنا كلاماً كهذا ، وقد سمعته على طول سنوات وأجبت عليه بالوسائل اللغوية كلها وكان كلامي صرخة في واد . تسألني عن سبب قول البعض له ؟

السبب في عيونهم هم، لا في الكتاب وهم بذلك يتهمون القارىء والكاتب معاً . وأنا أدعو الى احترام القارىء العربي : فهو أكثر ذكاء بكثير مما يتوهمون ، وهو حين يفتش عن (امرأة) لن يفتش عنها بين دفتي كتاب ، ولن يدفع نقوده ثمناً لعمل أدبي شاق ، وهو يعرف بالضبط من أين يشتري ما يريد شراءه ! . . .

حينما يتحدث عني أحدهم كامرأة ، أشعر بأنه يرتكب حماقة تشبه حماقة من يتحسس لغماً ويبدي اعجابه (ببشرته) الناعمة الملمس !

●**ما رأيك كناقدة وصحافية في النقد الذي يتناول أعمالك ؟ نعرف أن نقاداً كثيرين تناولوا هذه الأعمال ، وغالباً بصيغة المدح . . بل ويكاد بعض النقاد يتخصصون في الكتابة عن أعمالك . فإلامَ تعزين هذا الاهتمام ؟**

ـ أنا أقوم بعملي ـ وهم يقومون بعملهم . هذا هو ـ ببساطة ـ التفسير لاهتمامهم .

لنأخذ على سبيل المثال مقالاً نقدياً كتب عني قبل فترة :

ها هو انسان مثقف هو الأستاذ عبد القادر الشاوي ، يعيش في قارة أخرى هي أفريقيا ، وفي قطر آخر من الوطن العربي هو المغرب ، ولم يتح لي شرف معرفته شخصياً ، ولكنه كتب دراسة عن روايتي « بيروت ٧٥ » ـ في مجلة « الثقافة الجديدة » المغربية العدد ١٣ ـ تقع في أربعين صفحة وتتضمن خمسين استشهاداً من نص الرواية وثمان خرائط نقدية .

ما الذي يمكن أن يكبده هذا الجهد النبيل كله والعناء الشاق غير النص ذاته ، وتفاعل أصوات هذا النص مع أصواته سلباً أو ايجاباً ؟ . . .

مثال آخر . تلقيت منذ أسابيع رسالة من مؤسسة بولونية تطلب مني توقيع عقد لترجمة روايتي « كوابيس بيروت » الى البولونية . ما الذي يمكن أن يدفع بمؤسسة لا أعرف مخلوقاً فيها ، لاختيار عمل من ٥٥٠ صفحة من القطع الكبير لترجمته وطبع ٢٠ ألف نسخة منه كطبعة أولى ؟ وإلام يمكن أن تعزو اهتمام مستشرقيهم ونقادهم بهذه الرواية ؟ وهل تظن أنه يشفع للعمل غير العمل ذاته ؟ . .

سيكون هزلياً بعد اليوم أن يتابع أحد تفسير نقادي وجمهوري انطلاقاً من أي سحر موهوم غير واقع أعمالي .

● تتنجين بكثرة . . لكنك تكادين لا تكتبين شيئاً . . فلماذا في هذه الأونة بالذات ، حيث أن المرحلة تتطلب تدخلاً من الأدباء . . هو عكس الصمت ، أم مجرد الانصراف الى النشر ؟

ـ حينما أتفجر كتابة ، تتعالى بعض الأصوات (الخائفة) على موهبتي وتطالبني بمرحلة من (انضاج) عملي الأدبي وتخزينه وتقرعني لغزارة انتاجي الذي (يتهـدد) مستوى أعمالي !

وحينما أمر بمرحلة من الانضاج والتخزين والتمثل تأتي أنت فتسألني وسواك لماذا لا أكتب ! أنا يا عزيزي أكتب باستمرار وبصورة خاصة حين لا أكتب ولا أنشر ، والأعمال الفنية هي باستمرار في داخلي بحالة صيرورة ونمو واختمار وأنا وحدي أحدد موعد (النشر) الذي يرادف في نظر العالم الخارجي (الكتابة) .

أما القول بأن المرحلة تتطلب الآن تدخلاً من الأدباء فهو قول صحيح شرط أن نتفق على أن (التدخل المطلوب) ليس ثرثرة عابرة لا تجدي ـ بل وتساهم في تتفيه القيم وتمييع المفاهيم ـ ، وإنما المطلوب باستمرار أن يكون (التدخل) فنياً ، وأن يكون مستواه

الفني على مستوى القضية التي يطرحها . ليست المهارة أن يتحول القاص الى كاتب عجالات تحت ستار ضرورات المرحلة . أن ضرورات المرحلة بالذات تتطلب من الفنان الملتزم مزيداً من ضبط النفس للالتزام بالفن أيضاً لأنه بذلك يخدم قضيته بشكل فعال وحقيقي لا بشكل عابر وآني .

هذا من حيث المبدأ . أما من حيث التفاصيل فانصرافي الموقت للنشر ليس حالة صمت . انه تعبير عملي عن موقف فكري طالما ناديت به وكافحت لأجل تحقيقه وهو تحرري الاقتصادي من أجل زيادة حرية عملي الفني . . « منشورات غادة السمان » تعني أنني استطعت بعد كفاح طويل (تنقلت خلاله بين مختلف المهن من مترجمة الى موظفة الى أستاذة جامعية محاضرة مروراً بالعمل كصحفية) استطعت التحرر تقريباً من كل قيد مادي لحروفي ـ حتى من قيد مزاج بعض رؤساء التحرير ـ فالتحرر الاقتصادي بالنسبة لي ككاتبة ، لم يكن يعني فقط أن أعيل نفسي ، ولكنه يعني أيضاً أن لا تكون لقمتي عالة على حروفي وأن لا يكون مورد رزقي سلاحاً في يد رب العمل يتحكم بوساطته في كلمتي . لا تنس أنني أؤمن بأن على المرأة أن تعيل نفسها بمعزل عن زواجها أو عدمه .

● **تكتبين الصحافة بلغة الأدب ، وتغوصين في الأدب بلغة الصحافة ورشاقتها . . في رأيك ، أي علاقة بين الصحافةوالأدب ؟**

ـ على ضوء تجربتي الشخصية ، أرى أن الصحافة للروائي كالشراب المخدر ، عليه أن يأخذ منه ضمن حدود التوهج ، دون أن يضيع صوابه بالاكثار منه .

فالصحافة ـ كما كنت أمارسها ـ قذفت بي الى البحر مع الصيادين والى عكار حيث الفقر والبؤس يكذبان المقولة اللبنانية السياحية عن (سويسرا الشرق) والى جرود الهرمل حيث القهر الطبقي يسخر من قناع الرفاهية اللبنانية في الحفلات الارستقراطية الهزلية المقامة طبعاً لصالح الجمعيات الخيرية ، أو المهرجانات السياسية التي يباع جوع الفقراء فيها على موائد المتخمين . العمل في الصحافة قذف بي خارج طبقتي لأعايش عوالم أخرى في وطني العربي وفي ذاتي مما أسهم في انضاج فني وتطويره باتجاه الانسان ، وبالمقابل استطاعت الصحافة بعشقي لهاأن تجهض بعض أعمالي الأدبية ، بمعنى أنني أثناء كتابتي لموضوع ما، كنت أمنحه من جهدي ووقتي وطاقتي ما يكفي لكتابة قصة، ـ وفي ذلك تفسير جزئي لاشارتك حول لغتي في الصحافة وفي القصة ـ والقصة (تبقى) بمعنى ما ، والتحقيق الصحفي يظل في أفضل حالاته وثيقة اجتماعية وتاريخية آنية . واليوم ، وأنا أصدر سلسلة « الأعمال غير الكاملة » ، وأنا غارقة وسط هذا الركام

الهائل من نزفي في الصحافة على طول سنوات ، أشعر بقشعريرة رعب حينما أمزق أكثر مما (أجمع) ، ومن آن الى آخر أتمزق بهلع : يا للهدر ! . . .

● يقول البعض أن ثمة في غادة السمان الكاتبة ، أديبتين : احداهما متميزة وكبيرة (هي صاحبة « كوابيس بيروت » و « بيروت ٧٥ » وغيرهما . .) والثانية عادية وعجولة (هي صاحبة « حب » و « أعلنت عليك الحب » وسواهما) . . ما رأيك في هذا الكلام ؟

ـ القراء لا يتعاطفون مع هذه الأطروحة . لقد صدر كتابي « حب » في أيلول ١٩٧٣ ، وصدرت الطبعة الرابعة منه منذ أشهر .

وصدرت الطبعة الأولى من « أعلنت عليك الحب » صيف ١٩٧٦ وقد التهم القراء منها حتى الآن خمس طبعات . أعرف أن هذا لا يثبت شيئاً ، لكنه أمر له مدلوله، ونحن لا نستطيع المرور باستخفاف أمام ارادة القارىء ما دمنا في النهاية ندعي جميعاً العمل كي يقرأ ! . . هذا طبعاً لا يجعلنا نقر بدكتاتوريته ، وبالمقابل يجب على ديكتاتورية النقاد أن تتسع بديمقراطية لمدلول اختيارات القارىء . أنا شخصياً لا أستطيع تقويم أعمالي كلها ، لكن مجرد متابعتي الكتابة ضمن خط ما ، يعني أنني لست قانعة بعد بأنني أمشي في درب مسدودة . وأنا لا أخاف من الفشل، لكنني أخاف من فقدان (الشهية التجريبية) لدى الفنان أمام مختلف الصيغ والأساليب التي قد تبدأ لديه سديمية ، وهشة أكاديمياً ، وغير قابلة للدفاع عنها وفقاً للمقولات السائدة . . . ولكن ، اذا كنا سنرتدي باستمرار القوالب الجاهزة ، هل يكون لوجودنا مبرر أكثر مما لوجود دمى واجهات عرض الثياب الجاهزة ؟

● نقلت أعمال لك الى أدوات فنية أخرى (اذاعة ـ تلفزيون وربما سينما ذات يوم) . . هل ترين أن من حقك التدخل في عملية النقل ؟ أم أنت من أنصار الرأي القائل بأن الكاتب لا تعود له صلة بعمله ما أن يصبح في كتاب ؟

ـ أرى أن من حقي التدخل ، ومن واجبي عدم التدخل .

وما أفعله عملياً عادة ، هو عدم التدخل اطلاقاً ، بعد حرصي على تسليم عملي الى يد أمينة وواعية .

لأنك لا تستطيع أن تفعل كل شيء في عمر واحد فقط !! . . .

● سؤال أخير . . ما مصير الرسائل التي يبعث بها اليك قراؤك . . والتي نعرف أنها كثيرة ؟ .

ـ بل ما مصيري أنا بها ؟ . . كل رسالة تصلني ـ أتحدث هنا طبعاً عن الرسائل التي تحمل إليَّ كاتبها كانسان ـ تسبب لي ألماً بالغاً . فالألم الذي يتحدثون عنه ليس غريباً عني ، وهم يخاطبونني لأنهم يعرفون جيداً أن قلبي بلاط الغرباء والمعذبين وأنني أميرة المتسولين على أبواب المجهول والحنان وأنني في الوقت ذاته عضو فعال في جمعية قرع أبواب القدر بغضب ! عادة ، أزيح الرسالة جانباً ، وأقرر أن أمنحها أمسية لجواب هو بمثابة معايشة حقيقية . ثم يأتي المساء ، ومعه أكداس من الالتزامات تجاه المطابع والصحف والالتزامات تجاه نزواتي وتجاه عشقي الأساسي : الكتابة والقراءة ، وهكذا ، ولأنني أريد أن (أجيب) حقاً ، لا أجيب أبداً ـ على الأغلب ـ .

هنالك مثلاً انسان قرأ عنواني منشوراً في احدى المجلات ، وكتب الي من السجن ، وأتعذب في هذه اللحظة لأنني لم أجب على رسالته حتى الآن ، وأعزي نفسي بأن أحاديثي الصحفية هي بطريقة ما رسالة لمن يعرف كيف يقرأها . . .

بصور عامة ، أكثر الرسائل التي تأتيني تتضمن شكوى من وضع اجتماعي عربي معين أو سياسي أو اقتصادي ، بالاضافة الى جوع للصداقة والود والتفهم والمشاركة . انها في نظري أحياناً صرخات ادانة لحياتنا الاجتماعية التي عجزت عن أن تحتويها وفشلت في امتصاص طاقاتها وتلبية جوعها . هنالك قراء يكتبون الي طالبين النصح في بعض شؤون حياتهم ، ولأنني أعرف أن النصح لا يجدي وكل ما يريدونه هو لحظة انصات متفهم حنون ، لذا فانني لا أنصح ، لكنني أصغي . وأشعر بأن هذه الصرخات الهائمة المعذبة تصب بطريقة ما في كتاباتي حاملة الي بعض مناخ الشخصية العربية العاطفية والمهدورة . . . وقلبي (معجم الآلام) لا (معجم الصحاح) . فأنا أعرف تماماً معاناتهم ، وجذورها الأساسية (العزلة الانسانية . الخوف من مشاعر أصيلة تعارفنا على قمعها . المعاناة أمام واقع غير عادل مادياً وفكرياً . .) لكنني في النهاية مجرد كاتبة ، وهم بحاجة الى أكثر من صوت ثائر واحد .

وأنا منذ زمن طويل أختار (قصائد) نموذجية من رسائل القراء الي واحتفظ بها ، وأتصور أنها ستكون ذات يوم مادة غنية لكتاب ما ، لا أعرف بالضبط ماهيته ، لكنني أحب أن يكون معروفاً أنني منذ الآن تناولت ممحاة الوفاء ومسحت أسماء مرسليها وعناوينهم عنها وكل ما يمكن أن يسيء الى السرية في العلاقة بين القارىء ، وكاهنه العصري ، الكاتب ! . . فالكاتب هو بطريقة ما كاهن عصر التكنولوجيا . . . .

١٣/ ١٠/ ٧٩

نواف ابو الهيجاء يستجوب

● احترم الفنان الذي يغامر ويفشل .

غادة السمان كاتبة قصة ومقالة واعمال نثرية كثيرة ، انتشرت في أوساط القراء العرب بسرعة ، تتميز بالجرأة ، وباللغة المطواعة الجميلة . كتب عنها الكثير ، وكتبت الكثير ، وهي الآن تطبع الأعمال « غير الكاملة » لها . وحين تسألها لماذا « غير الكاملة » تقول : لا تكتمل اعمالي الا بعد موتي !

كان لنا لقاء قصير معها ، وكانت هذه الاسئلة السريعة والمباشرة ، واجاباتها السريعة والمباشرة ايضاً . .

● التجربة القصصية بعد هذه الرحلة بين الشكل والمضمون ، والعلاقة الجدلية بينهما .

ـ الشكل هو جسد المضمون ، والابداع هو القدرة على احلال روح العمل في اهاب مناسب بحيث تساهم الاساليب الفنية في خلق المناخ الحي للأفكار والرؤى . حينما يتقمص (المضمون) في (الشكل) الانسب له ، تظل روح العمل خالدة .

● يقال ان هنالك ازمة تنسحب على الواقع الأدبي كما هو الواقع السياسي . رأيك ؟

ـ نعم هنالك أزمة بمعنى ما ، ولكن ذلك ظاهرة صحية لا مرضية وناتجة عن وعي جميل لدى الفنان بارتباطه ـ ولو بشكل غير مباشر ـ بقضايا السياسة ، وبان الفن هو بمعنى ما داخل السياسة ما دام داخل الحياة . من هنا أقول لك ، ان الازمة اياها ليست (ازمة) . انها ببساطة ، الواقع في صيرورته الجدلية .

● هناك المعاناة الحقيقية الصادقة ، وهناك محاولة طلق اصطناعي لحمل كاذب . هل يمكن لهذه الحالة ان تنتج ادباً او ابداعاً ذا قيمة تمتد بأثرها الى الجيل الراهن والاجيال المقبلة ؟

ـ لا بديل عن المعاناة الحقيقية الصادقة ، وهي رافد اساسي لنهر العطاء . أما الحالة الأخرى التي تحدثت عنها فهي وضع مرضي ناتج عن العقم الابداعي الممتزج مع وهم

العظمة . نماذج كهذه جديرة بالدراسة في تاريخ الأمراض العصبية ، لا في تاريخ الأدب .

● ما رأيك بالحركة النقدية العربية ، وهل انصفوك حتى حين مدحوك ؟

ـ هنالك نقاد احترم ابداعهم الذي يواكب ابداع الكاتب ، وهم ـ كما في كل زمان ومكان ـ يحصون على الأصابع . . (اصابع اليد الواحـدة)! . . أما من حيث الانصاف فقد انصفني الجميع باهتمامهم بنتاجي . وانصفني حتى الذين كرهوني وشتموني ايضاً ، فقد فعلوا ذلك بحرارة تتضمن اعترافاً صاعقاً بانني (موجودة) ! . .

● ايهما يمنحك تجربة أنجح واكثر عمقاً واثراً في نفسك . التجربة الحية أم كتاب تقرأينه ؟

ـ لا مجال للاختيار بين التجربة الحية وقراءة كتاب مبدع . لسبب بسيط هو انهما ليستا عمليتين مختلفتين ! . . فعبر الكتاب المبدع نعيش تجربة حية بمعاني الكلمة كلها . وان قراءة كتاب عظيم هي تجربة حية تطلقك من موتك اليومي وتنقلك الى مناخات وعوالم قد لا تتيح لك ظروفك الموضوعية الذهاب اليها . بهذا المعنى ، استطيع القول انني عرفت مع دويستويفسكي اكثر تجاربي عمقاً ، واحفظ له احلى الذكريات واكثرها مرارة .

● التحرر الثقافي في الوطن العربي أساسه وصول المواطن العربي الى حرياته وحقوقه الاساسية . كيف ؟

ـ لا بد من تغذية الحس الديمقراطي لدى المواطن العربي . وهكذا ، فنحن أمام علاقة ذات طبيعة متشابكة ، ففي الوقت الذي يشكو فيه الأديب من افتقاده لهذه المقومات الاساسية كمواطن ، فان من واجبه ايضاً كأديب محاولة الكفاح في درب تنمية بذور الديموقراطية في التربة العربية بشكل عام ، هذا مع الاخذ بعين الاعتبار الفروقات الشاسعة في هذا المجال بين قطر عربي واخر . . فبعض الاقطار العربية مشت خطوات جميلة رائدة في درب احترام حقوق المواطن وحرياته ، بينما تمشي اخرى بخطى حثيثة نحو جاهلية (معصرنة) ! .

● ينظرون اليك كأديبة ام كإمرأة !؟ ورأيك بالمعاملة التجزيئية .

ـ لست معنية بهذا الأمر . أنا اكتب واعمل واعيش حياتي كأي مواطن لا يشكو من الشعور بالنقص ولا بالزهو ، ولن اسمح لمواقف البعض التجزيئية باستدراجي للسقوط في فخ رد الفعل .

● هل القصة هي طريقة في القص ؟ القصة هي حكاية تتحدث عن تجربة جديدة أو

تمنح تجربة جديدة حتى حين تتحدث عن تجربة معروفة ؟ صح أم لا ؟

ـ القصة هي هذه الأمور كلها مجتمعة بالاضافة الى عنصر جديد غامض لا اسم له يفاجئنا به المبدع بمثابة اضافته الخاصة الى هذا الفن والى معلومات القراء والنقاد عنه !

● اين تضعين القصة الفلسطينية المعاصرة من مدار القصة العربية عموماً ؟

ـ لا احب التصنيفات الاقليمية في المجال الفني ، لكن ذلك لا يمنع من الاقرار بأن مأساة الشعب الفلسطيني ساهمت في تخمير مبدعيه وزادت مذاق سطورهم حدة ورهافة وشراسة . . واستشرافاً لمأساة التخاذل اذا طال ، ولاتساع نطاق جرح الذل اذا لم يُداوَ بالمقاومة والفداء .

● يزعم بعضهم ان «المغامرة» في القصة ذات نتائج سلبية على المبدع، هل هذا صحيح ؟ وكيف تنظرين الى المغامرة ؟

ـ لا أؤمن بهذا القول ، بل اؤمن بنقيضه . الابداع ليس تكراراً ببغاوياً لقواعد معروفة سلفاً ، الابداع عملية صيد فريدة في غابة المجهول والعطاء . . دون مغامرة هنالك موظف جيد في حقل كتابة ما هو معلوم ، وبالمغامرة وحدها هنالك اكتشاف لغة جديدة وكهرباء جديدة .وكما ان الصياد يعود احياناً بشباك فارغة ، كذلك يعود الفنان احياناً من مغامرته الكتابية بحصيلة ضئيلة . . لكن تكرار المحاولة وعدم اليأس واكتساب الخبرات في مجال مطاردة سمكة الابداع الذهبية هي الخطوة الأولى في درب العطاء الحق .

اني احترم الفنان الذي يغامر ويفشل ، فنحن مدينون لاولئك الرواد الأوائل في تعلم الكثير عن الخطوات اللاحقة . . ان شكسبير العظيم مدين بالكثير لمغامرة الشاعر مارلو في مجال الاداة اللغوية الجديدة في ذلك العصر : (البلانك فيرس) ـ اي الشعر الحر . لقد ورث شكسبير هذه الاداة الجاهزة وتابع تطويرها بعد ان قضى مارلو حياته مغامراً في دربها .

المغامرة في الفن ليست عملاً فردياً انانياً . انها ارث انساني ، وركضة بالمشعل في غابة الاسرار ، وكلما سقط احدنا ، تابع الآخر رحلة المعرفة اللامتناهية . .

١٦/ ٣/ ١٩٨٠

منتهى المعلم تستجوب

● **أنا أكتب القحط والسنابل .**

التمرد الانساني في الأدب العربي هو خزانة غادة السمان الغنية بأعمالها الأدبية . . . تحملك عبر طيات كتبها وتطير بك وتحلق . . . . كتاباتها تهز الكيان كله وكلماتها تنفذ إلى أغوار القلب وتستقر فيه . تتنقل معها على صفحات الكتاب ولا تتخلى في ترحالها عن كونها عربية . . . جريئة . . . تكره الاقنعة !

تقرأ غادة السمان فتسير معها برصانة وجدية من الكلمة الأولى وحتى الأخيرة بلغة أدبية رفيعة وأسلوب تعبيري حافل بالتشويق والروعة .

غادة السمان ظاهرة أدبية معاصرة لمعاناة إنسان معاصر .

كتاباتها مزيج من الصورة الشعرية والسرد النثري ، تتسلل بهدوء إلى القلب وتحتله بحسها المرهف ورؤ يتها الصافية . . . أدبها تحد . . . تحدى العالم بأسره ليشق له طريقاً إلى عالم كانت المرأة فيه مختفية . . . بالموهبة والشجاعة والجرأة وقوة الشخصية دخلت غادة الى عالم الفن والأدب . . . دخلت بقلمها وتحدت واقتحمت العقبات . . . صعقتها بشاعة سكون المرأة . . . فهي حيناً تبدو هازئة وحيناً صارخة وموجهة أصابع الاتهام للتاريخ ، للزمن ، للقدر . فريدة فيما كتبت وفيما رأت وعانت .

تكتب غادة السمان بإيمان كبير وحلم واسع . . . تكتب حتى المرارة في زمان مات فيه القلم . . . عن الحب ، تكتب ، وتكشف الحقيقة بجرأة ، بحساسية امرأة ، وموهبة شاعرة . . . أعمالها الأدبية رائدة في مجالها وتضعها في مصاف الروائيين الكبار .

● **لمن تكتبين، والعالم حولنا ينهار؟ اتكتبين انهيار العالم، ام تكتبين للافلات من الانهيار ، ام لانقاذ المجتمع من انهيار اشمل ؟**

ـ من قال ان العالم حولنا ينهار ؟ هنالك أشياء كثيرة تنهار حولنا ، لكن اكثرها ينهار لانه

كان أصلاً متداعي البنيان عتيقاً مهترئاً ، لم يعد يقوى على مواجهة الزلازل . وانا أصفق لانهيار هذا البعض ، واتطلع الى بزوغ براعم مجموعة جديدة من الرؤى والقيم . هذا ليس زمن الانهيار يا عزيزتي . انه زمن الانهيار والولادة ، زمن السقوط والطيران ، وانا اكتب الغروب والشروق واسجل القحط والسنابل . . . لماذا ؟ للأسباب كلها التي وردت في سؤالك ، مجتمعة في سلسلة جدلية متشابكة ومعقدة من الفعل ورد الفعل .

● عم تبحث غادة السمان من خلال الكتابة ؟ وهل رغباتك من العصر ام من التراث ؟ وهل انت ثورية بالمصادفة لانك عفوية من العصر ، اذن مختلفة عن بقية النساء العربيات ؟

ـ ابحث عن خلاص ما ، عن حرية ما ، عن فرح ما ، عن صفاء ما ، وفي قارة الجدب احفر التربة نصف الميتة بطرف قلمي الدقيق ، بالحماس نفسه الذي يحفر به الرجال بحثاً عن كنز ذهبي .

تسألين عما إذا كنت من العصر ام من التراث؟أقول لك بصدق: أنا بنت العصر، ولست مومياء لفظية محنطة . انا بنت هذا الزمن المزروع بالزلازل وشهقات الفرح والقنوط، لكن كوني بنت هذا العصر لا ينفي ذلك التاريخ الغابر المزروع في دمي . لا الماضي يستعبدني ، ولا الحاضر ، ولا المستقبل . لا حريتي تستعبدني ولا ذكريات دفني في الصحراء موؤودة مرات عديدة منذ مئات السنين . ولست مختلفة عن بقية النساء العربيات ، ففي دمهن جميعاً مثلي ، صهيل خيول وحشية تعشق الأفق . كل ما في الأمر انني علنية : لقد اعلنت على العالم حقيقتي !

● هل تعتبرين نفسك أديبة دخلت عالم الكتابة ، ام انسانة تغلغلت بواسطة الكتابة في المجتمع الانساني ؟

ـ لا تناقض بين الحالتين . كل منهما « تكمل » الأخرى .

● وفي أي كتاب تشعرين انك حققت بالفعل جوابك هذا ، وكيف ؟

ـ حققت ذلك في كتبي كلها ، لحظة كتابتها فقط !! قدر الفنان هو ذلك الشعور الذي يفترسني باستمرار : الشعور بعدم الانجاز ، هنالك دوماً تلك الكلمة اللعينة التي لم تقل بعد ، ومن اجلها كتبت آلاف الصفحات . . . وسأفعل ، وعبثاً افعل ! . . . فالكمال لم يخلق للبشر ، خلق لهم وهم الاكتمال في بعض اللحظات ، ومع صباح اليوم التالي يكتشف القلب انه بلغ « ذروة ما » لكنها ليست « الذروة » ، وعليه ان يتابع رحلة

الركض والجنون . . . الى ما لا نهاية . . . واذا توهم انه وصل ، فذلك ايذان ببداية السقوط .

● **اية شخصية روائية تمثلك بشكل كامل ؟**

ـ لا احد طبعاً ، لانني لم اكتب مذكراتي بعد! . . . ولكن الخطأ الذي يقع فيه البعض ، هو انهم يفتشون عني داخل بطلاتي فقط ، ويهملون ابطالي الذكور ، اني اقطن ابطالي جميعاً ، لكن ليس بينهم من هو أنا حقاً . لم اكتب بعد شيئاً يذكر عن « غادة » ، ومع ذلك يتوهم الكثيرون اني فعلت .

● **خارج كتبك ، ما هي صورة غادة السمان في مخيلتك ؟**

ـ لا افتش عن صورة غادة السمان في مخيلتي والا كنت كمن يلصق وجهه بالمرآة كي يراه ! ولا افتش عن صورتها في عيون الآخرين ، والا كنت كمن يحاول الشرب من ينابيع الوهم الفضي . . . اني موجودة في ذاتي دونما حاجة الى المخيلة او الآخرين ، فانا امرأة تجرؤ على ان تكون ذاتها في كل لحظة ، داخل الحلم وخارج المخيلة ، داخل الآخر وخارج الآخرين ! . . . .

● **هل تعتبرين ان هناك امرأة اخرى تجرأت على أن تكون امرأة في العالم العربي ؟**

ـ لا اعتقد ان فضيلتي تكمن في رذيلتي ! بعبارة اخرى لا اعتقد ان تعريفي « بامرأة تجرأت على ان تكون امرأة » هو التعريف الوافي ، فكوني امرأة هو جزء من اجزاء شخصيتي ، لكن التفسير الانثوي لا يكفي ليلم بها ، ببساطة أقول لك : انا امرأة تجرأت على الاعلان عن جوانب اخرى من الخطايا في شخصيتها ، وهذه الجوانب انسانية منها حق التفكير وحق العمل وحق الحرية . . . وحق الخطأ ! . . .

● **عند أي مستوى في الصياغة تشعرين انك تكتبين بابداع ؟ وهل تعتبرين ان جميع كتاباتك متساوية في القيمة ؟**

ـ هنالك لحظات كتابة باهرة المتعة والالتهاب ، أشعر خلالها انني انزلق فوق صفحة البحر بيسر ، وانني اتسلل الى اعماق الماء دونما ضيق في التنفس ، وانني ارتاد مغاور القاع ومتاهاتها بارتياح طفل يعود الى بيته . هذه اللحظات المرهفة الحية المتوهجة التي اكتب خلالها بينما ايقاعي النفسي متناغم مع الايقاع الكوني هي أفضل مواسمي .

وطبعاً لا اعتبر ان جميع كتاباتي متساوية في القيمة لانني ببساطة لست آلة كاتبة تطبع الحروف كلها بالطريقة ذاتها . وكجميع الأدباء والفنانين لدي اعمال جيدة ، واخرى اقل جودة ، لكنني عاجزة عن « ابداع » الرداءة ! .

● هل شعرت مرة في حياتك انك تنازلت عن اشياء اساسية حباً لاغراء سهل للقارىء ـ أو لقارىء سهل ؟

ـ طالما تنازلت عن أشياء اساسية في حياتي ولكن ، من أجل الكتابة ، لكنني لم اتنازل يوماً عن حرف في صدري . كل التنازلات التي حدث وقدمتها كانت على حساب حياتي الشخصية وكانت لصالح أن أقول ما أرغب في قوله : اي لصالح كتابتي . بعض الذين احببتهم تنازلت عنهم لمختبراتي الجهنمية ، وحولتهم الى فئران اختبار من اجل معرفة المزيد عن الطبيعة البشرية . بعض الذين كرهتهم التصقت بهم زمناً ما ، لانني وجدت فيهم كنزاً كتابياً يستحق التأمل .

اني اتنازل عن أي شيء حباً بالحرف الصعب والاغراء المستحيل ! . . .

● كيف غادة السمان بعد هذا الرحيل الطويل تختصر غادة السمان ؟

ـ محاولة زرع وردة وسنبلة في قلب الصخر الأصم . محاولة اعتقال لحظة هاربة ، ومرافىء قديمة راحلة ، فالجسد يا عزيزتي حقيبة سفر ، والحرف وحده يبقى .

ايلول / ١٩٨٠

مراسل الثورة السورية يستجوب

● الفشـل مؤلم ، لكن « الجمود » المذعور اكثر إيلاماً .

● الطبعة الثانية « الجسد حقيبة سفر » . انه كتاب ضخم الحجم (٥٢٠ صفحة) وبالتالي مرتفع الثمن . بماذا تفسرين اقبال الناس على شرائه ؟

ـ هذا الكتاب يجسد حلم الرحيل ، ويمزقه في آن معاً . انه يمنح الناس حلم التجوال : عبره يرحلون معي الى أماكن نائية طالما اشتهوا التسكع في ضبابها وركوب قطاراتها وتأمل نسائها الخرافيات الطالعات من غابات النشوة . . ولكنه يمزق الحلم ايضاً . . . فكل تشرد في الخارج يقود الانسان الواعي الى المزيد من الالتصاق بجذوره وقومه. اننا لا نرحل حقاً أبداً ، فكل سفر يحمل في طياته رحلة سرية يقوم بها الانسان الى اعماقه ، ويرى وجه الوطن يطل عليه في كل لحظة وفي كل مرآة ، متألقاً بضراوة وجاذبية لا تقاومان .

يا صديقي ، الجسد حقيبة سفر اما القلب فلا . . والقلب مهما ركب طائرات الحلم الورقية الملونة يظل مسكوناً بالوطن لانه « لا سفن هناك تجليك عن نفسك » .

● صدر لك أيضاً « صفارة انذار داخل رأسي » ، الجزء التاسع من ـ الأعمال غير الكاملة ـ ،فهل انجزت هذه السلسلة ؟

ـ تقريباً . فقد انجزت ما كنت اود اصداره الآن ، وفي المطبعة الجزء الأخير ـ الحب من الوريد الى الوريد ـ . ما تبقى من كتب السلسلة (كتابان) ، كنت انوي تأجيل صدورهما الى ما بعد لكنني بدلت رأيي ، وسانجزهما باكملها الآن . لماذا ؟ لانني اريد ان أطوي صفحة ـ الاعمال غير الكاملة ـ . وأبدأ عملاً آخر .

● تبدين وكأنك على عتبة مشروع جديد . رحيل جديد . هذه اللهفة لانجاز مرحلة . . . الاعمال غير الكاملة . . كأنها تحمل في طياتها مخططاً ما .

ـ هذا صحيح .

مشروعي الذي يؤرقني منذ اشهر هو كتابة رواية . وداعاً ايتها الصحافة . . . وداعاً ايها السفر . .

صباح الخير يا حقول الورق البيض ، نمزق بعضها ، نزرع في بعضها الآخر بذور الأفكار حروفاً ونسقيها بالصدق ودمع القلب ودم العين علها تنمو وتدب الحياة في أوصال ابجديتها .

● هل افهم من ذلك انك ستتوقفين عن الكتابة في الصحافة التي بدأتها منذ أشهر .

ـ نعم . سأتوقف عن الكتابة في الصحافة ـ مؤقتاً ـ لان كتابة الرواية تتطلب تفرغاً كاملاً . وسأبدأ العمل على روايتي قريباً .

● تبدين شديدة الثقة بروايتك التي (تقدمين) عليها ، وها انت تفلتين بكل شيء من اجلها .

ـ اني شديدة الثقة بانني سأحاول . . واذا فشلت فانه لن يكون أول فشل اعانيه . هنالك عشرات القصص التي حاولت كتابتها ، بل وفعلت ، فجاءت على غير ما اشتهي ، وكان لا بد من القذف بها الى سلة المهملات بدلاً من المطبعة .

كل قصة نحاول كتابتها ونفشل هي دراما سرية صغيرة ، لا يعرف القارىء عنها شيئاً .

ولادة القصة مجهضة ، هي مأساة صامتة للكاتب ، يقف امامها كما يقف الأب امام طفله المجهض الذي لم تكتب له الحياة . لكن خوف الفنان من الفشل يجب الا يحول بينه وبين (المحاولة) .

ان الفشل مؤلم حقاً ، لكن الجمود اكثر ايلاماً في نظري ، وهكذا ، انا في طريقي الى صومعتي من جديد ، لاحاول كتابة روايتي ، أي لاخرج من رمادي مرة جديدة ، أو لأموت ميتة اخرى من ميتاتي العديدة !

٢٢/ ٧/ ١٩٨١

مراسل جريدة البيان الظبيانية يستجوب

● عبقر القصة لا يهبط عليّ وانما أهبط عليه .

● ليس كمثل غادة السمان من سبر غور النفس البشرية ، وفضح التناقضات الرئيسية في المجتمع العربي . وخاصة ما يتعلق بالمرأة العربية التي أثقلتها التقاليد والعادات ، فأبعدتها عن دورها الى حد ما ، وباعدت بينها وبين مهمتها في بناء المجتمع .

وغادة السمان ، التي عاشت التجربة بحسها المرهف ، وشفافية رؤيتها ، وعمق احساسها ، استطاعت أن تضع النقاط على الحروف ، فأضاءت ليل النفس البشرية العربية ، وقادت الكثيرات من بنات جنسها الى المقدمة ، لتترك بصماتها في الرواية العربية ، بما ملكته من رؤية أنضجتها التجربة فكانت بواقعيتها تميط اللثام عن كل ما حال بين المرأة ودورها الطليعي ، وكانت بتجربتها الذاتية تعكس حالات المجتمع العربي ، وبذلك طوعت الكلمة لتكون مرآة الواقع ، وفوانيس في درب الحياة العربية المظلمة أملاً في الوصول الى مستقبل مشرق .

وليس حوار « البيان » مع غادة السمان اضافة جديدة لواقع الحركة الأدبية العربية فحسب بقدر ما هو محاولة لفهم التطور في التقنية الفكرية التي تنفرد بها غادة للوقوف على واقع يكتنفه الغموض ومحاولة لمعرفة الى أين تسير السفينة الأدبية العربية. ومن هنا كان الحوار . . .

● اعتبر العرب أن للشعراء عبقرهم فهل للقاص عبقره أيضاً ؟

ـ نعم . للقاص أيضاً عبقره . لي أنا ـ على الأقل ـ عبقري . وهو حين يخطو وئيداً كندف الثلج فوق جسور النفس ، يحمل معه لحظات اضاءة مفاجئة ، وتستولي على روحي فرحة القدرة على ممارسة وعي كوني من نوع خاص ، شاسع ومتواضع في آن واحد ، كأنني أخلف ورائي التفاصيل اليومية العابرة مكومة فوق ثيابي وجسدي ، لينبثق

مني كائن هو أيضاً « انا » وقد امتلك قدرة على التحليق ورؤ ية الأشياء من بعيد بوضوح أكثر . . انه احساس مرهف وواخز وشبيه بالطيران نحو منبع الضوء في نهر نوراني يقود الى جوهر الحقيقة المشع والمحرق .

ولكن علاقتي « بعبقري » تختلف بعض الشيء عن علاقة الشعراء التقليدية به . فهو لا يهبط علي وإنما أنا التي « أهبط عليه » . بالعمل وبالقراءة وبالتأمل في شؤون الحياة وبالصبر وبالارادة وباليقين أنقب عن « عبقري » وأسوقه مخفوراً بالرغبة في العطاء أزرع أنفاسه فوق سطوري لتنمو زيتونة مباركة ، اسكب فيها عصارة روحي وجهدي عسى زيتها يضيء ويكون فيها ما ينفع الناس ويمكث في الأرض .

و«عبقري» لا يسكن أودية الوهم، ولذا فأنا لا أهيم على وجهي بحثاً عنه، يخيل الي أنه يقطن في أعماقي ، وبالمران والممارسة يصير بوسعي استحضاره من ذاتي التي هو بعضها واستحضار العبقر يختلف عن « استحضار الأرواح » .

فالعبقر في نظري ليس روحاً خارجية شاردة . انه من بعض الروح المبدعة . وهو بمثابة قرين لها ، وبالعمل الجاد والايمان بالقيم الانسانية وبالثقافة والصدق يتم استحضار العبقر من الداخل ، لا بالبخور والهذيان وفقدان التوازن والفوضى السلوكية تحت ستار هبوط « السيد عبقر » . .

● ما رأيك بواقع القصة العربية المعاصرة ؟

ـ ككاتبة قصة أقول لك أن القصة العربية سجلت في الأعوام العشرة الأخيرة مكاسب تقربها من العالمية فقد انتهت صدمة المؤثرات الغربية أسلوباً وشكلاً ومضموناً ـ على القصة العربية وتمت مرحلة التمثل الواعي ، وعاد الأديب العربي يستلهم واقعه وتراثه مزوداً بالخبرات العامة التي منحته اياها الترجمات أو الاطلاع المباشر على منجزات الشعوب الأخرى . لقد انحسرت الموجة الوجودية الفضفاضة المستوردة ، كما انحسر التقليد الببغائي للأسلاف ، وبدأ مناخ صحي يتكون حول القصة العربية كالرحم ، فيه وعي بالعصر ، ووعي مباشر بمآسي وطننا العربي والتصاق الفن الحتمي ، بها ، بالاضافة الى هضم تجارب مبدعي الشعوب الأخرى في عالم الفن . أما كمواطنة ، فأنا أقول لك أن عقبات جمة تعترض مسيرة كاتب القصة العربي أهمها الموقف الرسمي لبعض البلدان العربية من حرية الفكر وابتعاد الممارسات الديمقراطية عن ساحة الكتاب العربي . ولا أذيع سراً حين أقول بصراحة أن بعض البلدان التي ترفع شعارات (ثورية) ما تزال تتعامل والكتاب العربي بأساليب « جاهلية » من حيث القمع .

كقارئة ، أقول لك أن القصة العربية تفتقر الى القصة الساخرة والى روح النكتة اللاذعة التي كانت للأجداد ولا أدري ماذا فعل بها الأحفاد ، (أم زمننا المتفجر الكئيب) ؟

ونحن أيضاً نفتقر الى أدب الرعب الرفيع والقصة البوليسية ذات المستوى الجيد ونفتقر أيضاً الى القصة العلمية الخرافية التي تطلق الخيال وتحرر الروح . هنالك لحظات ، أشعر فيها كقارئة أنني « سئمت تكاليف الحياة » وأنني مرهقة ولا أريد قصة تفجر احزاني أو وعيي القومي أو الطبقي أو السياسي وأنني ككل البشر بحاجة الى اجازة فكرية سريعة كي أكون بعدها قادرة على ممارسة مسؤوليتي كمواطنة قومياً وسياسياً ونضالياً . في لحظات كهذه أشعر بالحاجة الى قصة علمية خرافية مثلاً تطير بي بعيداً الى عوالم من الخيال المبدع دون أن تهدر وقتي ما دامت تشحنني على صعيد الحلم واتساع الأفق الكوني ـ وهنالك مرات يصم فيه أذني الايقاع الحاد لنبرة عصرنا العربي المتخم بالمآسي والواعظين وأشعر بالحاجة الى أن أسمع نبرة جديدة ، نبرة ساخرة مقهقهة مختلفة قد أضحك لها من قلبي أثناء قراءتها دون أن يحول ذلك بيني وبين اكتشاف مرارة الحقيقة فيها فيما بعد .

من أجل قراءات كهذه وسواها أجدني باستمرار الجأ الى المكتبة الأجنبية لاشباع حاجتي اليها وكقارئة الفت نظر كتّاب الجيل الجديد الى هذه الحقول الفكرية البكر في أدبنا العربي المعاصر وأؤكد أنها ليست أدنى كعباً ومنزلة من سواها ، شرط أن تتضمن شحنات ابداعية فذة .

● **ما هي متاعبك التي واجهتها في الماضي ككاتبة والتي تواجهينها الآن ؟**

ـ في البداية واجهت المتاعب التي يواجهها (الكاتب الناشىء) واليوم أواجه المتاعب التي يواجهها (الكاتب غير الناشىء) !

بعبارة أخرى ، المتاعب ترافق الانسان باستمرار كل ما في الأمر هو أن طبيعتها تتبدل وفقاً لتطوره ولكنها لا تنتهي الا مع انتهاء الحياة . المتاعب في نظري هي امتداد طبيعي للحياة وللعمل كما انتشار دوائر الماء حول مكان سقوط الحصى في البحيرة . المتاعب هي الوجه الآخر للحركة والعمل ومن لا يتحرك لا يلقى المصاعب وكلما كان الطموح للتحليق أكبر كلما تزايدت مقاومة الريح . من الصعب أن أحصي المتاعب التي واجهتها بالتفصيل الا اذا كان في نيتكم اصدار ملحق موسوعي لها لأن صفحاتكم قد لا تتسع لها . ولكنني أذكر وأستطيع (فهرستها) وتبويبها في فصلين :

١ ـ متاعب مع العالم الخارجي :
أ ـ الرؤ يا الاجتماعية القاصرة لمهنة « الكاتبة » .
ب ـ العلاقة الهزلية بين الكاتب وبعض الدخلاء على ملكوت الأبجدية في الصحافة والدفتر .
ج ـ العلاقة بين الكاتب وبعض « السلطة » .
د ـ العلاقة بين الكاتب وحلقته الاجتماعية ، وحاجته للهرب من كرنفالات الطقوس والعقوبات المترتبة على سلوكه « غير اللائق » ، من حيث تقديم فروض الولاء والطاعة في المناسبات (غير المناسبة) غالباً لتوقيت كتابته وابداعه .
٢ ـ متاعب الكاتب مع عالمه الداخلي وصراعه مع ذاته من أجل تجاوزها ومحاولته باستمرار عطاء الأفضل والأجود . أنا شخصياً لا ترهقني المتاعب الخارجية (رقم ١) . أما المتاعب الداخلية مع ذاتي (رقم ٢) فهي مأساتي الحقيقية . العالم الخارجي لا يملك لي الكثير بتهديده أو وعيده ، بترغيبه وترهيبه ، فالجحيم الحقيقي يقع في داخلنا .

عذابي الأساسي والأول هو في اقتناص ذلك الطائر الذهبي المسمى بالابداع . ورحلتي في تلك الغابة المسحورة والحقيقية التراب (غابة الابداع) هي هاجسي الأول، ومعركتي فيها هي وحدها معركتي الأصلية والجوهرية والحقيقية لأنه فيها بعد كل شيء سوف ينقضي ، وكلمات التقريظ والثناء ستتلاشى كما كلمات التأنيب والتعريض بي . كل شيء سوف يتساقط أنا والذيـن كرهوني والذين أحبوني . الكلمة وحدها هي التي تبقى ، والشرط الأساسي لبقائها هو أن تكون مبدعة في ذاتها . التحدي الأساسي الذي يواجهه الكاتب هو مع الكلمة وحدها حليفه وخصمه ، ووحدها أسيرته وآسرته ، ووحدها تحفظه أو تقتله .

● كل الكتّاب وخاصة كتّاب الجيل الجديد يدعون وصلاً بالابداع ، حتى صارت كلمة « الإبداع » غير منضبطة . في رأيك ما هي الشروط التي يجب أن تتوافر في العمل الروائي الحقيقي ؟

ـ في رأيي أن للابداع شرطه الخاص السري . أنه يكون أو لا يكون . فأنا مثلاً لا أستطيع أن أحدد شروطاً مسبقة (يجب) أن تتوافر في المبدع في أي حقل من حقول الابداع بما في ذلك الرواية لأن الشواهد التاريخية تدحض محاولات كهذه بأمثلة حية منافية لها .

لا أستطيع أن أشترط على المبدع أن يكون خلوقاً متمتعاً بمكارم الأخلاق ، اذ

كيف أفسر ابداع أوسكار وايلد ورامبو والتهم الشائنة التي أدينا بها من قبل مجتمعهما ؟ ولا أستطيع أن أشترط ، على المبدع حمل شهادة جامعية لأن شكسبير العظيم بتحصيله العلمي المتوسط يمد لنا لسانه في هذه الحالة ساخراً . ولا أستطيع أن أشترط الحياة المنظمة شرطاً للابداع ولا العكس أيضاً . بعبارة أخرى ، كل مبدع هو حالة قائمة بذاتها وكوكب خاص وهو (فرادة) تمشي على قدميها وتسعى بيننا وتدهشنا بتوازنها الداخلي الخفي . اذن بصورة عامة ، الشروط الوحيدة التي يجب أن تتوافر في الروائي الناجح تنحصر في شرط واحد هو « الابداع » ولكل دربه ووسائله .

أما أنا شخصياً ، فأؤمن بالثقافة والعلم وسعة الاطلاع ومعرفة التراث والالمام بالأدب العالمي قديمه وحديثه كشرط لابداعي الخاص ترافقه شروط أخرى كثيرة منها الالتحام بواقع الوطن وعدم الاغتراب عن تطلعات جماهيره وجعل الاقتراب من الحقيقة التي هي الخير والحق والجمال غاية في حد ذاتها .

● **هل كان للنقد تأثير في حياتك الأدبية ؟**

ـ نعم ، ولا . وغالباً لا .

النقد الرديء عزز ايماني ببوصلتي الداخلية وعلمني منذ صغري اتخاذ القرارات فيما يتعلق بفني وحمل المسؤولية التي هي الوجه الآخر لعملة الحرية . . وساهم في إطلاقي العنان لثقتي بنفسي .

بهذا المعنى ، قد يكون النقد الرديء ساهم في تكوين شخصيتي الفنية بشكل ايجابي دون أن يرمي الى ذلك طبعاً ـ ربما أكثر مما فعل النقد الجيد ! !

٩/٣/ ١٩٨١

أحمد فرحات يستجوب

● حسن النية لا يصنع أدباً .

● غادة السمان أشهر من أن نعرفها ببضع كلمات . « انها مالئة الدنيا وشاغلة الناس » على حد تعبير أحد النقاد الذي أحب أن يسحب هذا القول الشهير في « المتنبي » ويكرره اطلاقاً عليها . تحس وأنت تقرأها أنها جديدة على الدوام . جديدة تستبق حتى حلمها في حركة شوق نحو الأبعد . هاجسها المزمن كسر هيبة الواقع المتكلس و«خربطة » مسار هذا الزمن العربي البطيء . وفي ثورتها على المرحلة والواقع لا تخضع غادة سوى لمنبهات المنطق الحضاري الأصيل الذي يرفض أي تبعية أو ارتهان لأقيسة مجتمع آخر . انما هو نفسه ينطلق من خصوصيته المحلية لاجتراح عالم الصبوة الانسانية المشتركة .

غادة لا ترفض واقعها رفضاً قاطعاً حتى النكران (كما يحلو للبعض أن يقول) بقدر ما تتعاطى مع موجبات هذا الواقع ، وبدينامية لا تقنط ، من أجل رسم أسس مطلاته المستقبلية الصحيحة .

ولا أدري ، في كل مرة التقي بنصوصها ، لماذا أتذكر هذا القول لأندريه مالرو : « أن الفرد يعارض المجموع ولكنه يتغذى منه . والمهم معرفة مصدر غذائه أكثر من معرفة ماذا يعارض . . فالأفكار لم تخلق لكي نتأملها بل لنحياها » .

أجل . . غادة السمان تخلق أفكارها وتحياها بوصفها حرية تغري أخيلة المتفردين ، ولا تذوب في سلطان الخارج المفصح . ولعل أكثر ما يهز غادة في العمق هو هذا التصنيف الذي كرسته وتكرسه هيمنة الرجل « المفترضة تاريخياً » على المرأة ، وخصوصاً حين يمتد الأمر صوب جهات الابداع ، حيث الرجل الكاتب يعتبر أيضاً المرأة المفكرة أو الكاتبة تابعة له . . كأنها من صنف بيولوجي متدن . . . . ففي منظورها أن الذي يجمع بين مختلف الكتاب ، سواء كانوا رجالاً أم نساء ، هو الابداع ، لا الجنس

البيولوجي . وحينما نلتقي بالابداع تأتي الخصوصية وينتفي التعميم .

● **بعد هذا الخوض الطويل في جهات الابداع أسألك : لماذا الكتابة ؟ والى أين تقودك ؟**

ـ « لماذا الكتابة ؟ والى أين تقودك ؟ » . . أكرر استفسارك هذا مرات عديدة ، وأدهش . انه لأمر عادي أن يسألني ذلك مدير بنك أو مهرب ماس أو تاجر أسلحة أو قبضاي أو ملاكم أو مدير لمستشفى للمجانين أو رئيس قسم صيانة الطائرات أو رئيس مجلس ادارة معمل الأحذية ، أو أوناسيس أو ابنته . . . . . أما أنت ، أنت رفيق القلم الذي دورته الدموية حبر ووسادته محشوة بالحروف والقلق لا بالريش ، أنت الذي جلده الدهشة وأيامه التشرد بحثاً عن كلمة جديدة وعقب سيجارة . . أنت تسألني : لماذا الكتابة ؟ . . . ثم أنك تعرف أننا ، أنت وأنا وكل الذين ابتلاهم القدر بجرثومة الحرف ـ لا نملك جواباً نهائياً واضحاً ، وإننا ككل المدمنين لم نعد نتذكر كيف أدمنا الحرف حتى أدمانا ، وكل ما نعرفه هو أن هذا الأمر قد وقع لنا وأن الكتابة هي نهر اللاعودة . . .

انك كمن تسأل مصلوباً عن رأيه في اخشاب صليبه ، والوان مساميره . . وشعوره نحو المطرقة . . . .

باختصار : لم أعد أذكر كيف بدأ ذلك الجنون بالضبط ، وفات أوان التساؤ ل « الى أين » . . . ككل الصعاليك الأصليين : سأمعن خوضاً في جهات الموت المتعددة ، حيث مقالع الكلمات الجديدة ورخامها الحي الدافىء كجسد طفل ولد للتو .

● **هل من سقف اعتباري ضمني تضعينه أثناء عملية الكتابة . . القارىء الذكي مثلاً . . الناقد . . الرضا الشخصي عن العمل . . الى آخره ؟**

ـ أثناء عملية الكتابة ، يغادرني القارىء والناقد والممول ورب العمل ورفاق المقهى . . تغادرني الرياح والغابات والأسماك والديناصورات وشرطة الأخلاق ورائحة الطبخ وأسلوب « سيكام » و « بال » وانهيارات دواليب السيارات فوق رأس محشو بالمسامير والتفاصيل وقرقرة النراجيل . . . أثناء عملية الكتابة أخرج من داخلي وقد اغتسلت بأمطار الفرح وصحـو الحزن ، صلبة ونائية مثل غواصة أسطورية انشقت عنها محيطات سرابية غامضة .

أثناء عملية الكتابة أغادر المدارات المألوفة ، أغادر مدار الخوف ومدار العذوبة ومدار الجدي المطيع ، وأدخل في مدار الحقيقة الناري ، أياً كان الثمن . . . .

(ملاحظة : أعدت سماع اجابتي السابقة ، ووجدتني أتساءل من جديد : هل هذا صحيح حقاً ؟ هل هذا ممكن حقاً ؟ هل سجلت واقعي أم حلمي ؟ يؤكد صوت من الأصوات الكثيرة في داخلي : نعم . هذا صحيح . يتدخل صوت آخر أكثر اعتدالاً وتعقلاً ويقول : حتى حينما يتوهم الفنان أنه طرد القارىء والناقد من داخله يكون واهماً . فالقارىء يسكن داخل الكاتب ، ويصير من بعضه . الكاتب والقارىء والناقد يشكلون وحدة عضوية بمعنى ما ، فالكل حصيلة مجتمع واحد وهموم واحدة ، فكيف يطرد الكاتب ناقده وقارئه وهما من بعض ذاته ؟ انه قادر على التخلص من رقابتهما المباشرة لكنه عاجز عن كسر انتمائه اليهما بمعنى ما) . سألتني أيضاً عن « الرضا الشخصي » ؟ لا مشكلة مع الرضا الشخصي . انه باستمرار مفقود . ذهب ولم يعد . قد تجد ذات يوم نداء للبحث عنه في صفحة الاعلانات بالصحف الى جانب تلك الصرخات الباحثة عن كلب لطيف مفقود أو قط سيامي أزرق العينين ذهب ولم يعد . . .

● **إذا كان عصرنا هو عصر ازدواجية الانسان . . . فالكاتب بطبعه مزدوج قبل أي انسان آخر . حسناً ، كيف تعيشين حالة الازدواج هذه ، وهل تعتقدين أنها دائمة دوام حالاتك الحياتية ؟**

ـ الكاتب ليس مزدوجاً . انه متعدد الشخصيات . . . انه مجموعة من الناس وقد حشروا في جسد واحد . أولئك الناس الذين هم أنا تجمع بينهم صفات مشتركة متعددة أبرزها : ادمان فعل الكتابة . . ادمان حب الحياة . . عدم الخوف من استعمال الحواس المعروفة واستمرار البحث عن بقية الحواس المنسية أو المهجورة أو غير المكتشفة. . . الصلح مع الجسد وتفهم حاجاته ببساطة بدائية . . الصلح مع الألم ، والطاقة على احتمال وجع (الأسنان النفسية) . . . منذ أيام سألتني صديقة : حينما يسبب لك صديق ألماً ، أو يغدر بك ماذا تفعلين ؟ قلت لها : أتثاءب . حينما يطعنني صديق أتثاءب، فقد ألفت ذلك حتى الضجر، ولم يعد يثير في نفسي غير الحس بالتكرار. . . وحينما يتصرف صديق بشكل مغاير ، أي حينما ، يتصرف (صديق) كما لو كان صديقاً ، باخلاص ومحبة ، أصاب بصدمة عصبية لشدة دهشتي وذهولي وأرتبك وأتلعثم وأغص ، وأكاد أتذكر البكاء . . .

● **يرى البعض أنه مع تقديرنا للمساهمة التي تقدمها المرأة الكاتبة في كشف زيف علاقاتنا الاجتماعية الكابحة والخانقة لانطلاقات انساننا . . الا أنها قامت الى الآن**

بكشف هذه العيوب ، ولم تتخطّهـا الى تصور البدائل . . . لا بل ان محاولاتها في عملية تصور البدائل كثيراً ما جاءت متسرعة وغير واعية للشروط الاجتماعية والبورجوازية والتاريخية الاستعمارية . وكثيراً ما استقبلت الوقائع الغربية كحقيقة مطلقة أوصلتها الى السقوط في الرومانسية والعدمية بشتى تشعباتها . . . بماذا تعلقين ؟

- أعلق الصبر على المشجب الى جانبي وأقول لك : ها نحن أمام استفسار يشبه القطة : انه يخفي مخالبه بالتسلل من تحت ريشه الناعم . . .

لنشرح السؤال مخلباً بعد الآخر . !نه يتضمن مجموعة من الأطروحات التي لا يمكن نقلها ببساطة الى مرتبة الحقيقة الأكيدة أو المسلمات .

١ - المرأة الكاتبة لا ؟ ن تلخيص عطائها بـ « المساهمة في كشف الزيف » ، كما أنه ليس مطلوبـاً منها أو من أي فنان آخـر القيام بمهمـة التنظير السياسي ومنح « البدائل » . . ان أكثر (الملتزمين) تشددا ما زالوا يقرون بالفرق بين مهمة نابليون وشكسبير مثلاً .

٢ - يقول السؤال : « مع تقديرنا للمساهمة التي تقدمها المرأة . . الخ » والسؤال الذي يطرح نفسه : الام يعود الضمير في كلمة « تقديرنا » ؟ من هو السيد « نا » ، الناقد الذي يتحدث عن المرأة الكاتبة من سدرته كما لو كانت فصيلة حيوانية لها خصائصها التي تـم تكريسها في مختبرات بعض علماء النقد ؟ ولماذا يكرس الناقد السيد « نا » وجود أدب ، له خصائص مختلفة دونية تكتبه النساء ، وأدب فوقي تكتبه فصيلة بيولوجية أخرى أكثر تفوقاً هي فصيلة الرجال ؟

٣- لا يمكن الكلام عن الفن في نظري من وجهة نظر تعميمية . كل فنان هو عالم قائم بذاته . بعبارة أخرى : من الظلم التحدث عن الأدب الذي يكتبه الرجال بوجه عام أو الذي تكتبه النساء . الذي يمكن أن يجمع بين مختلف الكتاب هو الابداع ، لا الجنس البيولوجي . وحينما نلتقي بالابداع تأتي الخصوصية وينتفي التعميم . وحينما لا نلتقي بالابداع ، تنتفي الحاجة الى التنظير .

● كتب أحد النقاد يقول : اذا أبحنا لأنفسنا اللجوء الى لغة الثنائيات المتوارثة - والمرذولة - قلنا أن الرجل يكتب الرواية بعقله ، أما المرأة فتكتبها بقلبها . . وعلى شيء من هذا الأساس ، فالرجل في الرواية يعيد بناء العالم ، أما المرأة فالرواية عندها ثورة أحاسيس . . نطلب التعليق .

- « لغة الثنائيات المتوارثة - والمرذولة - » التي وصف الناقد بها نفسه بنفسه لن تقودنا الا

إلى المزيد من المفاهيم المتوارثة والمرذولة . . . ونحن أحوج ما نكون اليوم الى تأسيس رؤ ية غير متوارثة ولا مرذولة نحو جوانب حياتنا كلها . . . والواقع أن هذا القول ليس كما وصفه صاحبه (مرذول) بقدر ما هو طريف . . وانطلاقاً منه نستطيع اتهام الرجال الذين يكتبون أدباً عاطفياً في رجولتهم . بعبارة أخرى ، أكثر الذين يكتبون أدباً رديئاً هم من الرجال ، فهل نتهمهم في رجولتهم أم نقول ببساطة : أكثر كتاب « الأدب النسائي » هم من الرجال ؟ . . .

وإذا كتبت احداهن عملاً أدبياً مبدعاً ، فهل يعني ذلك أنها مصابة بخلل هرموني وعليها مراجعة طبيب تبديل الأجناس ؟ . . . ألا ترى معي يا صديقي أنه حان الوقت لدراسة الأدب من منظور غير جنسي بعيد عن التمييز العنصري ؟

● هل تميلين الى الرأي القائل أن الرواية من حيث هي حكاية نثرية تنتظر تحولاً شاملاً . وبقدر ما هي تبتغي أن تبرز ذاتها من حيث هي فن ، عليها أن تتحول الى الشعرية ، لأنه في الأساس لا يوجد فارق بين الفن النثري والفن الشعري . هناك فقط فن كلامي واحد هو الشعرية ؟

ـ أميل الى القول أن الرواية فن مفتوح للاتجاهات كلها . . والابداع هو باستمرار زلزال لا يستطيع الناقد رصده الا بعد حدوثه . كل نظرية نقدية يأتي مبدع فينسفها أو يطورها . . هنالك نظريات نقدية جميلة فكرياً مثل عمارة مدهشة ، وفجأة يأتي المبدع ، وبجرة قلم أو حجر ، تتداعى العمارة، أو تتعايش وغمط آخر من البناء الفني يذهلنا بجديده وبساطته . . . لقد علمتني دراستي لتاريخ النقد أن لا شيء نهائياً في الفن . . لا اتجاه واحداً . . . مع الرواية كل التجارب مباحة ، بما في ذلك حق الخطأ والرداءة . . .

● ما تعليقك على النتاج الأدبي الذي ظهر أثناء المحنة اللبنانية و « بعدها » ؟

ـ لا أميل الى رصد الظواهر الفنية بالجملة . هذا أولاً . وكما ذكرت لك ، أؤ من بأن كل مبدع يستحق رصداً خاصاً به كما النجم .

ثم أنني لا أميل الى رصد الظواهر الأدبية من منظار أحداث سياسية . . . العمل المبدع يخلع عن نفسه ثوب الحدث الآني ، فيزداد مع الزمن تألقاً كوثيقة انسانية ابداعية تبقى . .

وهكذا لا يوجد في نظري ما يدعى بـ « النتاج الأدبي الذي ظهر أثناء المحنة اللبنانية » . أتعامل باستمرار مع الجوهر . هنالك أعمال مبدعة ظهرت في السنوات الأخيرة وهنالك أعمال رديئة ، وهذا يحدث في كل زمان ومكان . . . كل ما في الأمر هو

أن (الرداءة) ترتدي قناع الحدث السائد أو تحاول ركوب الموجة السياسية التي تصادف وقوعها . . . لكن ذلك لا ينفي عنها تهمة الرداءة (الابداعية) وان كان يشفع لتوظيفها آنياً في خانة أدوات الحملات السياسية . ان حسن النية لا يصنع أدباً جيداً ، والوطنية ليست مرادفة للشعر المبدع ، لكن توظيف أشباه المبدعين في أمور دعائية فكرية ليس أمراً رديئاً جداً . . كل ما في الأمر أنه يجعل مهمة فصل المبدع الأصيل عن (راكب الموجة) تتأخر زمنياً بعض الوقت .

● **ألا تعتقدين أن الحديث باستمرار عن الأزمة في الرواية هو أزمة بحد ذاته ؟**

ـ نعم ، ولا . حينما يكون الحديث مبدعاً ، ويكون الناقد واعياً لعملية الخُلق من الداخل ، وقادراً على مواكبة الفنان ، يصير الحديث محرضاً ومجدياً وخلاقاً . . .

أما حين يكون سبب الحديث عن أزمة الرواية هو أزمة فراغ لدى الناقد ، حينئذ يصير الحوار لعبة تنس فكرية ، وتتحول الكلمات الى فقاعات وقطع من اللبان ، يلوكها الناقد الضجران حتى يداهمه النعاس فينام مشكوراً . . .

١٣/ ١/ ١٩٨٢

جوزف كيروز يستجوب

● أنا دمعة العين ، لا المخرز .

تنفرد غادة السمان ، من بين الكتاب والكاتبات العرب ، بطاقة انتاجية مذهلة . فبعدما انتهت من نشر « الأعمال غير الكاملة » في اثني عشر جزءاً ، ها هي مزمعة على اصدار رواية جديدة لها .

وإذا كانت « القبيلة استجوبت القتيلة » طويلاً ، (القبيلة تستجوب القتيلة) ، عنوان الجزء الأخير من اعمالها غير الكاملة . والمقصود بالقبيلة : جمهرة الكتاب والصحافيين الذين أجروا أحاديث وحوارات مع غادة ، فإن « الرأي العام » شاءت ان تتوجه الى الكاتبة الكبيرة بأسئلة لم يسبق «للقبيلة » - على كثرتها - ان توجهت بمثلها .

لذا ، فإن هذا الحوار يكتنز نبض غادة الاصيل . هذا النبض المفاجىء بعصبيته وتوتره . وفيه غير علامة من علامات مؤلفة « رحيل المرافىء القديمة » ، بإنسانيتها الشفافة ، وإطلالتها المحببة ، وعالمها الآسر بعذوبته .

● بعدما انتهيتِ من نشر « الاعمال غير الكاملة » في اثني عشر جزءاً ، اين انت اليوم من الابداع القصصي والروائي ؟

- أكاد انجز عملاً روائياً جديداً ، واتوقع ان يرى نور المطابع قريباً . . لكنني تعلمت عدم التخطيط مع الفن . هنالك دوماً مفاجأة ما مع العمل الفني .

فقد تجد نفسك في الوقت الذي حددته « منطقياً » لاصدار عملك ، وأمامك « روايتان » بدلاً من رواية واحدة ، او امامك رواية تمزقها بشهية مفرطة ، وها انت تستعد لكتابتها من جديد !

● قبل المباشرة في عمل فني جديد ، ماذا تفعلين : تقرأين ؟ تسافرين ؟ أم تمضين وقتك في التأمل والصمت والترقب ؟

- اتعذب .

اقرأ . أسافر . أتأمل . اصمت . اترقب . اكتب . امزق . لكنني اتعذب في كل لحظة عذاباً متوتراً نابضاً مشدوداً كشريان يتدفق فيه الدم بجنون الشلالات ، واحاول ان اسوس خوفي وإهيمن عليه واحوله الى طاقة اضافية لتجاوز الذات . اذ ما جدوى اصدار كتاب جديد اذا كنا سنردد فيه ما قلناه في الكتاب السابق ؟

● لو التقاك يوماً أحد قرائك وقال لك ، سيدة غادة : قرأتك من اول كتاب حتى آخر كتاب صدر لك ، ولكن حضورك في هذه اللحظة يحتاج الى قراءة من نوع آخر لا يقوم بها غيرك ، فماذا تقولين لهذا القارىء ؟

ـ اقول له صمتي بعد ان اقترح عليه اعادة قراءة كتبي « العشرين » للمرة الثانية !! .

● من هو المؤهل في رأيك ، لمخاطبة انسان اليوم ؟

ـ اصوات منسية تحتاج الى استخراج من منجم الذاكرة الانسانية وصناديق النسيان . اصوات منسية تحتاج الى اعادة الاعتبار لها ، امثال : الضمير . الشهامة . النبل . الفروسية . الاخلاق . القيم الانسانية . . وغيرها من اللهجات شبه المنقرضة في زمننا الرديء .

● الترويج للتعاسة مستمر في العالم العربي ، يشارك فيه شعراء وروائيون وفنانون . . انت ما موقفك من هذا الأمر ؟

ـ الترويج للتعاسة يقوم به السياسي ورجل الاعمال المحتكر ، والاقتصادي الجشع ، والارهابي الفكري ، والماكينات الاستعمارية . . كل ما يفعله الفنان المسكين ، هو ، الاعلان عن هذه الحقيقة .

الفنان لا يخترع التعاسة ، ولا يروج لها ، لأنها تعلن عن نفسها على وجوه الملايين . . وكل ما يفعله هو ، انه يصور الأمر الواقع ، ومخاوفه من مستقبل لماض كهذا . . الفنان مرآة . وانا بريئة براءة المرآة من جريمة قتل وقعت امامها وبالتالي انعكست على صفحتها .

أنا دمعة العين ، لا المخرز !

● غادة السمان ، ببساطة : ما هي المساحة المتبقية ، لانسان هذا العصر ، من الحرية ؟

ـ ببساطة : مساحة غير كافية حتى للاجابة على هذا التساؤل !

● اريد ان اسألك اذا كان ثمة تشابه بين لحظات الحب ولحظات الابداع بالفن ؟

ـ ثمة تشابه . فالابداع فعل محبة كوني ، والعمل الادبي العظيم هو لحظة حب خارقة

تحتوي العالم كله ، بعذاباته كلها .

● انت كاتبة منتشرة جداً في العالم العربي ، ولكن ماذا عن انتشارك في الغرب عن طريق الترجمات ؟

ـ سبق ان ترجمت بعض قصصي القصيرة الى اللغات التالية : الاسبانية ، الفرنسية ، الروسية ، الانكليزية ، الالمانية ، الرومانية ، الفارسية وغيرها ، ونشرت على نطاق محدود ، وضمن مختارات من الادب العربي .

اما الآن فإنني اواجه تحدياً جديداً ، وهو مواجهة جمهور غير عربي على نطاق واسع جداً . . فقد انجزت المستشرقة البولونية هانا يانكوفسكا ترجمة روايتي « كوابيس بيروت » ، وستصدر الطبعة الأولى عن منشورات «بوستواوي انستيـوث » في وارسو « هارد كوفر ـ ٢٠ ألف نسخة » . فأواجه هناك قارئاً جديداً بمعاني الكلمة كلها .

اما روايتي « بيروت ٧٥ » ، فقد ترجمت الى الفرنسية . بعدما قُـدمت كرسالة جامعية لنيل شهادة الماجستير .

المستشرق البروفسور فلاديمير شاغال قد يترجم « كوابيس بيروت » في موسكو. ترجـم لي من قبل قصة « الساعتان والغراب » من كتابي « رحيل المرافىء القديمة » ، وستصدر الرواية عن منشورات « بروجرس » ، وهي عادة تطبع حوالي ٥٠ ألف نسخة على الأقل من كل طبعة .

هذا الانتشار في الاعوام المقبلة ، هو مصدر قلق لي ، وامل . . واتمنى ان تلقى كتبي لديهم الرواج الذي تلقاه في وطني العربي .

● طويلاً استجوبتك «القبيلة » ، بصراحة : اما شعرت يوماً بالسأم واللاجدوى من لعبة الاسئلة والاجوبة ؟

ـ تمر بي لحظات اشعر فيها بلا جدوى اللغة ، فاسقط في الصمت . ثم أقول لنفسي : ايتها المرأة الحزينة . . ربما كانت الكتابة لا تجدي ، ولكن ما جدوى الصمت ايضاً ؟

ان الحوار مع القبيلة يكسر احياناً اسوار عزلة الروح ، ويساهم في مد جسر مضيء بين جرحي وجراح الآخرين .

● ما هي اول فكرة تخطر في بالك لدى سماعك هذه الكلمات :

ـ غادة السمان ؟

ـ تكسَّرت النصال على النصال .

● **الفن ؟**

- يحرقه الناس اذا كذب ، وتحرقه السلطات اذا لم يكذب .

● **الطفولة ؟**

- بياض صفحة تكتب الأم سطرها الأول .

● **العزلة ؟**

- برية ليلية شاسعة تزرع فيها نبتة الابداع المضيئة .

● **الالم ؟**

- محبرة بحجم البحر .

● **الفرح ؟**

- كالغول والعنقاء والخل الوفي . . خرافة !

● **اللغة العربية ؟**

- منجم المستقبل .

● **الكتاب ؟**

- كخبز الفقير ، مأكول ومذموم .

● **الموت ؟**

- مذكرة جلب فورية .

٢٥/ ٢/ ٨٢

زينب حمود تستجوب

● حضور قارئي في حياتي غرائبي .

● غادة السفر الدائم والحضور المميز ، اين أنت اليوم ؟ هل هذا السفر هو حالة من الهروب من دوامة الواقع ، ام هو هالة من الاستجمام والراحة ؟

ـ لا بد من الاقرار بأن الأمر يبدأ بشهية للهرب والاستجمام على شواطىء النسيان . والركض على رمال العبث الحارة بسعادة سرطان صغير . . . والسباحة في دفء أمواج الفرح غير المسؤول كنجمة بحر استوائية . . . والرقص في شوارع مدن نائية مع وجوه احبها ما دمت لا أعرفها . . .

هكذا يبدأ الأمر ، لكنه دوماً ينتهي بمزيد من السقوط في دوامة الواقع . كأنني حين أرحل الى قارة الغياب اجد نفسي في كوكب الصحو .

من المروع اننا نستطيع شراء تذكرة سفر لأجسادنا لكننا لا نستطيع شراء تذكرة سفر نرحل بها حقاً عن ذلك الوطن الغالي الذي يقطننا اينما تحركنا ، وتلك الوجوه الاليفة التي نكره او نحب ، لكنها من بعض حقيقتنا .

يبدأ الرحيل بالحلم ، مروراً بالكابوس ، وينتهي بمزيد من الالتصاق بتربة الواقع . ويبدو ان علينا شراء بطاقة سفر لذاكرتنا أولاً . والا ما جدوى الرحيل ما دام كل ما يقطننا يرحل معنا . هواجسنا تقود الطائرة ، أحزاننا تلعب دور المضيفات . السيد (الكآبة) هو رفيق المقعد . . . والتوتر المتحفز القلق هو ارض المطارات كلها . . .

● تحملين حزن العالم ، وكل الأحلام الضائعة . ماذا أضعت ؟ ماذا فقدت ؟ اين الفرح ؟

ـ لست حزينة من أجل ما أضعت . أنا حزينة من أجل ما وجدت ! لا يحزنني ما أفقده . يحزنني الجديد الذي اكتشفه .

الخسارة لا تخيفني ، فالغابات المحروقة تعاود نموها ، وكل شجرة تمسها يد الشتاء لا بد وان تمسها يد الربيع . وكل موت يقود بمعنى ما الى حياة اخرى ، او تقمص جديد .

حقيقة الاشياء هي التي تحزنني . جوهر العلاقات البشرية يثير فضولي وألمي في آن ، أنا امرأة لديها شهية مفرطة لتمزيق الاقنعة .

أين الفرح ؟ غدر بي فشنقته على أسوار قلبي . الفرح نرجسي ، دخل الى المرآة لكثرة ما اعجب بذاته فتكسرت به المرآة واعلنته مفقوداً . . .

● المعروف عنك ، انك المرأة المميزة التي تفكر بجسدها وتتصور بعقلها وتتلمس الحياة بمخيلتها . فهل لهذه الاسباب من علاقة بكونك ادية ، وكاتبة متفوقة ، محبوبة ؟

ـ اعتقد أن اقبال القارىء العربي على قراءة كتبي قد يعود الى عوامل كثيرة أهمها ، ببساطة ، حضور القارىء في حياتي حضوراً حياً حقيقياً ، ويكاد يكون عجائبياً ، فأنا باستمرار اعيش مع كائن وهمي الجسد ، أكيد الحضور هو قارئي ، انه لا يسكنني بالمعنى المجازي وانما أحس حضوره كحضور الروح غير الشريرة في بيت مسكون . انه يعيش معي . يستيقظ معي . يرحل معي . دوماً نتبادل الآراء ، نضحك كالعشاق . ومثلهم نتشاجر أحياناً . وأحياناً أتوسل اليه أن يمضي ويدعني وشأني . واذا فعل اركض خلفه حتى الباب واعيده . . .

القارىء موجود في حياتي كل لحظة . انه قريب حقاً مني . وانا ، بالتالي ، اعي همومه واوجاعه واحلامه . والجسر المضيء الممدود بيننا هو الشريان الاساسي الذي يرفد حروفي بالنبض .

● أصدرت عدة كتب ، أيها الاقرب الى نفسك وشخصك وكيانك ؟ ما هي المفاجأة التي ينتظرها جمهورك ؟

ـ لا أستطيع اقامة (حاجز نقدي) اوقف أمامه كتبي (العشرين) واحداً بعد الآخر . وأطلب منهم (تذاكرهم) وبطاقاتهم الشخصية ، لاختار من أذبح على الهوية ، ومن ينضم الى فئة المقربين . . . فالكتاب حياة مستقلة متى تم طبعها خرجت من يدي الى الابد . . . ولم يعد من حقي محاكمتها . بل يأتي دورها هي لتكون حيثيات محاكمتي كفنانة .

أما عن المفاجأة التي أعدها لقارئي فهي (الروتين) ! واعني بذلك اصدار كتاب جديد .

كنت أتمنى ان امنحه مفاجأة حقيقية كأن اعتزل الكتابة مثلاً ، لكنني للاسف عاجزة عن ذلك وما زلت أتدفق كجرح لما يلتئم . . .

● **وكيف تحققين حضورك من خلال أعمالك ؟**

ـ احاول أن احقق (غيابي) في اعمالي . . . القصصية منها بصورة خاصة كي اكرس حضور ابطال قصصي .

احاول الانسحاب من حياة ابطالي ، كي تستمر ايامهم بمعزل عن حياتي ، لا اريد ان اسمع صوتي قادماً من حناجرهم بصورة فجة كما لو كنت ملقناً في مسرح الدمى .

الغياب الكلي للكاتب عن مسرح جرائمه (اي قصصه) غير ممكن طبعاً . المهم تحقيق (الغياب الفني) الذي هو في جوهره حضور (جذري) للكاتب .

٢/ ٥/ ١٩٨٢

مراسل الوطن الكويتية يستجوب

● أنا غاضبة لأني لست داجنة ولا مخدرة .

الحديث التالي مع الكاتبة الكبيرة ، غير عادي بل ربما، من الحوارات النادرة التي عقدت مع الكاتبة ، وكانت بمثل هذا الاشراق والعفوية والصدق والاصالة .

فرغم ان الاحاديث الصحفية مع نجوم الادب والفن ، ملها القراء ومجوها ، لكن يبقى الحوار مع غادة الاشد جاذبية ، انه وجه من وجوه ثقافتها وتألقها وروعتها . . وهي هنا تطرح الكثير من القضايا التي تشغل بال المثقف العربي ولا يجد حلولاً لها .

في بيتها الأنيق ، على شاطىء البحر في بيروت . . قبل الاشتعال . . او الاقتحام . .

● انك هذه الايام ممتلئة غضباً في حروفك . . ما سبب هذا الغضب ؟

ـ انا غاضبة لأنني لا اتقن مهنة اليأس ولا مهنة الفرح الوهمي . . انا غاضبة لأنني لست مخدرة ! لست داجنة . لست جارية في سوق عبيد الكلمة . ولا اعرف كيف ارقص حروفي كالسعادين والقردة على ارصفة الهرب من الواقع . انا احدق في واقعنا العربي اذن انا غاضبة .

ايامنا في بيروت مثقوبة بمقص التفاصيل ولكن قلبي العربي ليس مثقوباً بمقص التفاصيل العابرة . . انه ما زال يقبض على الحلم الوحدوي العروبي مثل طفل يقبض على اول فراشة ملونة شاهدها .

ايامنا في بيروت مثقوبة برصاص الاحزان كئيبة ومسكينة مثل متسول شتائي ، لكن ذلك كله لن يلهينا عن الانصات لإيقاع عاصفة التغيير . . والقوى التي تحاول عبثاً ضرب سيمفونية الثورة بمتفجرات الفوضى .

انا غاضبة لأنني لم اغادر مرحلة الجمر الى مرحلة الرماد ، وكلما احترقت قلت

لنفسي : ايتها المرأة ستخرجين من النزف الى النسيان . ستغادرين زمن النبض الى زمن الشلل من الموجة الى المياه الراكدة ، من البركان الى الكثبان . . . لكن ذلك لم يحدث لي بعد « للأسف ! » . . ما زلت مرهفة كعود عباسي ، واوتاري تزداد وعياً باللحن بعد كل ضربة ، بدلاً من ان تسترخي .

تقول الامثال الشعبية : « العتب على قدر المحبة » وانا اقول لك : « الغضب على قدر الحلم » .

والحلم العروبي المضفور بنبل الاجداد ، والعدالة الاجتماعية للاحفاد ما يزال يحتلني . .

وهو لم يكن في اي يوم حلماً صوفياً او رومانسياً . كان باستمرار ذلك الحلم الذي وجد ليتحقق : انه بهذا المعنى « خطة عمل » لا لعبة هروب سلبية الى كوكب الخيال .

ولكن اعداء العرب يبذلون ما بوسعهم لتحويل الحلم الى كابوس ، والشمس الى برتقالة ذاوية . والمروع هو التحالف بين الجرح والسكين في بعض الاقطار . . والتعاون بين الجزار والضحية . . وهكذا نجد بين ايدينا احياناً « مذبحة » بدلاً من « ثورة » ! وان بعض العرب يدمر الحلم بحذق لا يتقنه اي غريب ! والآن لا تسألني بعد اليوم لماذا انا غاضبة والا غضبت منك !! .

● يخيل لنا ان الكاتب الاصيل هو الذي يمهد للثورة والتغيير فهو شاهد العصر ان شئنا التعبير بدقة . . هل تعتبرين نفسك من هذا الفصيل ؟

ـ حينما اذهب الى فعل الكتابة يكون للأمر حميمية الصلاة وبساطة الهمس . لا اقول لنفسي . . انا نبية العصر الذاهبة الى الكتابة ، فابتعدوا عن دربي . فأنا فنانة ولست نابليون . . حينما اذهب الى الكتابة ، اذهب الى غابات الصدق والحقيقة واحلم باصطياد عصفور نادر ، لم يقع في شباك اللغة من قبل . . اي احلم بالابداع الفني ولا احلم بكتابة « بلاغ رقم واحد » لا يدور بخلدي كتابة موسوعة عن كيفية ابتكار حرب جديدة للعصابات او اعادة تنظيم الميليشيات .

انا فنانة مادتي الأولى هي الابداع في حقلي . . لكن ذلك لا ينفي إمكانية وجود محرك اساسي للابداع في اللاوعي ، هو الرغبة في مسح البشاعة عن وجه العالم والرغبة في سيادة الحقيقة والنقاء . . وهذه كلها تصب بصورة غير مباشرة في قناة التمهيد للثورة والتغيير . .

● دائماً في كتاباتك المرأة هي الاصل، والرجل هو الظل . . وانك تعكسين المألوف . . هل هذه معادلة صحيحة ؟

ـ دائماً في كتاباتي الوطن هو الاصل . . . اما المرأة والرجل فكل منهما يزداد اقتراباً من الأصل او يصير الظل وفقاً لاقترابه من الصدق والعطاء والبذل والمحبة . . اي الوطن . .

انني اعكس المألوف لأنني لا اتعصب للمرأة « كأنثى » وانما اقف ضد القمع بغض النظر عن الجنس « البيولوجي » للضحية .

انني اعكس المألوف لانني اعتقد ان مهمة « تحرير المرأة » تقع على عاتق الرجل !! والرجل الثوري بالذات بوصفه الحليف الأول لكل مقموع ومظلوم . . وارى انه لا خلاص للمرأة الا بخلاص بقية المحرومين في المجتمع . ومن هنا فإن دمج كفاحها مع كفاح بقية المناضلين ضرورة تكتيكية واستراتيجية في آن . . .

الرجل ظل حين يغادر الوطن الى سراب التخدير . . والمرأة ظل حين تخلع هموم الوطن لترتدي هم التفاهة والصغائر . .

الوطن هو الاصل . . وبدون الانطلاق من هذه النقطة في رحلاتنا كلها نتحول كلنا الى ظلال وحروفنا الى كتابة سرابية فوق الرمال .

● في كل محاكماتك الادبية داخل انتاجك القصصي والروائي تحكمين المرأة بالبراءة . . اما الرجل فتارة تحكمينه مؤبداً وتارة عشر سنوات واخرى ثلاث سنوات . . انه لا ينجو انه محكوم دائماً ولو مع وقف التنفيذ . هل هذا صحيح ؟

ـ ليس من السهل اتهامي كفنانة وروائية ، بالتحامل على « الرجل » وحروفي طالما اعلنت عليه الحب ومنحته الوفاء من الوريد الى الوريد . . وحاولت اعتقال لحظة هاربة معه ونادته « عيناك قدري » وشاركته احزان رحيل المرافيء القديمة وفي انهيارات « بيروت ٧٥ » لم تنج امرأة ، ووحده « الرجل » مصطفى الصياد نجا ، لا « لذكورته » ولكن لانسانيته الايجابية .

وحتى كانسانة لا اشعر نحو « الرجل » بموقف مرضي معقد يتراوح بين اقصى الكراهية او العبادة . لكنني اتعامل مع كل فرد على حدة واقربهم الى قلبي هو اقربهم الى انسانيته ، وهذا ايضاً ينسحب على علاقتي بالنساء ، واقربهن الى روحي هي اقربهن الى إنسانيتها . . ولم يحدث ان شعرت مرة بنوع من تحالف « المافيا النسائية » يربطني ببقية النساء .

وفي قصصي لا علاقة للذكورة والانوثة بعملية الادانة . . فالمحاكمة تتم على اسس انسانية ، والعدالة هي جوهر العمل الفني ، وقد منح الناس الرجل حق الخطأ اكثر مما منحوه للمرأة ، وهو يمارس هذا الحق ، وانا لا استطيع تزوير الأمر الواقع !!

● لا نرى لك جديداً هذه الأيام غير كتاباتك الصحفية واعادة طباعة كتبك القديمة . هل من جديد على صعيد الابداع ؟

ـ دعوني اتدفق كما اشاء ، حينما اشاء فأنا فنانة ، لا موظفة في شركة الكومبيوتر للالهام . . حينما انفجر ، تخافون على نتاجي من « الاكثار » وتنهمر علي اسئلة صحافية تتضمن القلق علي من هذا التدفق . .

وحينما اهدأ قليلاً مثل سماء شتائية تجمع سحبها لعاصفة رعدية جديدة يطالعني التساؤل الأزلي : تكتبين ام لا تكتبين ؟

بل اكتب ، للاسف اكتب ، هذا الادمان لن اكف يوماً عنه . . هذا الجنون لن يبارح اصابعي .

اذا لم تقتلني رصاصة في بيروت ، فسأظل اكتب حتى اقتل الصمت شخصياً !!

لدي ثلاثة كتب جاهزة للنشر هي : « الاستجواب مستمر » وهو الجزء الثاني لكتابي « القبيلة تستجوب القتيلة » . . الكتابان الآخران هما : « الشهيد هو الحي » و « قراءات لحفـلي التأبيني » .

لدي ايضا رواية جديدة ما زالت بلا عنوان ، ومجموعة شعرية حرة لم اسمها بعد . فإلى اللقاء مع عاصفة جديدة من عواصفي . . اما التوقيت فأنا اقرره . . وريثما افعل ذلك ، آمل ان ينتهي القراء من مطالعة كتبي « العشرين » التي امطرتهم بها في السنوات الأخيرة !!

● مطالعاتك الغربية كثيرة . . هل تجدين فرقاً شاسعاً في الكتابة الروائية الغربية والكتابة الروائية العربية ؟

ـ نعم اجد مجموعة من الفوارق . . بعضها تكنيكي بحت ناجم عن عراقة الرواية كفن اوروبي غير حديث ، بينما نجد الرواية « بالمعنى الفني » عند العرب طفلاً بالعمر الزمني ما زال يحبو ويسعى جاداً لتكريس قواعده الخاصة به وتقاليده غير المستوردة .

وهذه نقطة مع الرواية العربية وضدها في آن . . فالشعر العربي فن قديم وعريق له اصوله وعروضه وتفاعيله ومعلقاته وتقاليده ومكرساته .

مع الرواية يجد الكاتب العربي نفسه في شبه بياض لكنه بالمقابل « بياض » يسمح

له بالابتكار والخلق دونما قيود التقاليد . . انه محروم من تراث الرواية لكنه بالمقابل متحرر من القيود التراثية .

والواقع ان المقارنة بين الكتابة الروائية الغربية والعربية يمكن ان يكون موضوعاً لاطروحة ادبية شاسعة ، ولا يتسع المجال هنا لعرض المواضيع وتزويدها بالشواهد ، لذا سأكتفي بمس نقطة حساسة اخرى في هذا المجال ، وهي ان الروائي الغربي يعيش في بلدان « مرفهة » ذلك يمنحه الطاقة على استيعاب مهمته الجمالية بشكل افضل ويوفر له الوقت والاستقرار والمال وكلها عناصر مهمة « لتنفيذ » الابداع وتلقي رسائل « الالهام » .

الروائي العربي يعيش في بلدان « نامية » تقاسي شعوبها من ويلات التخلف . . فهو يقاسي كفرد ويعاني كفنان . . وحين يكتب لا يستطيع ان يغادر ارض الواقع التي هي المنطلق الاساسي لكل ابداع . .

وهكذا يجد الروائي العربي نفسه باستمرار في مواجهة منعطف السياسة . . وانا هنا لا اتحدث عن علاقة الفنان بالسلطة ، بل اتحدث عن امر مهني بحت هو علاقة الفنان مع عمله وذاته . انه لايستطيع ان يغادر ارض السياسة التي تقرر جزئيات حياته اليومية وبني قومه ، وهكذا تضيق دائرة ارض الاقلاع . . هذا الأمر ايضاً سلاح مزدوج الحد : فأما ان يزود ابداعه بطاقة خاصة وشحنة ابداعية مميزة المذاق او يحول عمله الى سجل لمناقشة سياسية مع الذات والآخر . . ولكن خسارة واحدة اكيدة تنجم عن ضيق ارض الاقلاع الفني لدى الروائي العربي في هذه المرحلة وهي افتقارنا الى نمو الروايات الحلم ، والخيال الشاسع كالروايات العلمية الخيالية وروايات الكشف عن الطبيعة البشرية في مناخات الماورائيات ، وافتقارنا حتى الى ادب الاطفال بالمعنى العالمي ، فأدب الاطفال الذي نكتبه « مُسيّس » الى درجة قتل القصة واضجار الطفل ، والمؤلف ليس مذنباً ، فالظروف المتوحشة التي تحيط به في هذه المرحلة تجعله يكذب على ذاته اذا تجاهل منعطف السياسة . . . ان مضيق السياسة لا يمكن لروائي عربي تجنبه ، كما انه لا يقدر على تجاوزه غير امهر الملاحين النادرين الذين يطلعون منه دونما تدمير يذكر بسفينة ابداعهم . .

٥/٥/٨٣

هيام وهبة تستجوب

● قرائي هم أبطال قصصي . . .

بعضهم يحسبها ، حكاية غريبة ، يلفها الغموض وتكتنفها الأسرار ، والبعض الآخر ، قرأها ، بكل شخصيات قصصها الغريبة ، والمجنونة احياناً ، « الخارجة على القانون » مكوناً عنها صورة أبعد ما تكون عن حقيقتها ، لأننا تعودنا اسقاط ما يكتبه الكاتب في بلادنا ، على الكاتب نفسه . ولو اقترب هذا « البعض » من حقيقتها الانسانية ـ ولا نريد الفصل بين الكلمة وصاحبها ، وحاول التعرف ، عن كثب ، الى عشرات وربما مئات تلك الشخصيات ، لما وجد امامه سوى « ام حازم » الانسانة القريبة الى القلب ، الدافئة والحنونة .

الصديقة التي ما تتخلى عن اصدقائها ، والتي امتزجت حياتها بكلمتها ، لتكونا كلاً يصعب تجزئتـه ، قد بلغت الضفاف التي قد يحسدها عليها الكثيرون . . ولكن ، هل اقتنعت هي ، شخصياً ، بالوصول . . . هذه القناعة ، ما يصل اليها الفنان الصدق . . سعادته المرة ، ان يسكنه هاجس الأبعد ، كلما اقترب من مطارح الحلم . .

ولهذا تراها ، تتنقل من مشروع أدبي الى مشروع أدبي آخر .

حققت امنيتها بتأسيس « دار للنشر » خاصة بها ، وسمتها باسمها . وبعد عشرين كتاباً أو يزيد . . هناك اكثر من طموح جديد ، من عذاب جديد . .

ما كتب عنها ، مقالة وكتاباً ، قد يوازي ما كتبته حجماً ، ولكن ، هل يقنعها كل ذلك ؟!

ان غادة ، التي نعرف ، ما يحد عذابها الأدبي حد ، انها واحدة من ابناء السعادة المرة ، الذين سكنتهم الاشواق المستحيلة .

غادة الكاتبة التي نالت قسطاً من الشهرة قد يغبطها عليه الكثيرون . والتي تبدو

في معايير البعض ، انها حققت كل ما تصبو اليه ، وغادة الانسانة والصديقة ، نستضيفها في لقاء خاطف هو كالوقفة العجلى ، بين احتراق المسافات ، فيما يشبه تحية التقدير والحب ، لان رحلتنا مع غادة ستكون طويلة ولا ريب . . طالما هي ابدعت وتبدع ، وطالما نحن ، في سعي دؤوب ، الى التعرف ، على مواسم المبدعين ، في دنيانا الثقافية .

● غادة السمان الشهيرة بين الأدباء . . . أين تضع نفسها بينهم رجالاً ونساء . وهل ترضى ان تكون الأولى بين أديباتنا أم ماذا ؟ .

ـ أنا ضد الرقم ١ .

لا أحب الناس الذين يتوهمون أنفسهم (الرقم ١) بوجه عام ، وأرفضهم حين يتعلق الأمر بقضايا الفن . أرى الصورة على الوجه التالي : نحن معشر الأدباء ، من رجال ونساء ، نشكل (فريق عمل) . . . نطارد حلمًا واحداً : الخروج بالأدب العربي من مرحلة المخاض الى مرحلة العطاء الذي يمكث في الأرض .

أحب التنافس الودي الصحي الذي يساهم في تنشيط الدورة الدموية للابداع ، لكنني أرفض أن تنتقل مفاهيم زعامات (المافيا) الى حلبة الفن ، وشهوات (العراب) الأول ، وصرخة : أنا الأعظم .

ضمن هذا الإطار أضع نفسي : انني ببساطة واحدة من فريق يطارد نجمة ابداع . .

● في العالم ، وخاصة العالم العربي هناك من يقول بأدب نسائي . ما رأيك بهذه المقولة ؟ وهل هي نوع من التصنيف الجنسي ؟ ومع ذلك اين هي المرأة أدبياً عندنا وفي العالم ؟

ـ يخيل إليَّ ان الزمن تجاوز هذه الحكاية بوجه عام .

صار واضحاً ان « تاء التأنيث » في اسم الكاتبة ليس معياراً نقدياً ، ولا تحدد ـ بالضرورة ـ (جنس) عملها الفني والفكري . . وإن (الأدب الرديء) ليس (حياكة نسائية) فقط ، وبعض الرجال يكتبون معظمه ، وبالتالي فإن معظم كتاب (الأدب النسائي) هم من الرجال ! . .

في العالم العربي ، أرى القضية من منظار جديد . . أشعر بأن المرحلة التاريخية الحاسمة التي نعيشها أسقطت مفاهيم كثيرة ، وبدلت جدول الأولويات الملحة للنقاش .

نساء ورجالاً نواجه خطر التفكك والانحلال أمام وجود عدواني نغريه بابتلاعنا . .

في زمن كهذا ، أمام خطر داهم كهذا ، لا أرى جدوى من متابعة أي نقاش (بيزنطي) . ألا يمكن أن (نتعايش) في سلام نساء ورجالاً في محراب الكلمة على الأقل ، ونتجه صوب البناء بعيداً عن كل ما يشتت طاقاتنا ؟

(اسطوانة التنافس) بين طائفة الذكور وطائفة الاناث ، امام مرآة التشاوف ، وفوق منبر تعداد الفضائل والمزايا ، أضحت من بعض مخلفات المرحلة السابقة اللاهية عن المخاطر المحدقة بنا .

المهم الآن إيجاد أدب يواكب المرحلة ، ويكون على مستوى الأحداث الداهمة ، واعياً تهديدها الجاد لوطننا وتراثنا ، وشخصيتنا الحضارية . .

● من المعروف انكِ اكثر كتابنا مبيعاً ، هل هو لعظمة وصدق أدبك ، ام لعقد اجتماعية ما زلنا نعاني منها ؟

ـ من السهل امام سؤال كهذا السقوط في فخين : فخ التواضع الكاذب ، وفخ التبجح . وكلاهما اكرهه .

سأحاول أن اخلف جسدي مكوماً فوق المقعد ، وأجلس على الكرسي المواجه له ، وأتأمل تلك الكاتبة المدعوة غادة السمان كما لو كانت شخصاً آخر .

لماذا استطاعت أن تصل الى القارىء العربي ؟

الصدفة ؟ الحظ ؟ المثابرة ؟ (عظمة أدبها وصدقه) ؟ هي لا تحب الكلمات الكبيرة كهذه ، ولن يكون بوسعي ان أعرف حقاً ، قبل ان يتقدم الزمن بغرباله العظيم . . فالزمن هو الناقد الأدبي الأول . . .

(عقد اجتماعية نعاني منها)؟

ولكن أعمالها تترجم الى لغات أخرى كثيرة لأمم لا تعاني من عقدنا الاجتماعية ذاتها ، وعلى أيدي مستشرقين لا يعرفون عنها غير أعمالها . .

حسناً . لماذا لا نسألها ؟ . .

ايتها السيدة ، لماذا يقبِلُونَ على أعمالكِ ؟

« عندما أجد نفسي مضطرة لقول شيء نقدي عن أعمالي ، أصير مثل الأعمى الذي يحاول وصف الأشكال والألوان للآخرين . لست واثقة من شيء » ـ بالاذن من اندريتش .

● الازدواجية عند الكاتب بين حياته وأدبه ، الى اي مدى موجودة لديك ، وهل غادة السمان الحقيقية هي نفسها (إنسانة) رواياتها . . خاصة على صعيد الحب ؟

ـ أنا أكتب (قصة) ، لا (قصة حياتي) . .

حسناً ، لن أتنصل من كل شيء كلص صغير .

لا مفرّ من المرحلة الذاتية في البداية ، ولكن في البداية فقط . . فنحن في النهاية بشر ، ولن يكون اقناعنا سهلاً بأن نتخلى عن حكاية حبنا الملتهبة لنتحدث عن حكاية حب شخص آخر، حين نكون صغاراً، تلامس أصابعنا الابجدية ، والحب للمرة الأولى . . هذا كله مقبول في المرحلة الأولى ، وقد مر به الفنانون جميعاً ، عظيمهم وعاديهم . . حتى الرائع (جوته) كان ذاتياً في روايته (آلام فرتر) التي كتبها صغيراً في السن والتجربة الفنية .

ثم تأتي المرحلة الحاسمة . .

إما أن يخرج الفنان من ذاتيته ، أو يسقط فيها وينتهي كما ينتهي عشرات الأدباء الذين يكتبون عملاً واحداً جميلاً يتضمن قصة حياتهم ويخمدون بعده . .

في المرحلة الثانية ، يعي الفنان عالم الآخرين ، لا في المطلق فحسب بل وعلى (التراب) بالمعنى الحرفي للكلمة . يعي وطنه . جذوره . انتماءه . ولاءه للحقيقة . حبه غير المزيف لأبناء شعبه ، وامتزاجه حقاً (فيهم) بعيداً عن التعالي (البرجعاجي) . . حينما تتسع (الأنا) لتشمل الـ « نحن » ، وحينما يتلاحم الخاص والعام دونما افتعال ، ويمشي الفنان حافياً وخاشعاً في بلاط المعذبين والفقراء والمناضلين من ابناء امته من أجل قضمة حرية وانسانية ، يكون قد تجاوز الامتحان العسير . . وامتلك ابجدية جديدة لم يكن ليحلم بها . . الحب من بعضها ، لا كلها . .

أنا يا عزيزتي لست بطلة رواياتي . إني اتجسس على أبطالي بمثابرة تفوق نشاط الـ (سي آي إيه) والـ (كي جي بي) ، واتركهم يتابعون حياتهم دون ان أقسرهم على سلوك خارج طبيعة تركيبتهم النفسية . . وأرصدهم في سموهم وسقطاتهم .

وأنا يا عزيزتي بطلة رواياتي بمعنى انني مثلهم جميعاً ، عربية ، بكل ما في العربي من سمو وسقطات . . انني أعرفهم جيداً لانني اعرف نفسي ، واتعلم المزيد عن نفسي حين أتأملهم . .

إذن الاجابة على سؤالك هي ببساطة : « نعم » و « لا » في آنٍ معاً .

نعم ، انا موجودة في أعمالي بقدر ما تجدين نفسك فيها أحياناً أو أي عربي آخر .

ولا ، أنا لست بطلة قصصي بالمعنى الحرفي ، لانني لا أروي حكايتي في كل حرف اكتبه وإلا لضجرت من نفسي قبل ان يضجر القراء . . ببساطة : قرائي هم ابطال قصصي ! .

● **خلال الأحداث اللبنانية قرأنا معاناتك . اين نتاجك الجديد ، ولم هذا الصمت ؟ هل المرحلة الحالية غير قادرة على اغنائك بالمادة الأدبية ، ام أنه الصمت الذي يعقب حالة المفاجأة والدهشة ؟**

ـ اعمل في « منشورات غادة السمان » كناشرة . . وأعمل كصحافية . . وأعمل على ترميم بيتي كمواطنة لبنانية . . وأعمل على ترميم زجاج القلب . . واكتب . . واكتب . . وامزق . . لقد أصدرت حتى الآن (عشرين) كتاباً ، فهل تسمحون لي بالتقاط انفاسي ؟

وهل تسمحون لي بالحرص على سري الصغير : عمل جديد روائي أعده ، (يشاكسني) ؟ . . .

٢٤/ ٤/ ١٩٨٣

« الموقف العربي » تستجوب

● ها أنت تدعين الى ندوة كناشرة لا ككاتبة ! . .

● « منشورات غادة السمان » ، حلم تحقق ورأسمالها صفر .

تقام خلال الشهر الحالي في طرابلس (وقبل يومين من افتتاح معرض الكتاب العربي في ليبيا ١٩/ ٢٩ نيسان - ابريل) ندوة النشر . . وقد دعي من لبنان الى هذه الندوة كل من الدكتور سهيل ادريس (دار الآداب) ، وماهر الكيالي (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) ، وبهيج عثمان (دار العلم للملايين) ، وغادة السمان (منشورات غادة السمان) ، والمعروف ان رئيس اتحاد الناشرين العرب الذي شكل قبل سنتين هو الاستاذ خليفة التليسي ، مدير عام الدار العربية للكتاب ، وقد تقرر اقامة مؤتمر سنوي للناشرين ، يرافق معرض الكتاب العربي في كل عام في طرابلس .

والملفت هنا ، ان تدعى غادة السمان ، لأول مرة كناشرة ، لا كأديبة وكاتبة . وعلى هذا الاساس ، ذهبنا الى الكاتبة الكبيرة نحاورها حول هذا الموضوع ومواضيع اخرى .

● ها أنت للمرة الأولى ، تدعين الى ندوة كناشرة لا ككاتبة ، بصفتك صاحبة « منشورات غادة السمان » ، ومضمون الدعوة مهما كانت توجهاتها تجاري بحت ، ما رأيك ؟

- أرى النقيض !

أرى الدعوة شاعرية ، وقومية ، وتعكس احتراماً للانسان الكادح عامة ، وتكريماً للمرأة العربية العاملة الجادة . شاعرية ، لأنني احلم بزيارة الأقطار العربية كلها -

ناهيك عن كوكبنا بأكمله ـ قبل ان أموت . وحين ازور قطراً عربياً للمرة الأولى ، يحدث لي باستمرار شيء غريب ، يشبه الشعر .

ينفجر في داخلي خزان من المشاعر الحادة الغامضة ، وينتابني احساس خارق : لقد كنت في هذا المكان من قبل في عصر ما . هذه الاسواق القديمة اعرفها . هذه الوجوه ليست غريبة عن قلبي . هذه اللهجات آلفها . هذه الطبيعة اذكر مذاق مائها وملمس ترابها . . وسبق لي ان عشت هنا بمعنى ما ، حضوراً منسياً لا منسياً ، كتداخل الصحو والحلم الكثيف .

التفسير المنطقي لذلك الزخم من الوجد الغامض ، في غاية البساطة : انني كامرأة عربية ، التقي بجذوري في كل ركن من اركان وطننا العربي .

ان ما سبق وعشته في مسقط رأسي سوريا ، ومسقط قلبي دمشق ، يتكرر بمعنى ما في كل مدينة عربية اخرى ، ما دامت الخلفية الحضارية والتاريخية واحدة .

ولكن التبرير المنطقي لهذه المشاعر لا يلغيها .

والمناخ المتوتر المتوهج ، الذي تبعثه في نفسي المصافحة الأولى لمدينة عربية جديدة ، ينتج عنها باستمرار الق روحي ، يتجسد في عمل فني روائي أو صحافي من اعمالي .

في زيارتي الى عدن مثلاً منذ اعوام ، ارتبطت بشكل خارق بما حولي . . تلك التربة البركانية الخامدة ، والوجوه البركانية غير الخامدة . . البحر . . الصحراء . .

زنجبار . جعار . لحج . مسقط ، الريف والبسطاء والليل الذي يتنهد تاريخاً وورداً استوائية حارة ، ويشهق اغنيات نارية اللوعة ذات ايقاع افريقي نضر الحيوية . . المنارات التي تطل على عناق قارتين ، آسيا وفريقيا ، والقوافل ومراكب الزمن العاجي البخوري .

بعد تلك الزيارة ، كتبت واحدة من أفضل قصصي « الساعتان والغراب » وتدور احداثها في عدن ، وقد ترجمها الى الروسية المستشرق فلاديمير شاغال .

وهكذا فان زيارة ليبيا هي بحد ذاتها حدث فني وشاعري في حياتي اتطلع اليه ، وآمل ان تتاح لي الفرصة هذه المرة بعيداً عن مفاجآت القدر المتوافرة بكثرة في بيروت(*) .

(*) لم تتم الزيارة لأسباب أمنية بيروتية قاهرة !

هذا عن الزيارة على الصعيد الشخصي الفني . اما على الصعيد العملي ، كمشتركة في ندوة للنشر ، فإن « منشورات غادة السمان » هي أصغر دار للنشر في العالم العربي . رأسمالها (صفر) ليرة لبنانية ، وليس لها اي حساب مصرفي ، ولا تملك من الأرقام غير رقم صندوق بريدها ! انها بلا مكاتب ولا سكرتيرة ولا حتى تلفون ! . . . تعيش كالشعراء الجوالين والصعاليك ، وتستضيفها دار نشر اخرى هي « دار الطليعة» .

عشرون كتاباً فقط تنشرها (مؤسستي) هذه ـ حتى الآن ـ وألعب فيها دور المؤلف وساعي البريد ! . .

وكما ترى ، منشوراتي قصر في الرمال ، أو حلم ضبابي مجنون في الغمام ، انها انعكاس ضوئي لتوهج روحي الطموح ، في مرآة دنيا العمل . واذا مت ، تموت معي كالأحلام كلها ، اذ لا ممتلكات مادية لها يرثها احد ! !

وهكذا ، حينما يقدم « رئيس اتحاد الناشرين العرب » ، على دعوة اصغر دار للنشر في العالم العربي ، للاشتراك في ندوة الى جانب أكبر دور النشر العربية ـ التي تصدر من الكتب في أسبوع ما أصدره في أعوام ـ فهذا توكيد على ان التوجه ليس تجارياً بحتاً ، وثمة احترام للانسان كقيمة ، وللناشر الجاد وفكره بصرف النظر عن رأسماله التجاري . . وثمة تكريم للمرأة العربية العاملة ، ورغبة في تشجيع وجودها ، ومنحها فرصة للمشاركة في خدمة وطنها ، على الصعيد العام ، وفي الحقول كلها .

وأنا قد أكون كاتبة كبيرة ، وقد لا أكون ، لكنني بالتأكيد « أضأل » ناشرة في العالم العربي . . . لقد اسست منشوراتي عام ١٩٧٧ ، بالرغم من انشغالي في الانتاج الادبي والعمل الصحافي ، ودعوة كهذه تجدد طموحي (النشري) !

● ثماني سنوات حرب : هل استطعت العمل خلالها ام ان معظم انتاجك يعود للماضي الذي عبر قبلها ؟

ـ للأسف ، كان للحرب تأثيرها الايجابي على انتاجي . كأنني نبتة الكمأة الصحراوية التي لا تنمو الا في ظل الرعد .

لقد احترق بيتي في بداية الحرب ، حين زار الصاروخ مكتبتي والتهم اوراقي ، ووقع بأصبعه السوداء على جداري : السيد الموت مر من هنا .

ازداد وعيي بأن الوقت ضيق ، والعمر قصير والفن شاسع ، فانطلقت مثل قطة اشتعل ذيلها تركض في غابة العطاء ، تقطف ولا تهدأ .

قبل الحرب ، كنت قد اصدرت ستة كتب : بعد الحريق ، صار عندي اكثر من (عشرين كتاباً) . اتحدث عن (الكم) لا عن (الكيف) ، لأنه ليس من حقي ان اقرر اي مراحلي اكثر غنى . وحتى لو شئت لما استطعت ، فأنا عاجزة عن تقويم اعمالي بالمعنى النقدي ، خصوصاً في هذه المرحلة الخصبة الانتاج . وعندما اجد نفسي مضطرة لقول شيء (نقدي) عن أعمالي ، فانني أصير مثل موجة عاجزة عن التحول الى بوصلة .

● هل انت مع الحرب ، ام مع السلم ؟

ـ من حيث المبدأ ، المرأة والفنان يمقتان الحرب . ولكن ، حينما تصير الحياة موتاً معنوياً مقترناً بالاذلال ، ولا يكون امام المرء من وسيلة للدفاع عن كيانه غير القتال ، تجد المرأة نفسها مرغمة على تقبل ابغض الحلال الى قلبها وقلب كل فنان : الحرب . حينما تتهدد حياة المجتمع بموت بطيء قادم لا محالة ، اداته الاذلال التدريجي والتركيع ، ترضى المرأة بتقديم اطفالها ونفسها على مذبح كرامة الجماعة .

اذن ، انا مع السلم ضد الحرب ، ومع الحرب ضد الذل . احلم بيوم تتجاوز فيه الانسانية سن المراهقة ، وتقلع عن ممارسة لعبة الحرب الجهنمية الى ممارسة لغة الحوار والعدالة والعقل . احلم بزمن يكف فيه الانسان عن (حشر) اخيه الانسان في زاوية الدفاع عن النفس والكرامة ، والمقدسات ، حيث الخيار الوحيد ان تكون قاتلاً أو قتيلاً . اكره دور الجرح والسكين معاً . ارفض القتل ، لكنني ايضاً ارفض الإذلال الذي هو في جوهره (قتل معنوي) لانسانية البشر .

واذا كان عليَّ ان اختار بين « أمرين ، احلاهما مر » ، لاخترت ـ دونما تردد ـ الحرب لا الذل .

● تعتبرين واحدة من الأدباء الأكثر مبيعاً في العالم العربي ، لكنك متهمة من قبل بعض النقاد بالانقياد للسهولة في عدد من اعمالك القابلة للانتشار الشعبي (مثل كتابك « اعتقال لحظة هاربة ») على حساب القيم الفنية الصارمة ، ما رأيك ؟

ـ يجب التمييز بين السهولة ، وبين السهل الممتنع . قيل لجعفر بن يحيى البرمكي : « ما البلاغة » قال : « التي اذا سمعها الجاهل ، ظن انه يقدر على مثلها ، فاذا رامها استصعبت عليه » .

وما يبدو من الخارج (سهلا) ، قد يكون حصيلة جهد سري مستمر للتواصل مع القارىء ببساطة طفولية عسيرة المنال . وأنا ضد احتقار رأي الناس ، وأؤمن ان

القارىء العربي اكثر وعياً مما يتوهم بعض النقاد. ثم انه ـ اي القارىء العـربي ـ لم يفقد بعد حرارة الوجدان وتلك الطاقة شبه الصوفية على التواصل الروحي . . و « الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان » كما يقول الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه .

وما زال القارىء يميز بين سنابل القلب ، ورغوة اللسان .

هذا طبعاً لا يعني ان كل عمل ينبذه الناس هو (رديء) بالضرورة ، ولكن رفض اي كتاب لمجرد اقبال الناس عليه (جماهيرياً) يبدو بالمقابل عملاً غير عادل .

● أنت متهمة ايضاً بالانجراف في العمل الصحافي ، على حساب اعمالك الأدبية الابداعية ؟ ما رأيك ؟

ـ انا كاتبة متعددة الفعاليات والابعاد . أحب التواصل مع القارىء عبر قنوات عديدة ، ومستويات مختلفة ، تكاملها يرفد اعمالي الفنية . الصحافة في نظري نافذة على قلوب الناس ، وأحب باستمرار ان أطل عبرها ، وأقفز منها الى دنيا المعرفة الرحب . لا احب ان يسجنني احد في (المجمع اللغوي) . اريد ان اخرج الى دنيا الناس وألامس جراحهم بيدي ، وأنصت الى (مجمع) همومهم (وقاموس) احلامهم وحسراتهم . . وأتعلم منهم ابجدية التراث وجوهره ، وأتحسس واياهم جذورنا الحقيقية . واذا كتبت يوماً حرفاً يبقى ، فالفضل يعود الى خروجي من عالم هلامي انثوي مسحور ، يفترض ان تتحرك الاديبة داخل صالوناته ، الى عالم الناس الحقيقيين بكل شراسته وسموه وسقطاته ونزفه .

لقد كانت الصحافة دائمًا ذلك الشريان الذي يحمل الى حروفي طعم الحقيقة الدامي ، بعيداً عن أوهام سجينات المخادع (ومآسيهن) المضخمة بالذات المتورمة .

انا اعرف ان الصحافة للأديب كالنار ، قليلها يضيء وكثيرها يحرق . . ولكن ، من يحدد مقدار (الجرعة) اللازمة ؟ المشكلة مع بعض النقاد ، انهم يحاولون من اجل (مصلحتك) الادبية ، تحديد جرعات حياتك كلها . جرعات سفرك . جرعات حريتك ، جرعات حبك . ملعقة قبل النوم من الحب ، ملعقتان صباحاً من الحرية ، اربع (حبات) عمل صحافي بعد الغداء ، ابرة (كوكتيل ثقافي) شهرية ، ومضغوطة عزلة فوارة في نصف كأس من الماء المقطر كل أسبوع . وحجة البعض في ذلك ، انهم (يضعون انفسهم مكانك) . ان احداً لا يستطيع ان يكون شخصاً آخر ، وهكذا ،

فان كل انتقاد حسن النية مرتكز على رؤ ية خارجية لسلوك الفنان هو (نقد باطل) .

الابداع لا يأتي على متن بواخر تجارية محددة الدروب والمواعيد ، لكنه يأتي على رؤ وس اصابعه كالحب والكابوس . بعض الادباء يشعرون ان من واجبهم التقيد (بشائعات نقدية) مثل : عدم الكتابة عن الحدث وهو (ساخن) . ضرورة اصدار كتاب كل فترة محددة ، وإلا اتهم بالجدب . ضرورة عدم اصدار الكثير من الكتب في مدى زمني قصير ، والا اتهم بالسهولة بدلاً من الخصب (التحذير من الشيء ونقيضه في آن معاً !!) .

انا شخصياً لا تخيفني هذه المقولات (الخارجية)كلها، ولا تتدخل في عملي سلباً أو ايجاباً ، واجدها هزلية ، مثل الكتب التي تحاول مثلاً تعليم الشاب كيف يتصرف ليلة العرس !

● **هل الأدب العربي في نظرك يمر بمرحلة ازدهار ام بعكسها ؟**

ـ الأدب العربي يمر بمرحلة احتلال . الاديب العربي يتعرض لحالة من القمع الرسمي في بعض الاقطار ، والكتاب يتعرض احياناً لاضطهاد غير عادل ، دون ان تترك له فرصة الدفاع عن نفسه في اماكن كثيرة من وطننا العربي .

ككاتبة وناشرة وصحافية ، اقول لك ، ان الابداع العربي يتعرض لكوابح كثيرة . وكلمة (كوابح) ملطفة جداً . انه يتعرض للمنع والعقاب لأسباب مجهولة غالباً ، والشكوى ليست على العقاب وحده ولكن على أسلوب تطبيقه أيضاً .

بعضهم لا يكلف نفسه عناء التقصي حول الكاتب أو الكتاب او (التهمة) ان وجدت وأوجبت المقاطعة . . الأمر يتم في مناخ من اللامبالاة الموجعة ، وباهمال من يدوس صرصاراً ، وينسى كل شيء عن الأمر او لا يلحظه ! .

ان محاكمة اللص تتم في جو من المسؤولية لا يحظى الأديب به في اماكن عديدة . . وسجن قاتل عملية تحظى بالعدالة اكثر من عملية قتل كتاب أو اعدام مؤلف معنوياً . . الفنان يعدم ثم يحاكم في بعض الاقطار .

معظم الانظمة تحب الأديب (وصّافاً) لمحاسنها ، وترفضه مفكراً حقيقياً أو انساناً حراً يقبلها أو يرفضها . وهذا المناخ يتنامى ، ويجد من (يؤدلجه) ، تحت شعارات (معصرنة) براقة ، وكلمات طنانة ، جوهرها ان الاديب قشة في عصا السلطة .

صحيح ان المبدع يستطيع ان ينمو في الظروف كلها ، كأزهار المستنقعات ، لكن هذا المناخ غير الصحي يدفع بعدد كبير من الموهوبين الى الكف عن الكتابة ، ومغادرة

(مقبرة الفن) هرباً من (المنامات البشعة) .

صحيح ان الادب في جوهره عملية فردية ، لكن الكاتب جزء من المجتمع ، والابداع بهذا المعنى هو عملية جماعية يرفد فيها الجو العام قدرة الكاتب . ولعل ذلك يفسر جزئياً عقم السبعينات ، والثمانينات ، في مجال اعطاء مبدعين من وزن ابناء الاربعينات او الستينات . ثم ان الكساد لا يطال جبهة الفن وحدها ، بل يكاد الابداع يكون متوقفاً في شتى المجالات والحقول . فمناخ اللاحرية هو عملية تعقيم جماعية للفكر الانساني .

١٨/ ٥/ ١٩٨٤

حازم أبيض يستجوب

● **أنا مشخنة بالوطن ، منفية اليه .**

● **أنت لا زلت تعيشين في لبنان في وقت هاجر أو هجر كثير من المثقفين اللبنانيين والعرب الى خارج لبنان . لماذا تبقين ؟ لماذا لا تبقين ؟ كيف تعيشين هذه الحروب ؟**

ـ هل أكون قد انجرفت في « تيار الوعظ » اذا قلت لك أن صمود المرء في بيته ووطنه تجربة تستحق أن تعاش ، بل وقضية تستحق أن يمنحها الانسان عمره وقلمه ؟

ليست بطولة أن نبقى . انه الوضع العادي . وليس جبناً أن يهاجر البعض ، فلعل وجودهم في الخارج يمكنهم من العطاء لوطنهم بشكل أفضل . المهم أن لا تتقطع الجذور وتهيم الروح في فراغ العدم واللاجدوى. ثمة ظاهرة في الحياة العربية بوجه عام تقلقني ، وهي التوهم بأن الرحيل هو الحل السحري للمتاعب كلها . . اننا باستمرار نهدد بهجر الوطن . فاذا تشاجر الانسان ووالده أو حبيبته أو مدير مؤسسته أو النظام السائد أو المجتمع المحيط به (أو مع نفسه) حزم حقائبه ومضى أو هدد بالسفر على الأقل وربما حلم به في لحظات الضيق بشهية سلبية مناقضة لروح المواجهة الايجابية . ثمة شائعة في الوطن العربي ، وهي أنك تداوي متاعبك كلها : السياسية والاجتماعية والنفسانية ببطاقة سفر . ونحن قلما نميز بين رحلة الاستجمام والهجرة . معظمنا يمضي (مستجيًا) على أمل أن يجد عملاً في الغربة . وحين يجده يلتصق به ، ويبذل لأجله دمع القلب وماء الوجه أحياناً ، ويتعب أضعاف ما كان يتعب في وطنه ، ويتعذب في غربته أكثر بكثير مما لو صمد في بلده ، في وجه متاعبه ومصائبه أياً كانت .

وأنا كمواطنة أطمح الى أن أكون جزءاً من تيار يؤكد التزامنا بالوطن قولاً وفعلاً ، دونما تنصل من سقطاته ، فكلنا مسؤول عن بشاعة ما يدور بمعنى أو بآخر ، ولا بريء حقيقياً بيننا بالمعنى المطلق .

أبقى أيضاً لأنني لا أريد لابني أن يكبر دون أن يتعلم اللغة العربية وأبجدية الحياة

العربية . بعض الناس يهاجر لأجل الأولاد . أواجه المشكلة من موقع مناقض . أشعر أن البقاء واجب لأجلهم . لا أريد لطفلي أن ينمو بلا جذور حتى ولو كانت تربة الوطن مخضبة بالدم . ولا أريد أن أنقل اليه صورة جميلة لوطن مزور الحسن . هذا وطنه أمام عينيه ، بحر وجدار ، مذابح وثوار ، نبلاء وقتلة ، فليتعلم ابجديته الحقيقية منذ الصغر ، هنا سيعيش وهنا سيموت ، فليتعلم على الأقل كيف ولماذا .

لماذا لا أبقى ؟ حين أشعر أن طوفان العنف شلني وحولني من بركان الى نبتة عاجزة عن أن تفيد أو تضر سأمضي . وسيكون رحيلي أيضاً من أجل وطني كما كان بقائي هنا هذه السنوات الطويلة المريرة .

كيف أعيش هذه الحروب ؟ أموتها كسواي ، ميتة بعد أخرى . وأنهض من رمادي كسواي لأرمم جدار القلب والبيت ونافذة أفق العمر وزجاجه .

ويوم أشعر أن ميتة أخرى ستقتلني تماماً سأجرب مذاق الموت الآخر في الغربة .

واعترف لك : ثمة جزء مني يحرضني باستمرار على الرحيل يقول لي أن البقاء هنا لكاتبة عزلاء مثلي لم تنتسب يوماً الى حزب أو تنظيم يحميها هو محاولة عبثية بائسة المرارة لا معقولة ولا مجدية . ولكن انا امرأة مثخنة بالوطن . أنا امرأة منفية الى الوطن ولا نجاة لي في ما يبدو .

● **عرفت لبنان قبل الحرب وأثناءها : كيف تذكرين تلك المرحلة السابقة ؟ بالحنين ؟ بالادانة ؟ بالحب ؟ وكيف تعيشين لبنان اليوم بالنسبة الى لبنان الأمس ؟**

بمبضع الحياد ، أشرح جسد الذكريات بقسوة جراح في مختبره . أحاول أن أفهم الواقع في صيرورته الجدلية دونما بكاء أو تصفيق ، وأتعامل مع الماضي خارج أرض الحنين أو الادانة ، على أرضية تطمح الى مستقبل أفضل .

لقد منحت بيروت الحنين والادانة والحب في أعمالي . . « لا بحر في بيروت » و «بيروت ٧٥ » و « كوابيس بيروت » . والآن أجرب تحويل خبرات الماضي الى منارات مستقبلية بدلاً من حائط مبكى مكرس لأهل البكاء على الاطلال ، ما كان ، كان . المهم الآن انقاذ مستقبل لبنان من ماضيه ! المهم تحرير لبنان ولكن ليس تحريره من الحرية ، ولا من أهله .

● **الحرب تلوث على شكل أو آخر . هل لوثتك ؟ بماذا ؟ كيف ؟**

ـ لوثتني الحرب بالحقد ضد المصرين على أن يدوسوا الديمقراطية والحوار بجزماتهم محتكمين الى السلاح أثر أي خلاف محولين حياتنا علفاً للنار ومجرد « ساحة » حرب ،

ناصبين مدافعهم فوق شرفاتنا وداخل ثيابنا وحقائب أطفالنا المدرسية ، ومصرين على اقناعنا بأن الدرب الى الحرية تمر من فوق حطام المدن كلها وعلى جثثنا . وكل من يجرؤ على رسم سهم يشير الى جنوب لبنان والى فلسطين ، مطالباً ببعض النقد الذاتي يتهم بأنه عميل للعدو الشرير المسؤول وحده (طبعاً) عن مصائبنا كلها، وأعتقد أن من واجب كل من يزود مقاتلاً ببندقية أن يزوده بخارطة معها ، تبين بوضوح موقع ساحة المعركة الحقيقية بعدما تعددت الاجتهادات وتناسلت الأخطاء والمذابح .

● والحرب تطهر على شكل أو آخر : هل طهرتك ؟ لماذا ؟ كيف ؟

ـ طهرتني من حسن الظن الذي كانت تنتابني نوباته من آن الى آخر ، وأعادتني مواطنة في بلاط العذاب البشري متلاحمة مع أخوتها في العذاب ، والرفض لأشكال القمع كافة . أكثر من أي يوم مضى أنادي بأولويات النضال من أجل الديمقراطية والحرية والعدالة الاجتماعية ، وكل (مولود نضالي) لا يولد في مناخ الديمقراطية سيأتي مشوهاً ويضل طريقه . كنت فيما مضى قادرة على غض الطرف عن بعض التجاوزات من باب حسن الظن والتحرق الى بلوغ هدف نضالي ما ، أما اليوم فلا . صرت واثقة من أن الغاية لا تبرر الوسيلة أياً كانت الغاية المقدسة. فالوسيلة والغاية كالتوأم السيامي ، لا حياة لأحدهما بدون الآخر . والاستراتيجية النبيلة لا تبرر أي خلل في ديمقراطية التكتيك .

● في الحرب يموت الفرد أو يغيب ، لتعود الجماعة ويعود صوتها الواحد . أين أنت من كل هذا ؟

ـ أتساءل : ماذا (فعلنا) في المستقبل ؟ وماذا (سنفعل) في الماضي ؟

وأيهما أكثر وضوحاً ، صرخات العنف القادمة من حناجر بشرية وحناجر معدنية تعوي ناراً جماعية ، أم تلك الكلمات المتحجرة التي نسمعها بوضوح عبر شفاه مطبقة لوجه منفرد صامت ؟

أنا أنتمي الى فئة الأكثرية ذات الشفاه المطبقة على كلمات صخرية . الا تتفجر الينابيع من قلب الصخر ؟

● وأنت تحتمين من القصف والمدافع والصواريخ : عـلامَ خفت ؟ بماذا هجست في تلك اللحظات الحاسمة ؟ أين كنت ؟

ـ القصف كالحب ، لكل(حفلة) قصف مذاقها الخاص وردود الفعل غير المتوقعة . أحياناً يتتابك الذعر ويصير قلبك طائراً يحلق في قفصه مصطدماً بجدرانه وتكاد تغص به . وأحياناً تتدفق منك لا مبالاة خارقة وتكتشف شخصاً آخر في أعماقك يضحك

ساخراً من كل ما يدور .

مع قصف العدو تشعر بالغضب أكثر من الرعب . ويبدو مذاق الموت أقل مرارة ولكن بالتأكيد غير مبهج .

مع القصف المحلي تشعر بالمرارة والحزن ممتزجين بخوف بائس وضيع يشوبه بعض الندم . ستموت مجرد ضحية أخرى ، وكنت تتمنى لنفسك ميتة أكثر معنى . وأنا لا أحس أن طعم الموت في أمر عظيم كطعمه في أمر تافه . وحتى في تلك اللحظات بين بريق الخنجر والطعنة ، يظل الدماغ واعياً هاجسه الداخلي : لأجل من ؟ لأجل ماذا يستقر النصل في احشائي ؟

تسألني أين كنت ؟ في البداية جربت الملجأ مرة واحدة ، فغمرني حس مذهل بالخوف . خفت من الملجأ أكثر مما أخافني القصف ولا أدري لماذا . وصرت احتمي بأحد الممرات في بيتي . تنتابني أحياناً مشاعر صغيرة ومخاوف مضحكة عملية . أتأمل الممر وهو يرتجف في عتمة القصف وأفكر : هل من الأفضل فتح هذا الباب أم اغلاقه ؟ واذا تركته مغلقاً قد يفجره ضغط الصاروخ ويهشمني واذا أغلقته قد يحميني من شظايا قنبلة تنفجر في الجهة الثانية من البيت . أنهض وأفتحه ثم أعود لأغلقه . ولأنني مغرمة باللوحات ، فهي تغطي حتى جدران المطبخ في بيتي والحمام والممرات ، وأفكر : ماذا لو أطاح الانفجار بهذه اللوحة وقتلتني بضربة على رأسي ؟ أنهض عن الأرض واحملها مقدرة (وزنها) وأعيدها الى مكانها دونما طمأنينة . أعود لأتأملها في قلق ، ماذا لو هوى « رفيق شرف » فوق رأسي ، أو سريالية «بوش» المعلقة الى يميني أو لطمني « فان غوغ » على جنبي ؟ وماذا لو انهار المدخل وبقيت سجينة هذا الطرف من البيت بلا طعام ولا ماء ؟ وأتسلل نحو المطبخ والانفجارات تزلزل البيت لأحضر زجاجة ماء ورغيفاً . وماذا لو جرحت في الانهيار ولم أمت وتعذر انقاذي ؟ وأعود لألملم من البيت كل ما فيه من مسكنات ومنومات وأقرر مواجهة الموت بالاسلوب المناسب . يحدث ذلك دائماً في نصف الساعة الأول من القصف ، وبعدها أتأمل الممشى كأنني أراه للمرة الأولى ، وقد أحكمت اغلاق أبوابه ، ومددت اللوحات على الأرض كالجرحى . أشعر أنني داخل تابوت واسع قليلاً ، ولكنه تابوت . لا بل هو أشبه بالقبر . وأغضب ، طالما حلمت بأنني يوم أموت سأدخل الى موتي فوق حصان أبيض مثل عروس ذاهبة الى حبيبها . سأزف الى موتي كأميرة أسطورية تعانق حبها الوحيد الصادق ، متلهفة لعناقه ، دونما وجل . . وها انا الآن مدفونة قبل أن أموت داخل قبر أغلقت بيدي أبوابه وأوسدت

رأسي الى ظلمته . أرتعد كقط شتائي مبتل . هذا الشعور صار مؤخراً هاجسي ، وصار الممر يخيفني كالملجأ تماماً . وصرت ألجأ الى البحر في لحظات القصف ، ولا أشعر بالأمان الا وأنا واقفة على شرفة بيتي المطلة على البحر . وهكذا حين يبدأ القصف يرقص قلبي مثل بدائي لا يدري ما يجذبه الى العاصفة ، وأخرج الى الشرفة ، أحدق في الموج وبعد لحظات أحس طعم الملح في فمي ، ويلامس وجهي ماء البحر كيد حنون ، وأدفن نفسي في زرقته ولا أعود أسمع صفير الصواريخ ودوي الانفجارات بل صوت الموج المرتطم بالصخور ، ولا أشم رائحة الهشيم والحريق بل رائحة الماء البحري الكوني الشاسع ولا أرى سيارات الاسعاف التي تكنس القتلى ، بل أتأمل الأسماك الملونة الجميلة تركض في القاع . ويغمرني حس بالسلام .

في القصف تدور مسرحيات مذهلة مترنحة بين البكاء والضحك ، مرة فاجأني القصف وأنا في الشارع، فهبطت الى أول ملجأ . وتصادف أن كنت مصابة بالزكام ، فزجرتني عجوز في الملجأ وقالت انني سأصيبها بالعدوى ! غادرت الملجأ نصف ضاحكة ونصف غاضبة وركضت في الشارع ، ودوى انفجار رمى بي الى الأرض ، وحين التفتُّ الى المبنى الذي كنت أحتمي بالملجأ الخاص به شاهدته يتداعى ويهوي على الأرض مثل بيت من الكرتون داسته قوة لا مرئية محولة الملجأ الى قبر للأشياء . وما زال وجه تلك العجوز التي زجرتني وطردتني من الموت يلاحقني . أم تراه الزكام أنقذني لا أكثر ؟

● **لو قلنا لك : تذكري . ما الذي يمكن أن يلمع في ذاكرتك الآن ؟**

ـ انني عشت عمري كله ولم أضع ورقة واحدة في صندوق اقتراع . كلهم يتكلم باسمي ويصادر حنجرتي . كلهم يقاتل باسمي كلهم يحكم باسمي ، ويضطهد الناس باسمي ، ولم يسألني أحد يوماً رأيي . حسرة عمري أنني سأموت قبل أن أضع في صندوق اقتراع ولو ورقة بيضاء واحدة .

● **ولو قلنا لك : انسي أو تناسي ، ما الذي تودين أن تنسيه ؟**

ـ أود أن أنسى آلاف السذج الذين سقطوا في المعركة الخطأ ، في المكان الخطأ والزمان الخطأ واهمين أنهم شهداء ، لا ضحايا فقط تسببوا في سقوط ضحايا آخرين أكثر براءة منهم ـ ذنبهم الوحيد أنه تصادف ان كانوا هناك ـ أود أن أنسى حزني عليهم ، وحزني منهم .

● **كتبت في زمن السلم وكتبت ولا زلت في زمن الحرب كيف كتبت في الزمنين ؟**

ـ لا أظنني كتبت في زمن السلم . لا أظنني أعرف طعم السلم الحقيقي ولا أظن عربياً جربه . لقد فتحنا عيوننا على وهج حريق ضياع فلسطين وواكبتنا الهزائم التي نخترع لها أسماء ملطفة مثل (نكسة) وغيرها ، وكتبنا في الحرب الساخنة والباردة ، الحرب مع العدو ومع الصديق ، وعرفنا القصف الاجتماعي والمتاريس الفكرية . وألفنا مواجهة حرب القمع بصوره كلها من ساخنة وباردة وفاترة ووقفنا ضد القناصين المصوبين أظافرهم لاغتيال كل ما هو انساني ونبيل ومشرق في الحياة . وعرفنا درب الأبجدية المفخخة ضد الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية وكل من يحاول التحرك صوب تلك المنارات . أنا لم أعرف غير زمن واحد هو زمن الحرب . ولا أعرف ماذا يمكن أن أكتب لو عشت سلماً ما . وأتخيل أحياناً أنني لو ولدت في وطن آخر مزدهر آمن لما كنت قد كتبت .

كأن الكتابة حرفة المعذبين ، وسلاح المسالمين !

● يقال أنه في زمن السلم تندلع حرب الكتابة وفي زمن الحرب تندلع كتابة الحرب ، ويقال أنه في الزمن الأول تنتصر الكتابة وفي الزمن الثاني تنتصر الحرب . ولعل هذا ما يفسر قول رينيه شار بعد انتهاء المقاومة الفرنسية ضد النازية « انتهى الزمن الميت للشعر » .

ـ وهذه نظرة جميلة الصياغة ومنطقية ، ولعل علتها تكمن في أنها منطقية جداً والابداع نبتة المفاجأة ووردة الدهشة . الابداع تجاوز مستمر لكل منطق سابق ، وكشف عن منطق (لامنطقي) لم نلحظه من قبل . وكل مبدع هو كذلك لأنه كسر قاعدة كنا نظنها شرطاً لازماً للابداع كاشفاً عن امكانات (تحليقية) لم تخطر لمن سبقه ببال . شكسبير كسر (الوحدات) الأغريقية للمسرح لكنه حلق بجناح جديد غير تلك المتعارف عليها حتى يومه . كريستوفر مارلو كسر لغة المسرح التقليدية حتى يومه وفرض اداة (البلانك فيرس) . والشواهد الأخرى المشابهة لامتناهية . بل ان تاريخ الابداع الفني هو تاريخ الانسان مع تجاوز المألوف من الأفكار والأساليب واستنباط جديدها الذي سيتحول الى قاعدة فيما بعد تنتظر مبدعاً جديداً يتجاوزها .

هذا موقفي المبدئي من القواعد النقدية كلها . الاطلاع عليها واجب لكن تجاوزها ممكن . تقول الكاتبة ديان داويتفاير في كتابها عن صناعة الرواية : « المكان المثالي للكتابة هو حديقة شاليه حيث يكون المرء في معزل عن الضوضاء ومضايقات الحياة اليومية التي تقطع على الفنان حبل أفكاره وتدمر بسهولة عالمه الروائي » . ولكن

هل كتب جان جينيه ودوستويفسكي وغارسيا لوركا وديكنز وسبنسر وميلتون في ظروف كهذه ؟ وهل لحن بيتهوفن وشوبان وبرامز في هذا الشاليه الوهمي ناهيك عن شوستاكوفيتش الذي أعطى أحلى سيمفونياته وكتبها في حالة حرب وحصار ؟ وبايرون الذي ذهب الى اليونان وقاتل برداءة ، ألم يكتب شعراً جميلاً هناك رغم افتقاره الى (حديقة الشاليه) اياها ؟ يخيل الي أن الابداع ليس بالضرورة طفل الأوضاع المثالية وما دمنا لا نستطيع اختيار العصر الذي نعيش فيه فليس أمامنا الا أن نحاول باصرار أياً كان زمننا .

ترى هل كان محمود درويش يكتب بشكل أفضل لو كان مليونيراً سويسرياً أو لو ولد قبل احتلال فلسطين بنصف قرن مثلاً ؟ وهل عرفنا سلاماً عربياً قبل نصف قرن وهل سنعرفه بعد نصف قرن على الأقل؟ هل نعلن حرب الماية عام على الشعراء ونمنعهم من الكتابة تحت طائلة سوقهم الى الأمية الاجبارية ؟ هل نحاكمهم بتهمة عدم امكانية الابداع في ظروفنا الحالية أم نتركهم يجوبون المستحيل الذي هو حرفة الابداع وزهره الخارق ؟

يقول دوستويفسكي : « لا أستطيع أن أتصور كيف يقدر أي أديب على الكتابة بسرعة كبيرة ، ومن أجل الحصول على المال » ، ولكن دوستويفسكي نفسه أقدم على ذلك مراراً وأعطانا بعض أجمل أعماله .

ترى لو كانت ظروفه أفضل يومئذ ، أكان سيكتب تلك الأعمال بصورة أفضل ، أم تراه كان سيصرف النظر عنها ؟ لا ندري . وأنا لا أدري حقاً أيها أفضل : كتابة ما يشعل أصابعنا ، أم تركه يختمر؟ ما معنى (الاختمار) الحقيقي ؟ هل ثمة قاعدة عامة تنطبق على الكتاب جميعاً دونما استثناء أم أن (الزمن الفني) قضية شخصية ؟ وما يعتبره البعض زمن الضرورة (الاختمارية) قد يكون بالنسبة لأمزجة كتابية أخرى عملية اجهاض تنتج (خلاً) لا (اختماراً) ابداعياً ؟

يبدو لي الأمر أحياناً على النحو التالي . ثمة تياران نقديان بارزان : الأول يدعو الى سوق الأدباء للخدمة الأبجدية الاجبارية ، والكتابة الفورية ، ويعطونهم مقاسات (الأدب) المطلوب تفريخه مفصلة على مقاسات نظرية سياسية ما . ويميل هذا التيار الى تخوين من لا يكتب معتبراً صمت الأديب اشارة عدوانية ومطالباً باعدامه اذا كتب ما لا ينطبق على حساب حقل النظرية ولا يخدم أغراضها السياسية .

التيار الآخر ينادي بضرورة الاقلاع عن عناق الحدث الآني وضرورة تركه ليتخمر

في وجدان الفنان داخل بوتقة مسافة زمنية تبعده عن الفقاعات اليومية للاشياء .

التيار الأول أرفضه نقدياً لأنه غير معني بالابداع ، بل بتوظيف المبدع في حقل السياسة حتى ولو سطر أشياء رديئة . وبعض (النقاد) يتكفلون بالتستر على هذه الرداءة واختراع محاسن لا منظورة لها وفضائل لا يلتفت اليها القراء (العامة) .

أما التيار الثاني (ضرورة ترك الحدث حتى ينضج في وجدان الفنان) فهو مقبول نقدياً من حيث المبدأ ويستحق الاحترام ـ وافقناه أم لا ـ لأنه معني حقاً بابداع فن أصيل وينطلق من منطلق الحرص على القيم الفنية والابداعية .

التياران يشتركان في أمر واحد يستفزني : اصدار الأوامر للأديب . أولهما يأمره بالكتابة ، والآخر يأمر بتأجيلها . وهكذا فانني أرفض التيار الأول بشكل مطلق الا اذا كان الفنان قد اختار أن يكتب وهو مؤمن حقاً بما يسطره . وفي هذه الحالة لا أعتقد أنه سينتج بالضرورة عملاً فجاً ما دام كل حرف يخطه قادماً من قاع قناعاته غير المزورة بعيداً عن حسابات الربح الآني . فاليقين نبع ابداع للفنان .

أما التيار الثاني فلا أرفضه بشكل مطلق ، وأجده قابلاً للحوار والمناقشة .

ولكن وكما أرفض أن يرغمني أحد على الكتابة ، أرفض أيضاً أن يرغمني أحد على عدم الكتابة ويتدخل في توقيت أحدسه كما تحدس الطيور مواسم الهجرة وكما يجد السنونو دربه الى الربيع .

وأظل أؤمن بأن حرية الفنان هي الركيزة الأولى لأي ابداع ممكن ، حريته في الاختيار ، وفي الخطأ ، وفي اكتشاف بوصلته الداخلية .

١٨/ ٦/ ١٩٨٤

عاصم الجندي يستجوب

● «ليلة المليار» صرخة من أجل الحرية والديمقراطية .

غادة السمان ، الكاتبة والانسانة تظل مثار جدل ، بين متتبعي أعمالها . الا أن الحقيقة التي لا ريب فيها ، هي أنها تركت بصمات ، واضحة ، في دنيا القصة العربية . وأنها احتلت هذا الموقع بجدارة وعمل دؤوب متواصل .

● غادة السمان، وبعد عشرين كتاباً ، مرت على كل الضفاف ، وأعطت في كل الاتجاهات . الا أن لكل كاتب هماً ، هاجساً يسكنه ، ويحس أنه لما يصل الى حقيقته بعد .

.. الوطن ، الحب ، قضية المرأة ، أم أن ثمة ما هو أبعد من مدى التحديد ، لما ترودي ضفافه بعد ؟ .

ـ أعترف بأن « قضية المرأة » لم تكن يوماً هاجسي ، بل هي من بعض هواجسي . . وصرت أراها كجزء من (كلّ) شاسع هو « قضية الانسان العربي » . . لا أرى للمرأة أي خلاص خارج اطار الخلاص العام ،ولا حرية للمرأة الا ضمن اطار تحرير كل معذب ومضطهد و (مقموع) وكادح . . وربما كان ذلك اليقين وراء ابتعادي عن كل تجمع نسائي خارج اطار تنظيم يهدف لتحرير المقهورين جميعاً . . لا المرأة وحدها . . . وبهذا المعنى فأنا أجد مهمة تحرير المرأة ملقاة على عاتق « الانسان الثوري » لا (الأديبات) . . .

والحب لم يكن يوماً هاجسي الأوحد . . لكنه أيضاً بعض هواجسي . . وحينما أقول « الحب » لا أعنيه بالمعنى الضيق ، بل بالمعنى الشاسع للكلمة . . فالسياسة في نظري مثلاً هي فن حب الجماهير . . والمقاومة فعل حب نحو المجتمع . . والثائر عاشق كبير لشعبه .

وحينما انفرد بصوت قلبي، أجد أن هواجسي كلها تصب في بحر واحد شاسع لضفافه أسماء عديدة : حرية الانسان . العدالة الاجتماعية . رفض القمع . كراهية انفراد أحد بالسلطة . الجوع الى الديمقراطية ورفض أقنعتها . الحقد على الازدواجية أياً كان من يمارسها . رفض (المتوارثات) اللاعقلانية وعلى رأسها الطائفية . . الى آخره .

هل « الحصار » هو الكلمة ؟ أليست طاقاتنا مكبلة بتلك الأهوال كلها ، نكاد نقضي العمر في قرض قيودنا دون أن نحقق ذاتنا وطنياً أو فنياً أو نضالياً، كل في حقله ؟ هل « الحرية » هي الكلمة ؟ الحرية بمعناها الشمولي وضمن شرطها الانساني المسؤول ، لا حرية طبقة في مص دم طبقة أخرى تحت شعارات متوارثة أو مستحدثة دنيوية أو دينية ؟ . .

في روايتي الجديدة «ليلة المليار» محاولة لالقاء القبض على الخنجر المغمد في صدر زمننا . . انه القتيل الخارج من رماده ، متأملاً وجوه المتباكين عليه وكل منهم قد سبق وطعنه ، وكلهم حاول قمعه بأساليب مختلفة ، باسم المقدسات تارة والمحرمات أخرى . .

● **غادة الأكثر مبيعاً بين كتّاب العربية ، أو من الأكثر مبيعاً اذا شئنا التحديد . رغم قسوة تعبير البيع والشراء في دنيا الكلمة أحياناً .**

ما هو شعورك كلما عرفت أنك احتللت المرتبة الأولى في معارض الكتب. وهل لهذا كبير تأثير فيما تكتبين ؟

ـ كل حقيقي لا يصدمني . تعابير البيع والشراء تصور بصدق الحد الأدنى الممكن من العلاقة بين الكتاب وشاريه.. وما دمت أقدم أنا على طبع « السعر » على الغلاف الأخير من الكتاب فهذا يعني ضمنا قبولي بتلك العلاقة . . ان من يشتري كتابي لا يشتريني بالضرورة، لكنه يستطيع أن يستعمله كديكور أو مسنداً للعتبة . . البيع والشراء مرحلة بدائية أولى بين الكاتب والقارىء ، ومن يقرأ سطوري وما بينها يرفع مستوى علاقتنا الى الصداقة الانسانية ، حيث تتحول الحروف الى شرايين توحد دورتنا الدموية الفكرية .

قلها بكل قسوتها : بيع وشراء . فعيني لا تخجل مما تقدم عليه يدي . . ولكل مهنة مخاطرها ، ومن مخاطر مهنة الكتابة تعريض حروفك للاستعمالات كلها ، ابتداء من حفظها في قلوب قرائك وانتهاء باكتشافك لأحد كتبك ذات ليلة ماطرة تحت دواليب سيارة موحلة . . . رغم كل شيء ، فكل قارىء تعني كلماتي له شيئاً ، يحولها من مادة استهلاكية الى فعل انساني. . وهكذا فالبيع والشراء مرحلة واقعية لا بد منها للحصول

على لقاء انساني وقارئك . . لقد كان والدي استاذاً في الاقتصاد السياسي ، وقد علمني منذ طفولتي « قانون العرض والطلب » ونبهني الى أن الأمر ينسحب أحياناً على المشاعر البشرية ، وهكذا ألفت منذ زمن بعيد التعابير الاقتصادية ، والتفسير المادي للأشياء ، وليس لدي أي نفور (رومانسي) من الرغيف أو الكتاب لمجرد أننا نبتاعهما . . . وما يرعبني حقاً هو عمليات البيع والشراء لشعوب بأكملها تحت شعارات تصعيدية طنانة .

أما عن شعوري نحو اهتمام القراء بأعمالي فلن أتستر عليه بالتواضع المزيف . انه أمر يسعدني ويخيفني في آن معاً . . أشعر بالمسؤولية ، وبالحاجة الى مضاعفة ساعات عملي وقلقي كي لا أخسر قارئي . . فأنا من الكتّاب الذين يحترمون (الجمهور العادي) لا (النخبة) وحدها . . ولست من الذين يعلنون بعجرفة انهم يكتبون لأنفسهم . . لو كنا حقاً نكتب (لذواتنا) ، فلماذا ننشر ؟

● **انتهيت من كتابة روايتك الجديدة .**

ما هي أبرز سماتها ، وبشيء من التفصيل اذا أمكن . وهل ستكون ، عمل العمر ، كما يقولون ، هل تجاوزت فيها كل « الكوابيس » السابقة ؟ .

- روايتي الجديدة اسمها « ليلة المليار » . . تدور أحداثها في فترة حصار بيروت ، لكنها تدور بمعظمها خارج بيروت لترسم (الحصارات) الأخرى التي يتعرض لها الانسان العربي من قوى القمع ، التي جعلت حصار بيروت أمراً ممكناً . . انها صرخة من أجل الحريات الديمقراطية ، كي لا يضيع النضال في الشرذمة حين تنتقل اليه عدوى ممارسات القوى القمعية . . . وكي لا يتحالف المرء وعدوه ضد ذاته دون أن يدري . . . هذا أحد وجوه الرواية . . وكل رواية يمكن أن تقرأ على مستويات مختلفة . .

هل هي « عمل العمر » ؟ .

لا أميل شخصياً الى هذه التسميات . حينما أنتهي من كتابة عمل ما أشعر بأن علاقتنا انتهت . . أشعر بحزن الوداع لابطال عايشتهم وألفتهم وانتهى الأمر . . أغادر الرواية وعيني على العمل التالي . . وأنا منذ الآن أخطط لروايتي الجديدة اللاحقة . لا أظنني سأتورط يوماً في تحديد « عمل العمر » لأنني - بصدق - لا أسقط فريسة الرضى أثر أي عمل كتبته حتى الآن ، ولا أظنني مؤهلة لذلك . . . يبدو أنه سيكون على النقاد اداء هذه المهمة عني بعد موتي اذا كان ثمة من يهمه ذلك . . أما أنا ، فلا . . لا أعرف عن أعمالي أكثر مما تعرفه النبتة عن علم النباتات ، أو السمكة عن الوزن النوعي لماء البحر ، أو النورس عن الفصول الأربعة . . . وكل ما يدريه النورس هو أنه يطير وفقاً

لبوصلته الداخلية التي يجهلها بقدر ما يخلص لها . . ويعيها لكنه لا يستطيع تأمل طيرانه من الخارج بنظرة باردة محايدة .

● في زحمة « الانتكاسات » التي مرت بوطننا العربي ، منذ منتصف الستينات وحتى الساعة ، تطل شمس المقاومة الوطنية اللبنانية من الجنوب . كيف هو شعورك ، كلما سمعت باحدى عملياتهم البطولية ؟ وهل بلغت حدود الكتابة عنها ؟ أم أنك ما زلت تعيشين الحالة ، بانتظار أن تختمر في أقبية البوح ؟

ـ بلغت حدود الهمس ، ولا أظنني سأغادر ذلك . . صرت أخاف على ما أحب من سم الأبجدية . . بعد تجربتنا المريرة نحن الأدباء أعتقد أن علينا أن نتحلى بفضيلة « ما قل ودل » حين نتحدث في أمور المقاومة . . اعتقد أن الأدباء العرب يتحملون قسطاً كبيراً من المسؤولية عن أخطاء المقاومة الفلسطينية في لبنان . . لقد حملناهم فوق سحب خطابية واسبغنا عليهم القاب الآلهة ، ـ ولعل بعضهم من الشهداء الحقيقيين الاحياء والأموات كان يستحق ذلك ـ ، لكننا ساهمنا في تنمية طبع خطر لدى البعض الآخر هو رفض النقد . وكنا نكيل المديح البلاغي لهم ولا نلحظ أننا نسقي بعضهم سم الغرور .

المقاومة كالمحبة ، يجب أن تمارس بصمت ، واذا كان لا بد من الكلام ، فليكن خافتاً كالصلاة ، بعيداً عن المبالغة سلباً أو ايجاباً ، وحذار من (ركوب الموجة) ثانية ، ومن التوهم بأن كل مناضل هو بالضرورة شاعر . . ومن بقية أخطاء المرحلة السابقة .

- ٤ -

من كل بحر موجة

● الكتب الحقيقية ليست بنت الثرثرة اليومية والنهارات العادية ، بل بنت الظلام والصمت .

- مارسيل بروست -

● حينما يطبق الانسان مقياس الذكاء ، والذكاء فقط على اي شيء ، يحطمه بالتأكيد .

- تولستوي -

● الكلمات هي كل ما نملك .

- صموئيل بيكيت -

شتاء ١٩٦٨

جورج عبيد يستجوب

● « التعايش السلمي » صعب بين حقيقة الفنان والأقنعة الاجتماعية .

غادة السمان - اديبة ، اجمع على قدر عطائها المعنيون بالأدب ، والواقع ان هذه القائلة : « لا بحر في بيروت » . قد اعطت ادبنا الحديث شيئاً جديداً ، بل اشياء جديدة تختصر في رأيي ببعض ما يلي :

لقد اعطت ادبنا النفس الذاتي الفذ ، وليس هذا مما يرى كثيراً في نتاجنا المعاصر .

لقد اعطت ادبنا روح النكتة . فالنكتة عند غادة فن قائم بذاته ، بل هي صورة لروحها واصدق تعبير عن تلك الروح التي تسخر من كل شيء ، حتى اذا اعياها الموضوع ارتدت الى نفسها تهزأ بها الى حد العبث .

غادة السمان اعطت ادبنا المعاصر التنوع . فمن القصة الى المقال ، الى الصحافة مجموعة تدل على ان في نفس اديبتنا غادة غنى تعهدته الثقافة المتعمقة، وزاده الاختبار نضجاً وسبراً لغور الانسان . وهنا اصل الى ما اعتقده قوام الادب عند غادة السمان ، واعني به الاختبار فأدب غادة هو أدب التجربة الحية . ليست صاحبة « عيناك قدري » ممن ينقلون من التصانيف ولا ممن يقلدون ، وانما هي بدعت نفسها معنى ومبنى . ولعل روح الابداع في ادبها راجع الى كونها قد اختبرت في اسفارها وفي اتصالاتها بالناس والكائنات على اختلاف ألوانهم ومذاهبهم ، ما لم يتح اختبارها لسوى الاقلين من ادباء وغير ادباء .

الكلمة عندها ليست من اشتقاق المعاجم ، بقدر ما هي من اشتقاق التجربة واذا كانت المقارنة تجوز ذهب بنا القول الى ان ادب غادة السمّان يذكر بأدب البطولة وادب

المغامرة وادب الاختبارات النفسية والجسدية العنيفة التي عاناها جيل من ادباء الغرب في اعقاب الحرب العالمية الأولى .

● **الآنسة غادة . . ما هو موقفك من التيارات الفكرية في لبنان ؟**

ـ سؤالك يفترض ان في لبنان ـ او اي بلد عربي آخر ـ تيارات فكرية محدودة المعالم والجذور والمنابع والمصبات وبالتالي المواقف ! وهو امر اخالفك فيه الى حد بعيد . والدليل هو الانقسامات التي تفرق بين افراد التيار الواحد الى مئات ، ان لم اقل ان كل فرد لدينا تيار قائم بذاته !

وموقفي هو بالتالي موقف المنادي بتحويل « الرذاذ الفكري » الذي نعاني من تشتته ، الى تيارات فكرية تغتني انسانيتنا بنقائها الحر المنفتح والواعي . حيث لا يكون الفكر عبداً لمصالح الفرد ، وانما يكون الفكر سيداً ومخططاً وموجهاً . وما تزال معظم المواقف الفكرية لدينا مجرد اقنعة سياسية او اجتماعية « مستوردة » او محلية الصنع لا فرق . . . وهذا يفسر التناقضات بين الأقوال والافعال ، ويظل لبنان على اية حال افضل حالاً من اكثر البلدان العربية ، ما دمنا على الأقل قادرين على ان نصرح بذلك !

● **في اي من التيارات تتوسمين الخير ؟**

ـ اتوسم الخير في تيار لما يتفجر بعد ، لكنني احس بتدفقه تحت جلدنا كما تهدر بعض الانهار الباطنية طويلاً تحت طبقات الارض ثم . . تتفجر . . . وبحاسة الخيول الوحشية لحضور الأنهار الباطنية ، أعرف انه هناك . . . اسمه ؟ ما الفرق ! . . صفاته ؟ . . . فلتكن أياً كانت ، فأنا ككاتبة انادي بما ينادي به اي كاتب في اي عصر : الحرية ، الحرية . اي العدالة . اي الحب . اي الجمال . الحرية التي اتحدث عنها ليست الفوضى . عن الحرية المسؤولة اتحدث !

● **هل يعتبر ادبك ملتزماً . وفي اي مجال ؟**

ـ ذلك يتوقف على ما يعنيه الالتزام لك . قلمي حر بمعاني الكلمة كلها ، وبمعناها الاساسي : المسؤولية . انا التزم حريتي ، وحريتي تختار ، التزامي هو بالحقيقة كما أراها ، التزامي هو بذاتي ، اي انه التزام داخلي ، ينبع من قناعاتي ، لا التزام خارجي بفعل ضغط قد تمارسه اية سلطة على الاديب تحت شعار « الالتزام » . فذلك اسمه « الالزام » لا « الالتزام » ، ومن الضروري التمييز بينهما ، فالفنان أياً كان هو ملتزم بالضرورة ، اي بحكم كونه فناناً ، الفنان الحقيقي هو فرد مرهف الانسانية وهو بالتالي لا يملك الا تحسس ما يدور حوله ، الانفعال له او ضده ، اي ان الفنان لا يملك الا ان

يكون ملتزماً بانسانيته وانسانيته تفرض عليه الانفتاح على عالم الآخرين ، عالمه ، شاء ام ابى . . .

اما الالزام فهو توجيه بعض السلطات للأديب ، وتوظيفه في خدمتها ، مما يقتل ابداعه ، ويحول نتاجه يوماً بعد يوم الى بلاغات ميتة الوهج لأنها أجيرة . .

● **ومشاريعك الادبية ؟**

ـ يجهضها الحديث عنها . يفرغ بعض شحناتها . ثم ان الحديث عن نتاج لما يصدر بعد ، هو التنبؤ بمستقبل جنين لما يتم وضعه ! وامه نفسها لا يحق لها ذلك !

● **انسان اليوم يسأل الناس عن رأيهم فيه ، باذلاً جهوده لتغطية حقيقة ذاته عنهم ، ولا يجرؤ في سره او علنه ان يواجه ذاته ويسألها عن ذاته . . لماذا برأيك ؟**

ـ ما تقوله لا ينطبق في رأيي على انسان اليوم فحسب ، وانما ينطبق على الانسان في كل زمان ومكان وبدرجات متفاوتة طبعاً . . . . ولعل سقراط حينما قال : « اعرف نفسك » كان من الأوائل الذين اشاروا الى تلك المسرحية الموجعة المسماة « المجتمع » التي يدفع لها الانسان أتاوة من « حقيقته » ، والى الانسان ، ذلك الكائن الضعيف الجبار في آن واحد ، الجائع الى توكيد الذات عبر الآخرين المرايا . . . اما الحد بين الوجه الحقيقة والوجه القناع فقد يضيع احياناً ، وقد يتشابك ، ولذا فإن دعوة « اعرف نفسك » ليست مطلباً سهلاً ، وربما كان بعض الانبياء والفلاسفة من البشر القلائل الذين توصلوا الى عقد صلح ذاتي ، صلح بين حقيقتهم وبين متطلبات المجتمع منهم وبالتالي الى ما يدعونه بالتكيف . . والمأساة ان التكيف يتطلب ارتداء الاقنعة . . و « التعايش السلمي » بين حقيقة رغبات الانسان وبين وجهة نظر المجتمع الى رغباته « النابعة من الحقيقة » ، ذلك التعايش السلمي شبه مستحيل . . وهو مفقود تماماً لدى الاطفال والمجانين الذين يعجزون عن ممارسة هذه اللعبة ـ المهزلة . . .

وهي ايضاً مفقودة ـ بدرجات مختلفة ـ لدى الفنانين . . اذ ان ولاء الفنان للحقيقة هو دوماً اكبر من ولائه للواقع . . . والحقيقة لا تطابق الواقع الا في عوالم « اليوتوبيا » الخيالية . . ومن هنا الصدام ، والمأساة ، ورفضه الصلح مع الوجود ! .

١٨/ ١٠/ ١٩٧٤

عبلة الخوري تستجوب

● أحلم بأن تصبح الطفولة ممكنة .

بقلم مسنن الرأس ، حاد الخطوط ، ترسم لوحاتها ، تبعثها احياناً الى وجود الناس ، على صفحات النسيم ، عطراً مضمخاً بألف عبق ثم تقلب الرأس المسنن ، فترمي سهامها منه الى وجود الناس ، تجرحهم ، تنفث على مرابعهم رماد الزوال والقرف . غادة السمان ، الأمس ، كنت اخاف على فتوتها البرعم من الاصطدام بأفكار الكبار رفاق الوالد الدكتور احمد السمان ، الذي مشى بالصغيرة الى افكار هؤلاء ، وقدمها في خطواتها الصغيرة الى عالمهم المتشعب البعيد الاطراف . لكن عيني غادة كانتا تفتشان في تطلعها الواثق عن مستقبل كبير ، كانت تقفز عن الزمن امامها وتصمت ، ثم ألتقي غادة اليوم ، واسألها عمن ينقذها من نفسها في فترات الصراع القوية .

تغمض عينيها وتهمس :

ـ في فترات الصراع القوية ، لا ابحث عن الانقاذ خارج نفسي ، اؤمن ايماناً مطلقاً ان استيراد حبل الخلاص من الخارج غير ممكن ، مراكب الانقاذ لا توجد الا داخل الذات . في فترات الصراع القوية الملم نفسي على جراحها واوقظ فيها كل مخزوني من الايمان والتجارب والخبرات المؤلمة ـ ولكن المفيدة ـ واترك كل جرح يروي حكايته فأتعلم المزيد عن نفسي واطفو من جديد فوق بحر الخلاص .

واعود الى دمشق ، الى مدينة الانطلاق الأول لغادة حيث ابتعدت الصغيرة الفتية عن الاتراب ، ورفضت بساطة الطفولة في دروبهم ، فأقول لها : اين تجاوبت مع العالم ، بعد رفضك الرتابة والاسلوب الحياتي كله ؟

ـ رفضي للرتابة هو تجاوب مع نبض العالم الحقيقي . كل الأحياء ـ اي الاحياء حقاً ـ لا في تذاكر النفوس فقط لا يملكون الا رفض الموت الروتيني المنظم داخل مؤسسات ،

والذي تكرسه اكثر القوانين والشرائع ، والذي اسمه الرتابة . كل ما في جسد الانسان يرفض الرتابة حتى القلب لا يخفق مرتين بالشكل ذاته ، حتى النبض داخل الشرايين يرفض الرتابة . يدهشني ان يشكو الناس من عدم انتظام دقات قلبهم ونبضهم مع ان العكس هو الظاهرة التي تحتاج الى علاج .

● **متى تتفجر امومتك وكيف ؟**

وهنا تبتسم لا لتعود بي الى دمشق ، الى وحدتها في طفولتها بلا أم ، بل لتقول :

ـ امومتي ليست استعراضية ، وهي بالتالي لا تتفجر وانما تشبه نهراً هادئاً من الانهار الباطنية التي تسري تحت قشرة الأرض ، وتروي دون ان يلحظ ذلك أحد .

● **التعاطف الانساني هل تفضلينه على الجنس ؟**

ـ اتمنى أن لا أوجد في موقف اكون مضطرة فيه للتفضيل بينهما ، لأن الجنس احد مرادفات التعاطف الانساني ، ولكنه ليس المرادف الوحيد ، وكل منهما يكمل الآخر ولا يناقضه .

● **من هو رفيقك في الصمت ؟**

ـ لا اعرف الصمت ! فحينما تسكت كل الأصوات من حولي تنطلق اصوات اخرى ، تنطلق جوقة الداخل : جوقة الذين لا يغادروننا بعد ان يغادرونا ولا يرحلون عن اعصابنا بعد ان يرحلوا عن سماعات « هواتفنا » . هنالك موسيقى الصمت النفاذة التي لا تصمت ابداً .

● **هل هنالك من تبكين له ؟ ولمن تبتسمين ؟**

ـ لو كان هنالك احد لانتفت اسباب البكاء . العالم باستمرار يرحل عنا حينما نسقط في بئر الحزن . ولمن ابتسم ؟ لا اعتقد انني اتقن فن الابتسام . لم انضج بما فيه الكفاية لأصل الى تلك الرقعة الحيادية بين الضحك والبكاء . ما زلت خارج ارض الحياد اركض على ارض الناس العاديين ، ارض الجمر .

● **بماذا تحلمين للطفولة ؟**

ـ احلم بأن تصبح الطفولة ممكنة في بلادي . اطفال العالم العربي ممنوعون من الطفولة . كل الظروف الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية هي ضد الطفولة . وربما لذلك نلاحظ جوع الكبار الى السلوك الطفولي في اوقات غير ملائمة من حياتهم . اكثر اطفالنا من الجياع الى اللقمة والى كل مغذيات النمو الطبيعي الاخرى كالمكتبات والموسيقى المجانية . اذن حلمي اصلاح الأوضاع في العالم العربي التي تجعل الطفولة

ممكنة وبالتالي النضج ممكناً فيما بعد .

● **هل يبقى الجنس الفاعل الأول في تقارب المخلوقات حتى الانسان ؟**

ـ الجنس ، وسيلة من وسائل الالتقاء (اذا لم يكن الاتحاد ممكناً) ولكنه ليس الوسيلة الوحيدة . الخطر في محاولة الالتقاء الانساني بوسيلة الجنس هو ان يكون اللقاء على مستوى معين دون وجود تغطية وارضية انسانية مشتركة . . .

واعود الى الجامعة السورية يوم كان الدكتور احمد السمان عميداً لها لأسألها هل لذلك المناخ الفكري مع اب مثقف وتلك المعرفة البعيدة عن ام واعية ادبية اثر في تطلعاتك إلى المستقبل ؟

وهنا تعود الفنانة لتصبغ بعض لوحاتها الروحية بلون الحاضر ، فتقول :

ـ لا بد من ان لذلك اثراً في تطلعاتي الى المستقبل . انني لا اؤمن ايماناً نهائياً بأن الانسان هو حصيلة حالة اجتماعية فقط ، ولكن لا مفر من تأثير التربة الأولى على نمو النبات .

● **متى تلتقين بالناس ؟**

ـ كل لحظة وعي وانتاج هي عندي لحظة لقاء بالناس . لا أؤمن ببرج عاجي في الأدب وحينما اكتب يغلي الناس على اصابعي وفوق عيني ، واحاول التقاط صوتي الداخلي الذي هو بطريقة ما « محصلة » اصوات قلوبهم وتطلعاتهم المتحدة بي .

● **لأي انسان تكتبين ؟ فتجيب بشكل يوقظ الانتباه :**

ـ الانسان المضطهد المسحوق المكافح من أجل قطعة ارض وخيط شمس ، هو الانسان في خاطري الذي اكتب به وله . ولما كانت المرأة في بلادي بالذات وفي عصرنا بصورة عامة هي «بروليتاريا البروليتاريا » ومسحوقة المسحوقين ومضطهدة المضطهدين، لذا كان لا مفر لقضيتها من ان تحتل جانباً كبيراً من اهتمامي كفنانة لا كأنثى .

● **هل نجح الالتزام القصصي ام ان الانسانية تأتي في المقدمة ؟**

ـ الالتزام بالانسانية هو الالتزام الحقيقي ، وهو الالتزام الذي ينبع مع داخل الفنان لا بفعل قوى خارجية الزامية .

● **عنيت كتابك الذي صدر أخيراً « رحيل المرافىء القديمة » .**

ـ ما يدعوه النقاد رسمياً « بالتزامي » ليس نتيجة لأمر صدر اليَّ من خارجي انما هو موقف داخلي مني نحو المجتمع العربي الكادح من أجل الحرية والفرح ، وانا من بعضه .

● **لونك المفضل ؟ زهرتك ؟ عطرك ؟**

ـ ليس لدي لون مفضل . فالأخضر مثلاً احبه كلون للعينين لا كلون للبشرة . والأزرق احبه لوناً للسماء لا للأظافر . في الالوان الوعاء هو المهم ، اما في الزهر فأحبه برياً . لا أحب تنسيق الزهور في اوعية « الكريستال » واحسه اعتداء على جمال الطبيعة الحقيقي . احب الشوك الليلكي الازهار وأميل كثيراً لنباتات الصبير والى البشر الذين يشبهون نباتات الصبير : اي قسوة خارجية شفافة تخفي عالماً غير مبهرج .

العطر ؟ احب رائحة البخور لأنه يمنحني عودة الى عالم من الصفاء المنسي . واحياناً يكون لانفاس الذين احبهم وقع رائحة البخور في نفسي .

● **بيت الطفولة وبيت الزوجية الى ايها تنتمين ؟**

ـ لم اشعر ابداً بالانتماء الحقيقي الى بيت . انا من اولئك المشردين الذين بيتهم الوحيد هو القبر .

● **والمطبخ ، هل لك فيه وجود ؟**

ـ لا وجود لي في المطبخ ولا وجود له فيَّ . تمر ايام كثيرة اعيش فيهاعلى العسل والخبز والخس ، ولا احب الطعام الحضاري .

● **انتاجك الادبي ، هل هو بعيد عن احداث حياتك ؟**

ـ لم ابتعد في قصصي عن اي من مشاعري الداخلية ، ولكن احداث حياة الفنان لا تظهر في قصصه بالضرورة على شكل مذكرات وانما تتحول الى نسغ لنتاجه .

● **اين تضعين الانسان « المتعلم » امام الانسان المثقف ، وما هو الفارق بينها ؟**

ـ المأساة في فئة من الأميين « حملة الشهادات » الذين يتخذون من شهاداتهم دروعاً واسلحة يشهرونها في وجه الأقلية المثقفة العربية والتي اغلب افرادها لا تحمل الشهادات ولكنها تحمل الفكر .

شتاء ١٩٧٦

سهام خلوصي تستجوب

● غادة تتحدث كما تكتب .

لم يغفر له انه بيتها . . فأصابته الحرب ببعض حرابها . . فاضطرت غادة السمان وبانتظار ان يتم تصليح بيتها ان تنزل مهجرة في بيت بحي المنارة . . .

واي ضيفة . . لم تترك زاوية في حيطان المنزل إلا واحتلتها فخلقت من حولها جواً ترتاح اليه . .

في مدخل البيت تربع رسمها بالألوان فوق كونسول وبحجم كبير . .

وفي الصالون ثلاثة وجوه مختلفة بالأسود والابيض . . بالاضافة الى لوحات فنية اختارتها وعقود من الفضة . . وفي احدى الزوايا مكتبها الصغير بجانب الواجهة المطلة على البحر . . ومن فوقه يطل مربعان يبرزان سمكتين متحجرتين . .

السمكتان المتحجرتان اوحتا لها باسم كتابها الذي تعده الآن للمطبعة . . هاتان السمكتان تحجرتا في لحظة زمنية فـاعتقلتهما الى الأبد . . غادة التي كانت تسجل في لحظات رسائل لم ترسلها ابداً ، جمعتها الى ان صارت كتاباً واختارت عنواناً له « اعتقال لحظة هاربة » ! . .

والحب ليس الا لحظات هاربة .

بقيت بقعة في حائط في الصالون لم تحتلها غادة . . فجاء طفلها وسيجها باطار من الفحم الأسود وسجلها باسمه . . « حازم » !

عندما تتحدث الى غادة السمان تستمع الى ألحان من قيثارة شدت اوتارها باتقان ، وبالتالي فالموسيقى الصادرة عنها منسجمة النغمات ، دقيقة واضحة وعذبة . . ومن ثم ينسكب ذلك الفيض من النور يضيء جوانب عديدة من نفسك فتتنفس بارتياح .

في الصالون الذي احتلت صورها حيطانه ، واحتلت هي مقعداً من مقاعده

الشرقية كانت موسيقى تشايكوفسكي تصدح . . وعود بخور يحترق . . و . . كان الحوار التالي :

● اثناء الحرب ، كان بامكانك ان تسافري وتوفري على نفسك عيش المأساة . ولكنك لم تفعلي . . لماذا بقيت ؟

ـ الانسان بدون جذور لا يستطيع العيش حياة حقيقية . . تصبح حياته مزيفة . . أفراحه مزيفة ، انتصاراته مزيفة . . آلامه مزيفة . .

انه بدون الأرضية الصلبة التي هي الانتماء لمجتمعه ووطنه مثل الشجرة لا تزرع جذورها في الريح . . وكذلك الانسان لا يمكن ان يزرع بالريح .

واقول هذا عن خبرة . . كانت لي تجربة العيش في اوروبا . . وكانت لي جرأة عيشها وانا صغيره . ذهبت لأدرس في لندن وأقمت اربع سنوات وخلالها عملت بجنيف وباريس ولندن . . وكنت اعيل نفسي .

بالنسبة للفنان لا وجود خارج إطار الأمة . . الهرب مستحيل من قضايا الوطن . . الوطن يسكنك لا انت تسكنه والرحيل سفر الى الوطن الى الداخل . .

الحرب وضعتني امام موتين : موت الرصاص وموت اللاإنتماء . اكتشفت ان موت الرصاص أهون . . فموت اللاإنتماء موت يومي مستمر . .

لا يمكن للثروة ان تكون بديلاً عن الوطن . .

وحقيبة نقود تبقى اقل قيمة بكثير من حقيبة من تراب الوطن .

ولا أدين الذين سافروا . . انظر الى القضية كفنانة وليس كسياسية . بالنسبة لي كل انسان عالم قائم بذاته له اوجاعه ، اهتماماته ، ظروفه .

● قيل ان كل ما كتب خلال الحرب لا يعدو ان يكون ادباً تسجيلياً . . وانت كتبت « كوابيس بيروت » . . والقول قد يعني كتابك . . فما هو ردك ؟

ـ هناك من قال ذلك . . ولكن هناك من قال غير ذلك . . النقّاد دائمًا ينقسمون وهذا يحصل بالنسبة لأي كتاب يصدر . . لو حصل العكس كان الأمر غير طبيعي .

● هل تعرفين نفسك كزوجة ؟

ـ كزوجة بالمعنى التقليدي انا غير موجودة . فأنا لا اعرف ان اطبخ . . واذا عرفت افضل ان اعمل شيئاً آخر . .

لست زوجة بالمعنى التقليدي . . ولكن بالمعنى الذي نفهمه ـ أنا وزوجي ـ . بيننا تفاهم مدهش الى حد يخيفني . .

دائماً الاشياء الرائعة مخيفة . .

● **هل تعنين انك سعيدة ؟**

ـ الزواج ليس مطلوباً منه ان يحقق سعادة . المطلوب منه حد ادنى من الاستقرار الداخلي حتى نجابه قسوة الحياة ومتطلباتها . الزواج الناجح ليس مرادفاً لتحقيق السعادة . .

السعادة يدخل فيها عوامل كثيرة ، عوامل قومية ووطنية وانسانية واجتماعية . بالاضافة الى عامل الحب والبيت والرجل .

الزواج جزء من حياة متكاملة للمرأة والرجل . .

انه ليس الغاية الوحيدة المنشودة . .

زواجي ناجح . . بمعنى انه لا يشكل جبهة حرب لي . . وهذا يعطيني القدرة على مواجهة بقية الجبهات .

● **وهل تصنفين نفسك كأم ؟**

ـ اقل سوءاً مني كزوجة . . بكثير .

● **لم تنجبي الا مرة خلال سنوات زواجك ؟ هل انت مع مبدأ عائلة الابن الوحيد ؟**

ـ نعم انا لا انوي ان انجب مرة اخرى . . ليس عندي طاقة لذلك . . انا انوي ان احقق اشياء كثيرة والانجاب يعيقني عنها . . وهذه ليست رغبتي وحدي . . زوجي ايضاً غير متحمس .

لقد جربنا اللعبة . . و . . شكراً يا الله .

● **هل انت عاشقة ؟**

ـ أنا لست عاشقة ولكني باستمرار في حالة عشق ، بمعنى اني دائماً احس في اعماقي التدفق والزخم والنبض الذي يشعره الانسان بأول حب . واحس به نحو اشياء كثيرة في الحياة الى جانب الرجل .

● **الحسين بالتجدد . . تجدد ذاتك ؟**

ـ صباحاً اولد طفلة . . ومساء اعود عجوزاً .

في كل صباح احس بسعادة ليس لها حدود لمجرد اني اعيش وامامي فرصة لعمل اشياء أريد تحقيقها .

وفي كل صباح احس انني محظوظة لمجرد اني احيا وليس اعيش فقط . .

ثم يمر النهار بكل خيباته الصغيرة والطعنات التي توجهينها او توجه اليك . . وفترات الرعب اليومي ولحظات الخلود المتواضعة ولحظات الانهيار ايضاً . . حتى يصل

الليل . وكل هذه الاحساسات اوظفها لكتاباتي .

كل يوم عمر . . في كل يوم افيق غادة جديدة . . لذلك انا لست امرأة واحدة انا قبيلة نساء . . كل يوم تولد واحدة جديدة فيعلو صوتها اكثر .

والنوم بالنسبة لي ليس لحظات خمول كما هو في الأدب العربي . . النوم بالنسبة لي كما هو في اشعار شكسبير : بلسم الطبيعة السحري الذي يجددك .

● **تحبين الحياة لدرجة كبيرة يجعلني أسألك اذا كنت تخافين الموت ؟**

ـ لا . . حب الحياة لا يرادف الخوف من الموت بالضرورة . . ممكن ان يكون هناك تعايش واعٍ بين الحياة وتفهم حتمية الموت .

كموقف عام ابتدأت اتفهم فكرة وحدة الكون التي تزيل التناقض بين الرغبة في الحياة والرعب من الموت .

● **الحياة سباق حواجز . . أتوافقين ؟**

ـ لا اتصور الحياة سباق حواجز . بمرحلة من مراحل العمر تبدو هكذا ، تغذيها نظرة المجتمعات الاستهلاكية ورؤ ياها للحياة .

الحياة نهر عظيم متدفق وكل انسان بقدر قدرته يرفد النهر الذي يصب في بحر العطاء الانساني المطلق .

ان كل من يخوض نهر الحياة يتجه نحو ارادة تحقيق الحب والخير والجمال . (قيم الاغريق والفلسفات المتوسطية والشرقية القديمة) .

وبقدر ما يساهم الانسان في تحقيق سلامه الداخلي عن طريق تحقيق هذه الارادة بقدر ما يخفف من بؤس العالم ككل .

وبقدر ما ينغمس الانسان في (الحرتقات) اليومية بقدر ما يخسر جوهر السعادة الداخلية .

بمقياس المجتمع المعاصر كثير من الناس يعتبرون ناجحين . . ولكنهم في الداخل كصرصور اكله النمل . انه خواء داخلي وبؤس داخلي ايضاً . .

إذا فكر الانسان لماذا انا تعيس ، فغالباً ما يكون الجواب : لأنك بعيد عن الإنتماء الى العطاء . . بعيد عن الانسانية المحبة . . بعيد عن التواصل مع البسطاء منقطع عنهم . . عن المجهولين . .

الناجح في قاموسنا المعاصر يبهر البسطاء لكنه لا يحبهم . .

● **إذاً هي الغاية التي تسعين لتحقيقها في اعمالك كلها ؟**

ـ نعم . . انني اسعى اليها واتمنى تحقيقها . . فإذا ما حصلتها اكون قد حققت شيئاً كبيراً . . فليس سهلاً ان يكبح الانسان غرائز نفسه . . ليس سهلاً ان تنتصر رغباته الاثيرية على رغباته الترابية .

وهذا ليس الفلسفة التي تعني الهرب الى صومعة . . بقدر ما هو شيء مندفع نحو تحقيق غايات العطاء بالتواصل مع البسطاء . . هنا تكمن نقطة اختلافي مع بعض من ناقشوا هذا الموضوع . . لا يمكن ان يبقوا على رأس جبل . . يجب ان ينزلوا الى الملايين من الكادحين ليتواصلوا .

● كل هذا لا شك يجعلك تعيشين فترات قلقة .

ـ طبعاً . . عندي فترات قلق وعذاب وضياع . . اكره فيها نفسي . . اكرهها في فترات سقوطها .

المهم . . انني اسعى دائماً للنهوض . . الملم هزائمي السرية . . وأرجع افتش عن حقيقتي انا . . اعود افتش عنها حتى لا اكرر الخطأ . . افتش عنها بدون ندم . . بدون ندم .

● من هم اصدقاؤك ؟

ـ اي انسان لا يمر بهذه الفترات فترات الالم والضياع والسقوط ليس صديقي لأنه كومبيوتر . . يدفع من حقيقته ثمناً ، ويرضى بانتصاراته الصغيرة .

اقرب اصدقائي الناس المتألمون . . ليس صديقي من لم يعرف الالم . . ومن يسقط منهم يصير الأقرب اليّ . اصدقائي ليسوا المرضي عنهم اجتماعياً . . اصدقائي هم الذين يفتشون عن الحقيقة . اصدقائي هم الرافضون الحقيقة الجاهزة مثل الالبسة الجاهزة .

اصدقائي هم الذين عرفت عينهم الدموع . . الذين يبكون في الداخل وليس للخارج . .

المواطنون في مملكة الغربة هم أصحابي . . الذين سجدوا في بلاط الليل على سجادة الألم هم اصحابي .

● الذكاء ام الجمال . . ايهما اهم للمرأة ؟

ـ الجمال هو المصباح . . والذكاء هو نوره .

فمهما كان المصباح جميلاً يبقى ديكوراً بدون ضوء . . ومهما كان متواضعاً من حيث الشكل الا ان ضوءه يعطيه غنى بالألوان وبقوس قزح .

● انت مضطرة للسفر . . فأي أشيائك تحملين معك ؟

ـ ولا شيء . . أمشي في الريح ويداي فارغتان حتى استطيع ان امسك المجهول والمفاجأة .

حب الامتلاك عائق في وجه اكتشاف هذه الاشياء . . ويتطلب مجهوداً للمحافظة على هذه الملكيات .

● الحرية كيف تفهمينها ؟

ـ أنا شخصياً كفنانة لا استطيع ان اضع عداداً على انفاسي ونبضات قلبي .

● هل انت متحمسة لنظام معين ترينه يحقق رؤياك في المجتمع ؟

ـ احب العدالة ولا يهمني النظام الذي يحققها . .

لا أنظر للأشياء نظرة شمولية بدافع الهرب من مشاكل امتي . . لا اغرق في التفاصيل لحد العجز عن رؤ ية النبض الاساسي للمشاكل .

لست حزبية بالمعنى الشائع . . انتمي لحزب البحث عن الحقيقة .

توجد احزاب تتفق مع مبادئي التي ألتزم بها . ولكن . .

اخاف ان تأتي لحظة تضارب بين رؤ يتي ورؤ يا الحزب للأمـور . . المشكلة تقع يوم احس ان لا بد من تطوير وأكون مقيدة بالالتزام بالكراس الحزبي . . لكنني لست ملتزمة بأي حزب وحتى اشعار آخر . . ولم يحدث لي ذلك من قبل .

● سأفترض ان غادة السمان لا تجد لها قارئاً واحداً . . هل تستمرين في الكتابة ؟

ـ استمر . . بكثير من البؤس . . لكن استمر . .

لأنه بالنتيجة الأديب هو بطريقة ما الكونت دي مونت كريستو الذي كان يكتب على جدران سجنه . . وهو روبنسون كروزو الذي عاش في جزيرة . . سأستمر في الكتابة ولو كان رفيقي (جمعة) لا يعرف القراءة أو لا يحب كتابتي .

● الأدب سلاح خطير . . أليس كذلك ؟

ـ نعم . . والا لما قال احد النازيين : كلما سمعت كلمة « ثقافة » . . شهرت مسدسي . .

ولما قال اوسكار وايلد عندما اوقفوه في الجمارك يسألونه هل معك شيء ممنوع : نعم . . رأسي .

الفكر سلاح .

كونه سلاحاً . . لا يعني انه سلاح ضد الإنسان . . فبه يمكن المساهمة في

الانقاذ . . كما يمكن الانتحار . . كما يمكن الدفاع عن النفس . .

● الأدب النسائي . . تعبير شائع احياناً يقصد به الأدب الذي تنتجه النساء . . واحياناً الأدب الذي موضوعه المرأة . . في كلا الحالتين ما هو موقفك ؟

ـ هناك ادب فقط اذا كان صاحبه رجلاً ام امرأة لا فرق . .

والمعنى الثاني المطروح يجعل كثيرين من الأدباء الكبار نسائيين . . فالفنان العظيم الرجل يستطيع ان يفهم المرأة . .

● سأمنحك فرصة . . بوسعك ان تكوني اي شخصية من التاريخ . . فمن تكونين ؟

ـ سأكون ثلاث شخصيات :

١ ـ سأكون « هيلين طروادة » . . وذلك لكي اعلن ما يلي : لا تصدقوا ان كل هؤلاء الرجال ماتوا بسبب امرأة . . كل هؤلاء ماتوا بسبب انانية الرجل . كنت أنا قناع الحرب . .

٢ ـ سأكون « زنوبيا » . . الملكة السورية لأموت مثلما ماتت . . فأكون اخترت موتاً احترمه .

٣ ـ والآن اسمحي لي ان اكون رجلاً ! . سأكون « فاوست » الذي باع روحه ليكتشف اسرار الكون والوجود . .

صيف ١٩٧٧

ديب عماد يستجوب

● ثمة فارق بين المشاعر الذاتية وبين الكتابة الابداعية

● متى بدأت رحلتك مع القلم؟

ـ بدأتها باكراً كمعظم العرب . كأن في أعماق كل عربي شاعراً سرياً يبدأ (حتى قبل سن المراهقة) بالتنهد والاحتجاج والتوق الغامض الى ما لا يدريه . بعض الناس يستجيب لما يمليه عليه هذا الصوت ، فيسطر كلمات شاعرية ، وبعضهم الآخر يقمع شاعره الداخلي ، وربما تتولى قسوة الحياة تأديب الشاعر وإسكاته · كمعظم المراهقين العرب مررت بتلك المرحلة ، وبدأت أكتب حين تعلمت أولى مبادىء أبجدية القلب والحرف . تلك المرحلة الذاتية ، القلقة مثل غزال صحراوي ، لم أنشر شيئاً من حصيلتها . . فقد علمتني دراستي الأكاديمية للأدب ذلك الفارق الخطير بين المشاعر الذاتية وبين الكتابة الإبداعية . واليوم حين ألتقي بإنسان عربي (أو إنسانة) ، في سن المراهقة ، الوجه متورد بكلمات لم تقل ، واليد ممسكة بالقلم ، كما لو كان خشبة خلاص . . أرى وجهي الذي كان ، وأتمنى باخلاص ألا يكتم الزمان أنفاس الشاعر الطفل المختبىء في محبرة .

● هل لأحد فضل عليك في إطلالتك الفكرية ؟

ـ إن قلت لا ، أكون كاذبة . وإن قلت نعم أكون كاذبة .

لقد عرفت في دربي الأدبية أكثر من لمسة نبل من بعض رفاق القلم ، طالما تحولت الى بادرة دعم ايجابية . . . وسوف آتي في مذكراتي ذات يوم على أسماء الذين أدين لثقتهم بموهبتي بالكثير . . . ولكن لو لم تكن نار العطاء متقدة في أعماقي لخمدت مهما حاول الأصدقاء تأجيجها . لو لم تشتعل أصابعي برغبة العطاء لما سطرت عشرين كتاباً ـ حتى الآن ـ ، ولما تفجرت الأبجدية من أظافري كالشرر . . . ثمة أشياء لا يقدر أحد على منحنا إياها ، وعليها أن تنبع من أعماقنا وأن تكون روحنا هي الوقود .

وهنا أحب أن أبوح لك بسر صغير . وهو أنني مدينة بالكثير للذين حاولوا تدميري .

لقد اضطروني منذ البداية لبذل مجهود خارق أتجاوز فيه نفسي . فتعلمت منذ خطواتي الأولى في درب الأدب مدى القسوة التي يتعرض لها الانسان حين لا يفشل !!. . .

لقد اتهمت ذات يوم بأن رجلاً يكتب لي قصصي . اتهموا أولاً أحد النقاد ، ثم اتهموا والدي وكان رجلاً فاضلاً ورئيساً للجامعة السورية ولا يمكن له أن يتورط في عملية (تزوير) رخيصة كهذه . . . يومها نشر الخبر تحت عنوان «فضيحة أدبية كبرى . . من الذي يختبىء وراء غادة السمان » • وعلى طول صفحة ، في جريدة بيروتية مرموقة كانت الاتهامات القاسية تتوالى .

يومها تعلمت كيف أقف وحيدة في وجه الكيد والحسد والأذى ، وكيف أستلهم منها قوة تزيد في زخم عطائي بدلاً من أن تدمرني . . . وصرت كلما احترقتُ ، أغادر رمادي امرأة جديدة صفحتها النار ضد العاصفة الرعدية وصواعق التجني . حين أتصفح تاريخي الطويل مع القسوة ، أقول لك أظنني مدينة بنجاحي لأعدائي !!. . . .

● **ما هي أبرز . . كتبك ؟**

- في نظر النقاد ، روايتي الأخيرة « كوابيس بيروت » . أما القراء ، فإنهم يفضلون فيما يبدو كتابي الشعري «أعلنت عليك الحب» ، فقد صدر الكتاب عام ١٩٧٦ ، وأنا اليوم أعيد طباعته .

بالنسبة إليَّ ، أبرز كتبي هو دوماً كتابي الذي لم أكتبه بعد . . . وحين أنتهي من كتابة عمل ما ، ينتابني شعور حاد بالفراق يكاد يشبه الخواء . . أعي جيداً أن علاقتي بالكتاب انتهت ، لتبدأ علاقته بالقارىء . . فأفارقه ، وفي قلبي الخبرات التي تعلمتها من انجازه ، وعيني على الكتاب . . . اللاحق !

● **هل يتأثر الأديب بحياته الخاصة حتى ينطلق الى العامة؟**

- نعم يتأثر الأديب بحياته الخاصة ، لكن مفهوم الناس عن « الحياة الخاصة » للأديب بحاجة الى بعض الايضاح . فالحياة الخاصة للأديب هي في جوهرها الحياة العامة للوطن أيضا والأحداث التي يمر بها بنو قومه ، تشكل جوهر حياته الخاصة . . تعرّضُ إنسان ما للظلم يشكل جزءاً أساسياً في حياته الخاصة . سقوط المطر ، هبوب الرياح ، هبوط الليل الحزين فوق صدر المدينة جزء من حياته الخاصة . مرور موكب الناس البسطاء أمام عينيه ، وأمارات الخوف أو القلق أو الفرح في وجوههم ، ذلك كله تجربة (شخصية ذاتية) بالنسبة للفنان الأصيل . إن انصهاره في الآخرين هو المحرك الأساسي للابداع .

● **هل تأثرت غادة السمان بحياتها الخاصة ، وهل من قصة تذكر حولت مجراك الأدبي ؟**

- أنا امرأة عربية ، جذورها في أرض واقعها الاجتماعي والسياسي والفكري . إنني أحمل مميزات وضع كهذا كما أحمل مشاكله وهمومه . . في دمي خبرات قومي ونقاط ضعفهم .

هذه هي البنية الأساسية لحياتي الخاصة ، ومن هنا نجد أن (الحياة الخاصة) للفنان ليست نسيجاً فريداً إلا بقدر ما يبدع في عطائه . . . القصص التي تلعب دوراً يذكر في حياتي هي نفسها التي بدلت مصائر الآلاف من شعبي العربي الذي أنتمي اليه : حرب ١٩٦٧ ، الحرب اللبنانية وغيرها من معارك الأمة العربية ، لعبت دوراً لا يمكن نكرانه في حياتي وفني . . . الهزلي ان الكثيرين يفتشون عن دور رجل معين عاش في حياتي ، ولا يلتفتون لدور الرجال الذين شهدت موتهم دون أن أعرف اسماءهم . . وكان موتهم لحياة الوطن أي من أجل ازدهاري الشخصي ، وازدهار الجيل الآتي . . .

في هذه المرحلة التاريخية القاسية التي نعيشها ، من الظلم أن نفصل الحياة الشخصية للفنان عن الحياة العامة لشعبه .

● **ما أهمية النقد في غربلة نتاج الأديب ؟**

- أنا شخصياً أحترم دور الناقد في الحياة الفكرية العربية بوجه عام ، وأتحدث طبعاً عن « الناقد » بالمعنى العميق للكلمة ، وهم قلة .

فالناقد يلفت أنظار القارىء الى مواطن في العمل الفني ربما لم تخطر له ببال . ومن حق القارىء أن يقتنع بوجهة نظر الناقد أو يرفضها ، ومجرد عملية القبول أو الرفض تزيد من الدرجة النوعية لوعي القارىء . .

الناقد المبدع الذي يواكب عطاء الفنان ، يمكن أن يساهم مساهمة فعلية في تغذية شجرة إبداعه . لا أعتقد أن الناقد يمكن أن يبدل درب فنان خلاق ، لكنه يستطيع أن يعجل في مسيرته ، عبر مساهمته في فهم الفنان لذاته ولموقعه من خارطة الأدب والعصر معاً .

الناقد الأعظم هو الزمن ، وهو وحده يغربل الأشياء . لكن الناقد الجيد هو بشارة الزمن الآتي .

● **غادة السمان ، أين هي ما قبل « رحيل المرافىء القديمة » عندها ، ومرحلة ما بعده ؟**

- بالنسبة للفنان ، تتطور الأشياء بشكل عفوي وتلقائي وتتنامى . . وحتى إذا وجدت نقاط انعطاف حادة في فنه الروائي أو التشكيلي ، فهي لا تبدو كذلك لعينيه . إنه لا يتنصل من ذاته الأولى ليحل في جسد فني جديد ويتقمص حياة أدبية جديدة. . . هذا

بالضبط ما يحدث لي . . . إنني لم أتعمد في أي يوم نقلة من الذاتية المفرطة النسائية ، نحو العام والانساني المشترك بين البشر نساء ورجالاً . . . ان الأشياء تحدث بشكل تلقائي جميل ، مثلما تسبح السمكة ، أو يكتشف الطائر التحليق . . .

أين أنا ما قبل وما بعد ؟ أنا حيث كنت دائماً ، عاشقة للحقيقة ، كاهنة في محراب العطاء الفني الصادق . مستسلمة لرياح أبجدية جديدة ، أتركها تقودني الى حيث نبعها .

● كتابك « أعلنت عليك الحب » ، هل هو موجه الى رجل معين ؟

ـ لو كان كذلك ، لأرسلته إليه في رسالة شخصية . فالكتاب ليس بطاقة بريدية خاصة ! الكتاب عمل فني ، وهو ليس صرخة انثوية لمجرد أن في اسم المؤلفة (تاء تأنيث) ما . . .

« أعلنت عليك الحب » هو صرخة محبة كونية قادمة عبر حنجرة إنسانية . . . وكل قارىء يعيشها كما يشاء ، ينادي بها من يشاء . . . فكل عمل فني يقرأ على مستويات مختلفة ، ويخلق من جديد في ذهن القارىء بصورة جديدة ، ويناسل ويتكاثر . . .

● يقال ان الحب الأكبر هو مما لا يكتب عنه . فما رأيك ؟

ـ هذا يتوقف على ما تعنيه بـ « الحب الأكبر » . فمفهوم هذه العبارة يختلف من انسان الى آخر . . . وهو أيضاً يختلف لدى الانسان ذاته بين فترة وأخرى . . « الحب الأكبر » في حياتي مثلاً هو رجل اسمه « الأبجدية » وهو حب لا يجد تحقيقه إلا في الكتابة ، ولا خلاص منه إلا بالموت . . .

أما إذا كنت تعني بـ « الحب الأكبر » حب امرأة لرجل أو العكس ، فذلك في نظري موضوع لطيف للكتابة ويغني العمل الفني بزخم ملون ، كما الألعاب النارية في ليلة صيف هجرها القمر . . .

بصدق ؟ بالنسبة لي ، كل ايقاع تصدره قيثارة روحي هو موضوع قابل للكتابة . . ان ولائي الأعظم هو للأبجدية ، وانني أقترب منها وأنا أرتجف وأرتعد كما لم أرتجف لمرور إنسان في حياتي ! . .

هل قلت لك ذات مرة : انا امرأة نزلت ذات يوم لتسبح داخل محبرة ، فغرقت فيها ؟! . . .

٤/٦/ ٧٩

ابتسام عبد الله تستجوب

● الدم العربي الذي نزف في بيروت يجب ألا يذهب هدراً .

لعل أول قصة رغبت في نشرها وفعلت كان اسمها « من وحي الرياضيات » في مجلة المدرسة الثانوية . لماذا ؟ ربما لأثبت لأستاذتي في اللغة العربية يومئذ أن ظنونها حول (موهبتي) في محلها . كان لتلك الأستاذة أثر كبير في تعزيز موقفي الداخلي من الأدب ، وكانت تعرف أنني شبه مرغمة على دراسة البكالوريا العلمية وأن في الكتابة تكمن فعاليتي الحقيقية . أفكر بها الآن بحنان وأفتقدها .

هكذا تتحدث غادة السمان عن تجربتها الأولى في عالم الأدب الذي أصبحت واحدة من أبرز أسمائه .

لقد كانت تدرك أن لديها (الموهبة) تلك النار المستقرة في الأعماق ، التي تدفع صاحبها أو صاحبتها الى الاحتراق في أتون تجربة قاسية ، ، قد تحيلها الى رماد أو الى قطعة من الماس المتلألىء وكانت موهبة غادة من النوع الأخير .

عندما اكتشفت غادة موهبتها بدأت في الكتابة وعشقها للتعبير عن موقفها حيال كل شيء في الحياة : الوطن الحب ، الهزيمة ، الانسان والحرب والموت وكانت صادقة مع نفسها دائماً ومع الآخرين أيضاً .

وحياة غادة السمان ، لم تكن سهلة على الاطلاق ، بل كانت حرباً متواصلة ، وكما قالت مرة في أحد أحاديثها الصحفية : (تعرضت دائماً لقصف اجتماعي ، جولات جديدة دائماً بيني وبين المجتمع . ولكن الحرب اللبنانية أدت الى انفتاح جماعي على آلام الآخرين . في حين كنت كالصدفة منغلقة على آلامي وأدركت أن طريق الخلاص يمر عبر الآخرين) .

كان للحرب اللبنانية ، تأثير كبير ، على غادة الانسانة والاديبة وكيف لا ! وهي

التي كان لها شرف رصدها والتنبؤ بها (في روايتها بيروت ٧٥) . وخلال تلك الحرب المؤلمة القاسية كتبت غادة (كوابيس بيروت) التي أثارت بها ضجة كبيرة .

غادة السمان كانت في بغداد أخيراً . . بقيت فيها بضعة أيام ، وكانت في خلال تلك الأيام الثلاثة مشغولة على الدوام باستقبال الضيوف من أصدقاء وصديقات وفي خضم ذلك الزحام أجريت معها الحديث القصير والسريع . . والذي عبرت هي عنه بأنه (دردشة خفيفة) ، غير معتادة عليها ، في الجواب عن الأسئلة الصحفية .

أسألها عن الأشياء التي جذبتها الى بغداد تقول :

« أحب ما لم اكتشفه بعد . انني أتعرف في كل زيارة لي لبغداد على شيء أو جانب جديد ، واكتشف في الوقت نفسه جوانب أخرى كنت أجهلها . . وبغداد بالنسبة لي ما تزال مثل الصندوق المغلق الذي أدور حوله وأمسك بقفله ، وما زلت متشوقة لمعرفة المزيد عنه . . أتحسس زخرفة ونقوشات الصندوق من الخارج وأنا أتخيل ما يضمه . وينطبق هذا الكلام على المدن كلها ، بنسب متفاوتة . ولكن بغداد كسائر المدن العريقة لا تمنح نفسها بسهولة . . وهي توهمك بأنك قد عرفتها ، ثم تكتشف أنك ما زلت في بداية الطريق الى معرفتها .

● وأي مدينة أحببتها أكثر وأنت المسافرة الدائمة ؟

ـ لا أستطيع أن أقول أنني أحب مدينة أكثر من الأخرى ، وكلمة الحب تحمل معاني كثيرة ومختلفة : دمشق مثلاً أحبها بنوستالجيا (الحنين الى الماضي) وبحنان ، بيروت أحبها بضراوة . بغداد أحبها بتشوق للمعرفة، لندن أحبها وفي حلقي طعم الزجاج المسحوق والدم والثلج . لا توجد مدينة في المطلق ، كل مدينة هي ، في لحظة واحدة ملايين المدن وفقاً للشخص المتطلع اليها والى متطلباته منها ، ووفقاً لارتباطاته معها بوجود قضية مشتركة بينه وبين شعبها . الانتماء العربي مثلاً ، يجعلني أنظر اليها من زاوية غير تلك الزاوية التي أنظر منها الى مدينة غير عربية وبالتالي سيكون ارتباطي بها أضعف كثيراً .

● وما الذي يشدك الى الحياة أكثر ، كتاباتك . . عاطفة الأمومة أم الخوف ؟

ـ من الممكن أن أعدد لك أشياء كثيرة تشدني الى الحياة ومنها مثلاً : الأسرة ، الوطن وحب الكتابة والقراءة والسياحة ولكن أهم ما يشدني الى الحياة هو شيء لا اسم له . . أحس به كل صباح ، حين أستيقظ من النوم يضيء في أعماقي ببساطة ويدفع بي الى الفرح العفوي لمجرد أنني حية ، أياً كانت الظروف ـ كأنني أستيقظ كل صباح طفلة

صغيرة وريثما يأتي المساء ، وتتعاقب الخيبات والآلام والغصات ، أنام عجوزاً عمرها ألف عام . ولكنني في الصباح التالي أولد ثانية ناصعة ومستعدة لاستقبال الطعنات والخيبات من جديد وللاستمتاع بحب الأشياء المجانية في الحياة ، وأعرف كيف أتداخل واياها كالبحر والشمس والسماء والطيور (بما في ذلك البوم . .) والأصداف ، وهذا الكون الفسيح المدهش التدفق والاستمرار وامكانية أن يصير مكاناً انسانياً يصلح للسكنى دون أن يفكر الانسان بالهجرة الى كوكب آخر قد يكون أكثر انسانية وحناناً .

● جميل كلامك هذا ، تتحدثين الآن بالرغم من ضجة المكان ، وازدحامه ، بهدوء وشفافية . ما سر تدفقك هذا ؟ وما سر نشاطك في اصدار الكتب في هذه المرحلة من الزمن ؟

ـ لمذاق الموت طعم يحرض على الحياة وأنا أعيش في مدينة يقول لي الموت فيها كل صباح ، عيشي جيداً فأنا أنتظرك هذا المساء . . ففي بيروت يعي كل انسان جيداً أن شبح الموت قريب جداً . بالنسبة لي ، لم أتردد الا قليلاً ، لم يشلّني الأمر الا لحظة الصدمة الأولى . ثم تصالحت مع الموت وبدأت علاقة عشق جديدة مع الحياة .

وأكثر ما أحبه في الحياة هو ذلك الجنون الواعي المدعو بالكتابة . أنا الآن في سباق مع الموت وأحاول بسبب ذلك أن أكتب ، وأكتب وكأنني سأموت غداً .

● ولكنك لا تخشين الموت . . أعرف أنه كان بامكانك الرحيل عن بيروت كما فعل الكثيرون . . ولكنك عشت الحرب . . بشاعتها ، قسوتها . . وقلقها يوماً بعد يوم . . لأنك أحببت الوطن آمناً أو غير آمن . فلماذا ؟

ـ ليس هناك يا عزيزتي انسان يرضى بالموت مجاناً الا اذا كان من هواة الانتحار الاستعراضي . أنا لا أخاف ، لأنني أؤمن أن ذلك الدم العربي الذي سال في بيروت يجب أن لا يذهب هدراً . وأنا من قافلة المكافحين ، كي يكون ذلك النزف ، نزف ولادة لبيروت لا نزف احتضار . وهكذا ، فأنا في سباق مع الموت من أجل ما أؤمن به من مثل ومبادىء ولكنني لست هاربة من الموت بالتأكيد . ذات يوم سنلتقي وسافتح له الباب وسأقول له : تفضل جاء دورك للسهرة معي .

● وماذا كتبت في سباقك هذا !

ـ في المطبعة الآن : السباحة في بحيرة الشيطان ، وأيضاً ختم الذاكرة بالشمع الأحمر ، وأعمل حالياً لاصدار (مواطنة متلبسة بالقراءة) وهي مجموعة نقدية وبالاضافة الى كتابي الذي اخترت له عنوان (الرغيف ينبض كالقلب) .

● عندما أهديتني كتاب غالي شكري عنك «غادة السمان بلا اجنحة» ، كتبت تقولين : ما أجمل أن يكرم المرء في حياته . ما رأيك فيما أعلنه شاعر العرب الكبير الجواهري ، من أنك أفضل كاتبة عربية ! أعتقد أنها شهادة قيمة !

ـ نعم قرأت ذلك وشعرت بالفرح لأنه لم يوفر كلمته الطيبة بي الى حفل تأبيني كما درجت العادة عندنا ، بل انه كرمني حية . . مي زيادة ، مثلاً ، ماتت في مصح عقلي وحيدة ومهجورة ، وأنا سعيدة لأن شاعراً كبيراً مثل الجواهري يواكب الحركة الأدبية ، بينما يعيش كثير من (كبارنا) في أبراج عاجية بعيدين عن نزفنا وهمومنا مع الكلمة ، ومع العالم من حولنا .

بورك الجواهري في ميعة ستّيناته وشبابه المتجدد أبداً .

۳۱/ ۱۰/ ۱۹۸۵

عبد الله الجفري يستجوب

● اكتب لأنني أشتعل حياة ، أكتب لأنني سأموت .

عبر مسالك الكتابة الابداعية التي لا تفصح عن أجوبة بقدر ما تطرح من تساؤلات ، وما تفتح من تويجات في وردة الروح .

أمام آفاق تفضي الى آفاق ، وابتعاداً منها عن لغة المباشر والتقريري ، ولغة الذي تشكل وانتهى ، وصولاً أو محاولة في الوصول الى لحظات الحرية التي تعني الكتابة أو الفعل ـ المسؤولية . . خارج دائرة النواح .

تشتعل أصابع الأديبة السورية « غادة السمان » كي تشعل في القارىء ما خمد ، وما تراكم من رماد الأزمنة السائدة ، وما خمد وما تراكم من رماد المألوف . . في رحلة كشف شراعها أجنحة القلب المفتوح على الحب ، وآفاقها المفتوحة أبداً هي الأصابع ـ مفاتيح الروح . . التواقة الى الجمال والتغيير .

وغادة السمان : كاتبة أديبة لا تحتاج الى تقديم . . فعشرون كتاباً في عشرات الطبعات ومئات الزوايا والمقالات في المجلات والصحف شهادة تعريف موثقة ، وما زال نهر الابداع يتدفق ، ويعد بعطاءات أخرى ، وما زال حلم انتظار الابداع يتجدد ، والورد يعد بربيع جميل .

وعندما يبدأ الحوار مع الكاتبة العربية « الدمشقية » يصبح من الصعب على المحاور أن ينسق أسئلته ، فقد يولد السؤال من السؤال أو من الاجابة أيضاً ، ويجري الحوار كما يجري « بردى » الذي تحبه غادة في صباحات الربيع هادئاً شفافاً يستحم في عطر الأشجار المزهرة ، مسافراً لا يبتعد كثيراً في حضن الشوق والحنين لوطنه ، كما هي غادة التي نعيش معها هذا اللقاء .

● بين القراءة والكتابة تمتد رحلة النزف، اين تتوقفين الفترة الأطول ؟ ولماذا ؟

ـ لا أتوقف . أنوس بين الكتابة والقراءة في مناخ إبداعي محموم لا يقاس بالوحدات الزمنية المألوفة . . . حينما أقرأ نصاً مبدعاً لرفيق حرف ، أياً كانت اللغة ، أعيشه سنوات ضوئية في كل سطر ، مشحونة بالعذاب الانساني والوعي والأمل ، وأحياه في لقاء وجداني مشبوب كأنني أكتبه . . وتضيع الحدود بيني وبينه ، أصير الكاتب والقارىء والقاتل والقتيل والسكين والطعنة في لحظة واحدة ، وتصير القراءة كتابة ذهنية على جدران دهاليز الروح . . لحظة لقاء مشحونة بين يد وورقة ، وانا تارة الورقة وأخرى اليد . . .

قراءة نص مبدع هي كتابة صامتة . ها هو انسان (آخر) يسطر مشاعرنا ونحن نقرأ ذاتنا كأننا نكتبها ، او كأنه سطرها عنا ووقع اسمه بصفته (الخطاط) ! . . .

حينما أقرأ نصاً مبدعاً تشتعل اصابعي ، تماماً كما يحدث لي حينما أكتب .

ربما لذلك أقرأ بنهم . أعرف ان الثقافة ضرورة للكاتب ، وان من لا يقرأ لا يكتب غير ذاته فينضب . اعرف النظريات النقدية كلها التي تحرض على القراءة ، لكنني أطالع ، لا من باب الطاعة ، بل من نافذة المحبة والالتهاب ، والنزف الذي يتحول الى زيت قنديل يضيء الكلمة ذهاباً وأياباً .

● عندما أعلنت عليه الحب ، كان اهداؤك له اعصاراً ، دواراً ، زوبعة بحرية او صحراوية ، وكنت انت المركز ! هل قصدت انك « القادم » لاجتياحه حباً بعد الاعلان ؟ أم . . . ؟

ـ مع الحب ، القدر هو القادم لاجتياحنا معاً . . . الزمن يعلن علينا ذلك الاحتضار الجميل الملقب حباً ، الاحتضار الوحيد الذي تعقبه ولادة . . ولادة الأمل أو الألم لا فرق . . . لكنه الاحتضار الوحيد الذي يخلفك اكثر حياة وتوهجاً ، ويحيل جسدك من إناء مظلم الى مصباح متأجج شفاف النور .

لماذا أعلنت أنا الحب ؟ لأن المرأة العربية عاشت أجيالاً على هامش « المزاج المذكر » . . . هو يعلن الحب ، فالهجر ، فالعودة ، فاستبدال الحبيبة بأخرى . . وهي تنتظر وتحترف الحقد الصامت والصبر السلبي المستسلم وتهرول احياناً الى « النفاثات في العقد » لجلب الحبيب الهارب ، ولكنها تنتظر مثل شجرة مزروعة في حقل . . .

اعلان الحب هو اعلان الخروج من المرحلة السلبية الواقعة خارج رقعة المسؤولية . . . فما دامت المرأة خارج ارض القبول أو الرفض ، فهي بالتالي داخل دائرة النواح او الانتظار ، وخارج دائرة المسؤولية . أريد التوكيد بأن المرأة العربية لم تعد تجد

في الحب غارة ليلية سرية « افتراسية » ، وانما فعل مسؤولية تتبادل فيه والرجل العطاء والثمن معاً . إنها ببساطة ثورة لانتزاع المزيد من حق العطاء ، حق « القادم » الى الحب ، لا المنتظر التقليدي السكون ، كشجرة مزروعة في أرض السلبية ، وبالتالي انتزاع المزيد من واجب المشاركة وتحمل المسؤولية الانسانية .

حين تشارك المرأة في إعلان الحب تتروى وتتعقل ، لأنها لم تعد « المفعول به » غير المسؤول ، بل « الفاعل » أيضاً . . انها ليست « الدمية » بل « الشريك » في ابتداع تمثال الحب ونحته بمطرقتها ، لا بإزميل الرجل وحده .

● دمشق ذكرى ، بيروت حنين ، باريس حاضر . أين مواقع الزوايا التي تخبئين فيها هذه المدن ؟ ولمن تفتحين نوافذ القلب أولاً ؟ واي الابواب تقرعين لو وصلت اليها جميعاً في لحظة واحدة ؟

ـ دمشق ليست ذكرى . وبيروت حاضر . وباريس محطة . دمشق هي أنا . . صلابتي في مواجهة قسوة الحياة هي صلابة مدينتي الأم في مواجهة الفاتحين على مر الدهور ، الطامحين في امتلاكها واذلالها . . اذا كان في حروفي ما هو عريق وأصيل ، فهو عراقة دمشق في دمي ، أقدم مدن التاريخ ، وأصالة شعبي السوري . . . لست أنا التي اخبيء دمشق في زاوية من زوايا دورتي الدموية ، بل هي دمشق التي تحتويني كيفما كنت ، مشاكسة ، متأججة بين الوجد واللامبالاة ، أعبر عن حبي بأسلوبي الخاص المفعم بالكبرياء .

بيروت هي الوفاء والحلم . . . بيروت الحرية حلم الفنان العربي في كل مكان . . . الحلم المطعون بخناجر متعددة الأسماء والجنسيات . . ومثل « يوليوس قيصر » الذي سقط بطعنات المحيطين به ـ توّجها احب الناس اليه « بروتس » ـ كذلك سقطت بيروت بطعنات القريب قبل الغريب ، وهو موت يبكيه الفنان العربي اكثر من اي مواطن آخر لأنها كانت مدينة حرية الكلمة في عالم عربي يتناقص وده يوماً بعد آخر في مواجهة صدق الفنان . . .

بيروت كانت خارج دائرة الكمامات والقفازات والهمسات . في بيروت كانت الكلمة تسري بحرية دونما ساعات « منع تجول » ولا مقصلة للحناجر في المقاهي والساحات . . .

لقد رفضنا ذات يوم ـ وما زلنا ـ افتقار لبنان الى العدالة الاجتماعية ، وتمنيناها ثورة عادلة ، لا مجزرة . . . وحلمنا باستبدال الزعماء الطائفيين المتوارثين ،

بالديمقراطية ، ولكننا للأسف فشلنا ، وجعلنا « لوردات الحرب » نصبو الى زمن بكينا منه وها نحن اليوم نكاد نبكي عليه ! ولكن بيروت كانت دوماً وطن الفنانين والأدباء والملعونين والمطرودين ، وكانت تحتوي الجميع . . . واليوم بعدما انهارت تلك المدينة التي أكرمت الجميع ، أحمل لها في قلبي الوفاء الى جانب الحلم . . ستظل بيروت رمزاً للحرية الموؤودة في غير قطر في زمننا العربي غير الجميل ، وستظل حلمًا اطارده ولا أغادره . . . ولن أنسى ان بيروت احتضنتني يوم رفضني الجميع ، ووجدت فيها ملاذاً . ولا استطيع يوماً ان أنسى من أكرمني في لحظة ضيق . . وهذا الدرس علمتني اياه اخلاق دمشق في أعماقي . . وهكذا ، ستظل بيروت الحاضر ، وسأظل أعمل كي لا تتحول الى مدينة انقاض واشباح لعلي أرد لها بعض جميلها ، وجمالها . .

باريس محطة باهرة الحسن ، مختبر شاسع لتمازج الثقافات ، ومتحف فني للحضارات . . . أحاول ان اتعلم منها قدر الامكان ما دمت في محطتها ، وعيني على وطني ، وطموحي أن يتحول ما اتعلمه هنا الى خبرات يستفيد منها ابناء بلدي هناك . . .

اي الابواب أدق ، باب دمشق ام بيروت ام باريس ؟ باب دمشق مفتوح دوماً لأبنائها ، وباب بيروت محروق لكن الحريق عتبة العشاق ، وباب باريس رائع البهاء والجمال ، لكنه ليس باب بيتي . . . وعلة باريس الأساسية هي . . . انني لست فرنسية !! . .

● عندما تشتبك في داخلك الافكار والكلمات ، الى صف من تقفين ؟

وهل الفكرة تجذب الكلمة المبدعة ، ام ان الكلمة تدفع الفكرة الى القمة عندك ؟

ـ لم يعد هذا « الاشتباك المسلح » بالقاموس ، يحدث في أعماقي . لم تعد الكلمات « عناصر غير منضبطة » تزرع الفوضى في شوارع سطوري ، وتعبث بالأضواء الحمر والخضر على مفارق الخواطر والفكر .

الفكرة هي التي تستدعي عندي الكلمة ، كما الروح تحل في جسد تختاره ، جسد يناسبها ويعبر خارجه عن باطنها في وحدة لا تتجزأ بعد انصهارهما . . وكلما كانت الكلمة أكثر ملاءمة للفكرة ، كلما ارتفعت حرارة الانصهار وجاءت السطور من بوتقة الابداع مكتملة الالتحام ، فـ« اللفظ جسم وروحه المعنى » كما يقول ابن رشيق . ولكن اللغة العربية جميلة لحناً ومغنى ، واحياناً اسقط فريسة حب لكلمات

« سلسبيلية » تقطر موسيقى . . . وأكاد أنهار وتجرفني أنهار سحرها . . لكنني أقاوم هذا الضعف الصغير بشهيتي لعطاء كبير . . واعترف لك انني في أعمالي الأولى ، سقطت مراراً في هذا الفخ ، وجرفني عشقي للكلمة العربية الباهرة الحسن - حتى كخط - ، ومع الزمن استطعت أن أسوس حصان الكلمة الجامح وأروضه في خدمة الأعمق والأصدق : الفكرة ، ليكون زواجهما عرساً لغوياً وفكرياً في آن .

● **غادة السمان . . . ربما أولى الاديبات العربيات اللواتي يكتبن عن الحب دون السقوط في السوقية أو المثالية ، كيف تحققين ذلك ، وتحافظين على التوازن في موقعك ؟**

- قليل من الجرأة ينعش قلب الكلمة . . . بل ان الجرأة هي التوازن حين تصير المشاعر التي يبطنها مجتمع ما مضغوطة على حجم كلمات الرياء المخدرة بـ (فاليوم) الخوف .

وانا اتحدث عن الجرأة لا عن الوقاحة . . وبالرغم من الفارق الشاسع بينهما ، فان المرء قد يضيع أحياناً بين حدودهما لأن أراضيهما متجاورة . انا مع الجرأة وضد الوقاحة . مع الصدق وضد الرخص . مع الحرية وضد الاباحية . مع قصائد الحب الرفيع وضد مواء القطط في شهر شباط (فبراير) . مع أن تعلن المرأة الحب وضد أن تعلن الابتذال . مع أن تموت حباً بصمت فصيح وضد أن تموت عـاراً في عتمة الخزي . أهذا هو التوازن ؟ . . . .

● **لحظة حريتك . . كيف تعيشينها ؟**

وهل هي الزمن الصغير الذي تحلمين أن تملأي به مساحة الكون ؟

- لحظة حريتي أعيشها داخل حرفي ولا أجد أجمل من عبارتك لتعريفها بذلك « الزمن الصغير الذي تحلمين أن تملأي به مساحة الكون » .

أعيشها ايضاً في حياتي اليومية وفي كل ما أفعله - أحاول على الأقل - . هذا يعني ان الحياة تصير أعمق غوراً . . ولكنه يعني ايضاً حرماني من لحظات كنت اتمنى ان أعيشها لولا سلطان العقل الذي يشكل أحد عناصر حريتي - للأسف - ! . . . كأنني امرأة مجنونة بالحرية ، لكنها عاقلة الجنون ! لعلي حقاً « بوهيمية ملتزمة » كما يلقبني صديق أسرتنا .

● **الفرح والحزن كيف تتعاملين معهما ؟ واين هما ؟ ومن منهما الأكبر في كتاباتك وحياتك ؟**

- الفرح ضيف عابر ، والحزن وسادتي . الفرح فراشة ملونة تعبر حديقتي ، والحزن

نافذتي التي اطل منها حتى على الفرح .

لست محترفة حزن ، لكنني أعي جذوره العميقة في تربة زمني . لست من هواة الحزن للحزن ، ولا اعتقد ان الفرح خيانة للعروبة ، لكن كل ما حولي يدفع بي الى الحزن أو (غض النظر) . .

ولأنني افضل التحديق في الجرح بدلاً من تدثيره بالشاش الأبيض والادعاء بأن لأربطة جراحنا بياض ثياب العرس ، ولأنني لست من محترفي التغزل بالألم بدلاً من رفض أسبابه ، فحزني العميق ايجابي ممتلىء بالرفض والتطلع الى صنع زمن عربي أفضل . . .

ثمة أحزان أخرى قادمة من ينابيع ضعفنا البشري ، كالمرض والفراق والموت . . . وهذه أحاول مواجهتها بالايمان والصبر قدر الامكان . . . وبالنسيان . . ما لا أغفره ، هو الحزن الذي يسببه لنا كعرب ، اولئك الذين يعتاشون من خرابنا الداخلي ويستحمون بنزف قهرنا الفكري والمادي . في كتاباتي الفرح حق الانسان ، والحزن حقيقته . . لكنها حقيقة تمكن مقاومتها بالوقوف ضد الحزن الذي تسببه بشاعة الأشياء القابلة للتبديل . . والانحناء بكبرياء انساني امام الحزن الشفاف البشري الذي لا شفاء له ، امام قوى لا نملك لدفعها سبيلاً . . .

الحزن الليلي المضيء المتوحد ، كتنهد أمسية ماطرة في صحراء شاسعة الأسرار أمشي حافية في بلاطه على حافة الركوع .

● **هل كل الذي كتبته عن الحب نابع من مشاعرك ؟ ام هو حالة تعبيرية عن عواطف الجمهور الرومانسي في غالبيته ؟**

ـ لأنه نابع من مشاعري ، ولأنني عربية المشاعر والجذور والمزاج ، تأتي حروفي تعبيراً عن (الآخر) الذي هو (أنا) . . . فجوهرنا واحد . . لا تكون الحروف وثيقة تعبيرية عن حالة انسانية إلا اذا مرت بينابيع القلب والموهبة معاً .

● **هل صحيح ان ابداع الكاتب شمس ، وصمته ظلام ؟ كيف تنظمين علاقة الحدود بين ابداعك وصمتك ؟**

ـ من قال ان الأعمى لا يبصر ؟ ومن قال ان صمت الكاتب هو بالضرورة موت الشعور ؟ صمت الكاتب هو أحياناً تلك اللحظة التي تحبس فيها الطبيعة انفاسها قبل انفجار العاصفة وإضاءات البرق . . . الفنان ليس نهراً اصطناعياً يضخ في كل دقيقة كميات متساوية من الماء . . انه نبع ارتوازي . . لا ندري متى يتفجر . . واين

ولماذا . . . ومتى يتدفق شاسعاً كالنيل ، ومتى يجف فجأة كالسراب . . الفنان ينبوع مفاجأة ، وصمته أحياناً شمس سرية سوداء تتأهب لخلق كونها ومدارات اقمارها . . .

اتحدث طبعاً عن فترات الصمت الحية ، حين يرتدي الابداعُ الصمتَ ، كما يرتدي الطفل الرحم ريثما يكتمل . . وأميز بين الصمت المتأجج لفنان يتعذب كي يردم الهوة بين الفكرة في داخله واللغة ، وبين صمت من نام على امجاده ببطن متخم بقصائد المديح ، ولم نعد نسمع غير شخير عقمه واسترخائه السعيد المديد .

كما أميز بين صمت (المقموع) الذي يفضل السكوت ، على بيع حنجرته في « سوق اللسان » الأدبي محترفاً تملق اصحاب الجاه . . . وصمت الذي داهمه الكسل الفكري والبطر . . وصمت المبدع (المقموع) هو أنبل أنواع الصمت وأكثرها خطراً ، لأنه حين ينفجر يجسد سيلاً من لعنات الشعب في وجه الظالم ، يساهم في الاطاحة به الى بالوعة التاريخ .

● هل في أحلامك مدينة الياسمين ؟

اين تقع في النفس والذاكرة ، وكيف ترسمين ملامحها ؟

- « مدن الياسمين » لا توجد إلا في خاطر الفنانين . . . لكنها تتقمص في نفوس الجميع ، عباقرة وبسطاء ، تتقمص جسد المدينة الأم . . . فتتولى الذاكرة زرع الياسمين فوق الجراح التي لما تجف ، وحتى فوق ندبات الجراح المندملة . . حينما تهرول مدن الماضي داخل مدارات الزمن ، تستحيل كل بشاعة فيها الى رماد كغبار النجوم المتناثر في كون النفس السري الأغوار ، ويتولى الشوق تلميع وجوه الأحداث وتزيينها بلوعة الفراق واستحالة التكرار ، وتبدو الأطلال متأججة بالحياة اكثر من زحام الطابق الأخير في « برج ايفل » وسطح « برج مونبارناس » ،وتصير ذكرى أضيق زقاق في دمشق شاسعة اكثر من « ساحة الكونكورد » ، و « ساحة النجمة » الدمشقية حيث بيتي العتيق ، أكبر من « ساحة النجمة الفرنسية » ، وأقواس نصر طفولتي فيها أعلى من قوس النصر الذي شيده نابليون في ساحة نجمته . . . ويمتد شاطىء بيروت الفجري في الذاكرة مثل نصل سيف عربي يشطر قلبي الى نصفين كبرتقالة في بيارات يافا ترتجف تحت المطر الدافىء . . وتصير بلدة « عاليه » أعلى كعباً وأكثر بياضاً ياسمينياً من ثلوج « غشتاد » الياسمينية السحر . . وتصير « بلودان » أحلى من « كان » و « لوزان » . . .

● هل تستدرجين القارىء أحياناً ؟ تبدأين معه بابتسامة، وكلمات مبتهجة ثم تأخذين

يده وتضعينها على الجرح ليفتح عينيه على المفاجأة ، وربما يصرخ ؟ لماذا ؟

ـ اذا كنت أفعل ذلك ، فأنا لا أتعمده . أظن ان الحقيقة تستدرجنا معاً ، وكلما توغل المرء في اكتشاف المزيد منها لامس جرحاً . . .

● هل تهربين ؟ مم ؟ ومتى يزهو الانسان وهو يعلن هروبه ؟

ـ نعم ، انا ايضاً اهرب . أهرب من تحويل حلم كبير الى حماقة صغيرة . . أرفض استبدال علاقة انسانية كبيرة بنزوة صغيرة ، وأفضل رعاية بذور كل ما هو نبيل وجميل لينمو شجرة حنان . . أهرب من السهولة والسطحية والتكرار وأفضل الدخول الى ملكوت القلب البشري عبر ثقب الابرة . . . يزهو الانسان حين يعلن هربه من السهل الى العسير ، أي الى السهل الممتنع ! . أهرب أيضاً من الذين أحب (أو يمكن أن أحب) في فترات الكتابة ، لأن « الحرف » يتطلب الولاء المطلق . وأنا الآن أعيش « فترة هرب » لأنني أعد كتابين جديدين هما « البحر يحاكم سمكة » و« الاعماق المحتلة » ، وأتابع العمل على « أشهد أنني أحب » . ويوم تصدر هذه الكتب ، أزهو بهربي الآتي الى كتاب جديد . . .

● إذا تصورت نفسك في لحظة من لحظات الكتابة أو العشق . . . « عقد ياسمين » شرد دون ان يدري في أحد شوارع دمشق :

فكيف يشكل عقد الياسمين امرأة ؟

ـ يتضوع الياسمين عبيراً حين يلتف ذراعين من العشق الأبيض حول عنق صديقات الطفولة واحباب ذلك الزمن الغابر ، والأهل . . . آه الأهل . . . والأصدقاء . . . ورفاق الحرف هناك الذين عرفتهم والذين لم التقهم بعد . . وافتقدهم . . .

● وكيف يبلور عقد الياسمين شخصية امرأة ؟

ـ يمنحها شفافيته من غير هشاشته . . تواضعه واستمراريته الصلبة في الأرض من غير سهولة اقتطافه . . . يجعلها حريقاً أبيض من اللهفة المتأججة . . برداً وسلاماً على قلب الصادق ، ولسعة في أنامل العابث . .

وفي « المرحلة الياسمينية » الأخيرة لبلورة شخصية امرأة ، يهمس في أذنها بسره الأعظم ، فتخترع المرأة أول شوكة لزهرة الياسمين ، تحولها ـ نهائياً ـ من نبتة الى انثى . .

● وكيف تصوغ المرأة عقد الياسمين ؟

ـ تصوغه جسراً من البياض المخملي وترسله كالريح بين قلبها ، وتلك القرى والمدن

والتلال اللامنسية ، حتى يزنر شاطىء البحر ، وتهرول اشواقها على ذلك الجسر تلامس تلك الوجوه التي احبتها طوال عمرها دون ان تعرفها . . وتعبر اللهفات المتبادلة على جسر الياسمين .

وهي قد تصوغه اشارة استفهام ياسمينية أمام عيون الذين عرفوها دون ان يعرفوها . . . وهي قد تصوغ من عقد الياسمين حبل مشنقة تتدلى منها ذكرى الذين طعنوا زمنها بالغدر . . وهي قد تحول عقد الياسمين الى لهفات بيضاء صغيرة مضمومة في خيط الوفاء الذي لا ينقطع مهما مر به الزمن ، وتتدلى على صدر العطاء . . كوسام .

● واذا تصورت نفسك « عقد ياسمين دمشقي » شرد في شوارع بيروت : فكيف يواجه شرود الياسمين شرود رصاصة ؟

ـ يسأل الياسمين الرصاصة : لماذا ؟ والى اين ؟ الى صدر العدو ام الصديق ؟ الغريب ام القريب ؟ واذا كانت دربهما واحدة ، مشيا متعانقين . فالياسمين كالكلمة : يرفض (القاتل) ويحترم (المقاتل) . . يحب الثائر ويحتقر التاجر : تاجر الثورات في الدكاكين المسلحة . . بالظلم .

● واذا ما اعتقلت لحظة هاربة خلاصة الياسمين في زجاجة عطر فرنسية : فكيف يتعامل الياسمين فيك مع جدران وشرفات البيوت العتيقة ؟

ـ يكرر للكريستال (دي روش) ، ما قالته جدتي العربية القديمة ـ إن لم تخني الذاكرة ـ :

لبيت تـرقص الأرواح فيه ... احب اليَّ من قصر منيف
ولبس عبــاءة وتقـر عيني ... أحب اليَّ من لبس الشفوف

● لشقائق النعمان معنى خاص وحميم لدى شعراء حوض البحر الأبيض المتوسط (الذكور) ، لكونه يتعلق بالميثولوجيا السورية فيهم .

انت كامرأة . . كيف تتعاملين مع شقائق النعمان اذا عصف فيك الربيع السوري ؟

ـ لن يحتكر (ذكور) البحر المتوسط شقائق النعمان بعد اليوم . . هذا أولاً . ثم انني لا اتعامل مع شقائق النعمان كـ « انثى » ، بل كقلم انسان ليست له اعضاء ، يعصف به الربيع السوري واللبناني والفلسطيني والكوني فيركض في مروج الورق يطرزها بذلك الوجد التاريخي الكاوي .

حينما تغزوني شياطين (النعمان) وتأتي جحافلها الحمر الى براري حروفي ،

أرحب بزمن الخصب المضمخ بدم الذاكرة والاسلاف ، وكل ذرة تراب في أعماقي تمنح نفسها لتلك الجذور الدقيقة المتوحشة الحنان وهي تتوغل كالأصابع بين حناياها ثم تتفتح جمراً فوق بشرة جسد الأرض المستسلمة للنشوة الكاوية . .

مع « ايديولوجيا شقائق النعمان » لا أملك غير الاستسلام، وأرفع (العلم الأبيض) بكل فخر .

● **غادة السمان . . . لماذا تكتبين ؟**

ـ اكتب لأنني سأموت .

اكتب لأنني اشتعل حياة .

اكتب كي انسى . اكتب كي اتذكر . اكتب لأتواصل والناس .

اكتب كمحاولة لتبديل عالم أرفض معظمه . اكتب لتخفيف بشاعة هذا الكوكب واعتقال حلاوته في كلمة .

اكتب لألتقي برفاقي الحقيقيين والكلمة مؤامرة بناء لا تخريب .

اكتب كموقف ضد الحس بالعبثية واللاجدوى .

اكتب صرخة ضد التخدير ، واليأس . اكتب كانسانة لأخلد كفاح شعبي في سبيل حياة أفضل . . اكتب لانني احب ذلك . . اكتب لانني لا اعرف مهنة اخرى . . اكتب كما اتنفس . .

اكتب . . اكتب . . ولماذا لا اكتب . . الى آخر هذا النمط من الاجابة على هذا السؤال المستحيل ، اي الى ما لا نهاية . ولكن ، ما جدوى ذلك كله الآن ؟ . . .

لا تسألني لماذا اكتب فقد فات زمن طرح هذا السؤال . اني متورطة بالحرف ، وقد انجبنا عشرين كتاباً حتى الآن . لقد (وقعت) في الكتابة ، ولا نجاة لي . وها أنا ارتجف ريشة في مهب الجنون الملقب كتابة ، ولم أعد اذكر كيف ولماذا اقترفت ذلك . . ولم أعد اذكر درب العودة ، ولست متأكدة من انني ارغب في مغادرة « نهر اللارجوع » هذا حتى ولو وجدت المركب السحري الذي يخرجني من تياراته . . الكتابة هي (الأمر الواقع) في حياتي ! . . . ونسيت كيف تورطت ولماذا ومتى . . .

● **كيف يبتدىء مشروع الرواية في نفسك ؟**

ـ يبدأ الأمر بحس غامض كوكبي . . كأن مجرة ما تهرول في اعماقي تنذر بعاصفة مغناطيسية وبانفجارات لقوى نارية حبيسة العناصر ، ويصير همي بلورة ذلك الاختناق

المنصهر المضغوط في هيئة نجم أو كوكب ، ومنح تلك الطاقات الجبارة الهوجاء جسداً تتقمصه زلازلها وانهياراتها وبراكينها . . .

● **هل تضعين تخطيطاً مسبقاً لعملك الروائي ، أم تتركين العمل يكون نفسه ويتطور عبر لحظات الكتابة ؟**

كيف تتحدثين عن ذلك ؟

ـ كل رواية بالنسبة لي علاقة حب لا تتكرر . ولا أحاول تقليد اسلوب تعايشي واياها . كل رواية تحمل معها قصة كتابتها المختلفة عن قصتي مع كتابة ما سبقها وما سيتبعها .

مع الكتابة انا بنت الحرية والعفوية على خلفية ثقافية وانضباطية صارمة . وبوجه عام ، لكل رواية (تصور) مسبق لبعض ملامحهـا ، لكنني وبالتجربة اكتشفت ان العمل يكون نفسه ويتطور عبر لحظات الكتابة (كما يحفر النهر مجراه) . . .

لا اذهب الى الرواية كما يذهب نابليون الى الحرب وفي جيبه خطة الغزو . . انني اتمدد في فضاء الصدق واترك الكلمات تغزوني . . واستسلم لاشتعالها دونما ذعر من فكرة جديدة أو صرخة غير تقليدية ولا مألوفة . .

اذن التخطيط المسبق لدي ليس اكثر من مجرد تصور مبدئي اعرف سلفاً انه وجد كي يتبدل ويتطور واحياناً يُنسف بأكمله عبر لحظات المعايشة العملية لبناء الفكرة ، اي الكتابة . يخيل اليَّ ان « التخطيط المسبق » والثابت نوع من « التحديد » لما يرفض التأطير أصلاً . . التخطيط المسبق يكاد يكون تجنباً للوقوع في الجديد والمفاجىء والمتفجر نضارة وجرأة . . وانا ارى في الكتابة استدعاء لهذه العناصر لا نفياً لها . . . الكتابة المبدعة فعل مغامرة ، ولذا فحصة « التخطيط المسبق » منها ضئيلة عندي ، وحتى اذا قمت بها ارضاء لهاجس حب العمل والتقيد بقواعد الاقدمين فان جنون مغامرة الحرف كفيل بجرفها وتعديلها واصلاحها بانفجاراته وتشذيب عمارتها بتهديمه الابداعي الذي يهرب البعض منه عادة خوفاً من الفوضى . . عدم الخلط بين الفوضى والزخم ليس سهلاً ، ولكن مع الرواية لا بد من الطموح والجهد ، فالغابة شاسعة ، ولا درب معبدةً تنبسط بيسر أمام قلمك . .

● **هل تعين وجود شرطي يضغط على هراوته بنزق عند أبواب ذاكرتك وانت تكتبين؟ كيف تتعاملين معه ؟**

ـ أطرده ، وادفع الثمن فيما بعد ، لكنني ارفض الكتابة في ظل هراوته .

● **هل تعين وجود قارىء عندما تكتبين ؟ هل تحسين بنوعيته ؟ كيف تتعاملين معه ؟**

وهل يغير شيئاً من مسار تدفقك ؟

ـ القارىء حقيقة في حياتي ، وهو بالتأكيد يقطن عقلي الباطن والواعي ، لكنه لحظة الكتابة لا يغير شيئاً من مسار تدفقي . لا أتملقه ولا استفزه وانما امنحه « صدقي » .

● **هل يمكن أن يبدع الفنان في ظروف القهر والقمع ام ان الابداع مقتصر على ظروف الحرية ؟ كيف تتعاملين مع هذه المعادلة ؟**

ـ الابداع نبتة شيطانية لا ندري كيف تنبت ولا يقف في دربها شيء . . ونظرة نلقيها على تاريخ الفن تثبت ان الانسان أبدع في ظروف القهر كما ابدع في ظروف الحرية . . .

لكننا لا نعرف ماذا كان يمكن للمقهور ان يمنح لو كان حراً ، ولعله كان حلق الى قمم اكثر شموخاً . .

وكون المبدع نبتة خارقة لا يقف في وجهها حتى القهر لا يعني ان علينا تعميم الظلم تنشيطاً للفن ! . . . وكلنا يعرف كم من المواهب الفتية اطفأت جذوتها رياح القمع والقهر . . .

فالمبدع ، لا يمنح لأنه مقهور ، بل يمنح بالرغم من ذلك !

● **كم مرة تكتبين الرواية ؟ وكيف ؟**

ـ هذا سر المهنة ! . . . وكل ما استطيع البوح به ، هو أن لكل رواية أكتبها قصة خاصة بعلاقتي معها تختلف عن الأخرى . وهكذا ، لا نمط مكرراً لدي في كتابة الرواية . . ولكل اسلوبها الخاص في التعامل معي ! . . .

● **ما علاقتك بشخصيات روايتك ؟ وهل يفترض وجودهم الواقعي تغييراً في سير الرواية ؟**

ـ علاقتي بشخصيات روايتي حميمة جداً حتى انهم يلغون خلال فترة الكتابة علاقاتي الباقية اليومية الحميمة ، ويطردون أحبابي من زمني ريثما انجز عملي واياهم . أما الوجود الواقعي لأبطالي ـ اذا فرضنا جدلاً وقوعه ـ ، فإنه لا يغير في مسيرة الرواية ، لأن مسيرة الرواية تكون هي الاسبق الى تعديلهم بحيث يتقلون من خانة (الموجود) الى خانة (الممكن) . لا يمكن أن اسرق اشخاصاً من الحياة وارغم رواية ما على التكيف وفقاً لمقاساتهم ، ولكن العكس هو الذي يحدث . . . فاخلاصي هو للفن أولاً ، وليس لفلان أو فلانة من الناس . انا اعشق عملي ، وليس أبطالي . ولائي للفن ، لا للنقل الحرفي الببغائي عن الحياة .

● **ركزت في احدى الفترات على القوى الخفية في الانسان . . هل هي سيريالية الحرب اللبنانية ام تريدين تفسير شيء آخر ؟**

ـ لا أدري بالضبط . . . وما زلت أسيرة ذلك الهاجس : القوى الخفية في الانسان . . وستجد بصمات ذلك في أعمالي الآتية أيضاً ، فأنا لم استنفد مرحلة « السباحة في بحيرة الشيطان » . بعد .

● الزمن أحد المحاور الرئيسية في كتابتك . هل تعتقلك اللحظة الهاربة أم تعتقلينها ؟ وهل تكتبك لحظة الحرية ام تكتبينها ؟

كيف تتعاملين مع الزمن في الرواية ؟

ـ حين يكتب المرء لحظة حرية فانه يكونها ويصيران شيئاً واحداً في رحلة الكتابة . . ان تعتقل لحظة هاربة يعني ايضاً انك أسيرها ، لكنه أسر من نوع خاص يتلاحم فيه السجين والسجان في حرية تبادل عطاء متأجج . . .

في الرواية أتعامل مع الزمن كالقنبلة الموقوتة ، احاول تفكيكه بسرعة ، ودون ان ينفجر فيطيح بي وبالرواية معاً . . الزمن أحد ابطال الرواية ، وهو اكثرهم دقة وصلابة وهشاشة في آن ، واي خلل في ضوابط التعامل الحر معه يودي بالكاتب وابطاله الى الهاوية . .

الزمن في الرواية ليس مادة جامدة ولا حجرية . . الزمن مائي تارة وهوائي أخرى ومعدني في لحظات تالية . . . انه العناصر التي تتوالى تقمصاتها عاكسة على الروح تلونات ايقاع ذلك . .

للزمن وجه ، وذاكرة ، ومستقبل . . للزمن رائحة ولون ومذاق . . . للزمن أماكن وقارات تحت البحر واخرى رحلت الى كواكب لم تفارقنا مداراتها وما تزال جاذبيتها تفعل في ابطال الرواية سلباً أو ايجاباً . . .

الزمن زئبق في اصابع الروائي غير الحاذق يجعل الرواية وابطالها ينزلقون من بين أنامل عطائه في ومضة حبر . .

الزمن هو أدق عناصر الرواية وأصعبها مراساً ، إنه فرس يطير بصاحبه الى الابداع اذا أحسن فهمه وترويضه . . وهذا ما أحاوله باستمرار .

● هل يمكن اعتبار الكتابة لديك جواباً على اسئلة تلح ام شيئاً آخر ؟

ـ لا جواب واضحاً لدي على هذا السؤال العسير البريء المظهر . لعل الكتابة هي ما ذكرت ، بالاضافة الى اشياء اخرى كثيرة أعرف معظمها وأجهل أهمها .

● ما الذي تهدفين اليه من كتابة الرواية ؟

ـ كتابة رواية حية .

● **ما رأيك بمسألة « الرؤية الاخلاقية » في الرواية ؟**

ـ الرواية ليست وسيلة ايضاح لنظرية في التربية أو السياسة أو الايديولوجيا أو الاقتصاد أو الاعلام أو التاريخ .

الرواية هي الرواية . وهي قد تتضمن ما سبق ذكره كله اذا كانت مبدعة ، لكن نقطة انطلاق الكتابة الأولى هي الرغبة في خلق عمل حي يتجاوز التكرار ، لا الرغبة في تسخير الرواية كأداة وعظ أو تبشير .

ثم ان « الرؤية الاخلاقية » عبارة يفهمها الفنان احياناً بشكل مختلف عن رؤية السياسي او رجل الدين او مدير البوليس لها . . .

وانا أرى ان كل ابداع هو في جوهره انحياز الى الجمال والعدالة والانسانية والمحبة ،وهذه كلها عناصر « الرؤية الاخلاقية » الحقيقية التي لا تتطابق دائمًا والتقليدية .

● **لو طلب اليك صياغة العلاقة بين المعاصرة والموروث في الأدب العربي ، كيف تكون هذه الصياغة ؟**

ـ كالعلاقة بين الجيل الصاعد والاجداد . علاقة احترام لا هيمنة . علاقة محبة دونما اي رفض مسبق أو انحياز سلفي . علاقة مفعمة بدفء المحبة ، دون أن تبرر تلك المحبة تكرار ما تجاوزه الزمن ، ودون التخلي عن كنوز ورثناها فرفضناها لمجرد انها عتيقة .

● **غادة السمان الكاتبة ، لم تحاول أن تجعل من القاهرة محطة استقرار أدبي بعد بيروت ، لماذا جعلت الاستقرار أوروبياً ؟**

ـ أنا لا أتخلى بسهولة عما أحب ، ولم اتخل عن بيروت بعد لأفتش عن محطة استقرار أدبي . في باريس انا عابرة سبيل تسكن محطة الانتظار ، وتركب قطارات اكتشاف المزيد من هذا الكوكب الذي وجدت نفسي في زيارة عابرة على أرضه . .

حينما تتخلى بيروت نهائياً عن نفسها ، وأجدني مضطرة للبحث عن مكان آخر ، فسيكون بالتأكيد مدينة عربية . . دمشق . . . القاهرة . . بغداد . . جدة . . . تونس . . . طرابلس . . عدن . . أصيلة . . . لا أدري بعد لانني لم افكر في ذلك .كل ما أدريه هو انني سمكة عربية ولدت في بحار عربية ولا تستطيع الحياة الا فيها . . ولكنني ايضاً سمكة تهوى السباحة الحرة في مياه غير مكهربة . . ويوم اضطر للتفتيش عن مكان آخر غير بيروت ، فسيكون بالتأكيد بحراً عربياً يحترم قيم الحرية كما ضوابطها ، دونما كهربة لمياه الابداع الاقليمية وشطآن الوحي . أكرر : أنا سمكة عربية ، لكنها مصرة على السباحة الحرة في مياه عربية غير مكهربة . والآن ، قل لي أنت : أين ؟

اقـرار

محتويات هذا الكتاب نشرت في المجلات والصحف العـربية التـالية (بـالترتيب الأبجدي) :

مجلة الاذاعة والتلفزيون العراقية...

جريدة الأنوار اللبنانية ....

جريدة البيان(الامارات العربية المتحدة) ....

جريدة بيروت المساء اللبنانية ....

جريدة الثورة السورية ....

جريدة الثورة العراقية...

جريدة الجزيرة السعودية ....

جريدة الجمهورية العراقية...

مجلة الحرية اللبنانية...

مجلة الحسناء اللبنانية ....

مجلة الحوادث اللبنانية...

جريدة الدستور الأردنية..

مجلة دنيا المرأة اللبنانية ....

مجلة الراصد اللبنانية ....

جريدة الرأي الاردنية...

جريدة الرأي العام الكويتية...

جريدة الرياض السعودية ....

جريدة السياسة الكويتية ....

مجلة الشبكة اللبنانية...

جريدة الشرق الأوسط السعودية ....

مجلة الشرقية المصرية ....

مجلة شهرزاد اللبنانية ....

مجلة صباح الخير المصرية ....

مجلة الصياد اللبنانية ....

مجلة العروبة القطرية ....

مجلة فيروز اللبنانية...

جريدة القبس (ملحق هي) الكويتية ....

مجلة الكفاح العربي اللبنانية ....

جريدة اللواء اللبنانية ....

مجلة المجالس الكويتية ....

مجلة المجالس اللبنانية..

مجلة المجلة السعودية ....

مجلة المرابط اللبنانية ....

ملحق جريدة الأنوار الاسبوعي اللبنانية ....

مجلة الموقف العربي اللبنانية...

مجلة نساء اللبنانية..

جريدة النهار اللبنانية...

مجلة النهضة الكويتية ....

جريدة الهدف الكويتية ....

مجلة هذا الاسبوع الكويتية...

جريدة الوطن الكويتية...

مجلة الوطن اللبنانية..

مجلة اليقظة الكويتية..

مجلة اليمامة السعودية..

الفهرس

- ورقة مسروقة ، من محضر محاكمة السمكة ٤
- الإهداء ٥
- مصارحة ٦

(١) استجواب حول سيرة ذاتية ١١

- مراسل الحوادث في دمشق يستجوب ١٢
- عدنان ابو فارس يستجوب ١٥
- مراسل « هذا الاسبوع » في بيروت يستجوب ١٨
- نهى سمارة تستجوب ٢٣
- مفيد فوزي يستجوب ٢٨
- ندى ياسين تستجوب ٣٤
- مصطفى ناصر يستجوب ٤١
- زينب حمود تستجوب ٤٥
- ياسين رفاعية يستجوب ٥٠
- سارة العبيدي تستجوب ٥٨

(٢) استجواب حول المرأة ـ الرجل ـ التحرر ٦٣

- مريم ابو جودة تستجوب ٦٤
- رائدة نصار تستجوب ٦٩
- بيروت المساء تستجوب ٧٤
- زينات نصّار تستجوب ٧٩
- ليلى نجم تستجوب ٨١

- كمال بخيت يستجوب ٨٦
- ليلى الحر تستجوب ٩١
- فريال ملكو تستجوب ٩٨
- صونيا فرح تستجوب ١٠١

(٣) استجواب حول قضايا ادبية ١٠٥

- فوز الدين يستجوب ١٠٦
- نجوى قلعجي تستجوب ١٠٨
- نبيه البرجي يستجوب ١١٢
- محبوب العبد الله يستجوب ١١٦
- سلوى البنا تستجوب ١١٩
- تيسير نظمي يستجوب ١٢٥
- جهاد فاضل يستجوب ١٣٠
- محمد قليلات يستجوب ١٣٩
- سونيا بيروتي تستجوب ١٤٢
- ابراهيم العريس يستجوب ١٤٤
- نواف ابو الهيجاء يستجوب ١٥١
- منتهى المعلم تستجوب ١٥٤
- مراسل الثورة السورية يستجوب ١٥٨
- مراسل جريدة البيان الظبيانية يستجوب ١٦٠
- احمد فرحات يستجوب ١٦٥
- جوزف كيروز يستجوب ١٧١
- زينب حمود تستجوب ١٧٥
- مراسل الوطن الكويتية يستجوب ١٧٨
- هيام وهبة تستجوب ١٨٣
- « الموقف العربي » تستجوب ١٨٨
- حازم ابيض يستجوب ١٩٥
- عاصم الجندي يستجوب ٢٠٣

(٤) من كل بحر موجة ٢٠٧
- جورج عبيد يستجوب ٢٠٨
- عبلة الخوري تستجوب ٢١١
- سهام خلوصی تستجوب ٢١٥
- ديب عماد يستوجب ٢٢٢
- ابتسام عبد الله تستجوب ٢٢٦
- عبد الله الجفري يستجوب ٢٣٠
- إقرار ٢٤٤



هذا هو الكتاب الثالث عشر في سلسلة «الأعمال غير الكاملة»، والجزء الثاني من كتاب «القبيلة تستجوب القتيلة».

وفي ورقة مسروقة من محضر محاكمة السمكة يدور هذا الاستجواب:

قال البحر للسمكة: لماذا أعطاك الغريق ؟

- إنها شاراتك يا سيدي.

قال البحر للسمكة: لماذا التهمت ما ليس لك ؟

- إنها مجاعتك يا سيدي.

قال البحر للسمكة: لماذا جبنت أحياناً عن قول الصدق ؟

- إنها أسماك قرشك يا سيدي.

قال البحر للسمكة: ولماذا هاجرت من كهف إلى آخر ؟

- كنت أفتش عن الشمس يا سيدي.

قال البحر للسمكة: يا لك من مخلوق غريب غامض!

- أنا ابنتك يا سيدي.

منشورات غادة السمان